

الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة

للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي
(دراسة وتحقيق وشرح)
رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير
تخصص عقيدة

إعداد الطالبة
مريم طاهر أحمد طالبي مدخلي
إشراف أ. د. علي محمد ناصر فقيهي

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

دار الشريفة للنشر والتوزيع

للمراسلات ص.ب ٥٨٢٨٧ الرياض ١١٥٩٤
هاتف وفاكس ٤٧٣١٤٦١
البريد الإلكتروني daralsharief@yahoo.com

ح دار الشريف للنشر والتوزيع ، ١٤٢٥ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحكمي ، حافظ بن أحمد

الجزيرة الفريدة في تحقيق العقيدة / حافظ بن أحمد الحكمي ؛

مريم طاهر أحمد طالبي مدخلي - الرياض ، ١٤٢٥ هـ

٣٩٤ ص ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٣ - ٧٩ - ٨٦٦ - ٩٩٦٠

١- العقيدة الإسلامية أ- مدخلي ؛ مريم طاهر أحمد

طالبي (محقق) ب- العنوان

١٤٢٥/٦٥٣

ديوي ٢٤٠

رقم الايداع: ١٤٢٥/٦٥٣

ردمك: ٣ - ٧٩ - ٨٦٦ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

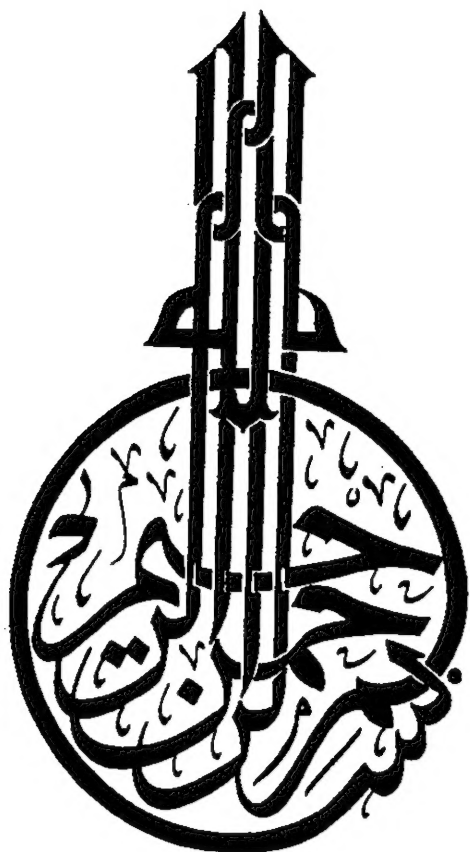
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

دار الشريف للنشر والتوزيع

للمراسلات ص.ب ٥٨٢٨٧ الرياض ١١٥٩٤

هاتف وفاكس ٤٧٣١٤٦١

البريد الإلكتروني daralsharief@yahoo.com



.

.

.

.

.

.

بسم الله الرحمن الرحيم



الجامعة العراقية
الرئاسة العامة لتعليم البنات
الإدارة العامة لكليات البنات
 بالمنطقة الغربية - جعدة
كلية التربية للبنات - جعدة
الأقسام الأدبية
مكتب الدراسات العليا

إعتماد لجنة المناقشة والحكم

نوقشت رسالة الطالبة : مريم بنت طاهر طالبتي مدخلي

بتاريخ ٢٠١٥ / ٢ / ١٤٢٢ هـ الموافق ٢٠١١ / ٥ / ٩ م.

وتكونت لجنة المناقشة والحكم من الأساتذة :

الاسم	الوظيفة	التوقيع
أ.د. علي محمد ناصر الفقيهي.	أستاذ العقيدة بمجمع المالك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة . " مشرفاً على الرسالة "	
د. محمد ربيع هادي مدخلي.	الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية قسم العقيدة . " متحناً خارجياً "	
د. زينب محمد رجاء الله الحربي.	الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية لدينا بالكلية . " متحناً داخلياً "	

قراء اللجنة : منح الطالبة درجة : الماجستير بتقديم :

تاريخ موافقة مجلس الكلية على المنح : | | ١٤٢٢ هـ - ٢٠١١ م

عميدة كلية التربية للبنات بجدة

يعتمد

وكيلة الكلية للدراسات العليا

" د. جوهرة بنت مسعود بن محمد المقاطي

" د. ثريا محمد عطيه الغفمي "

ختم الكلية

تصاو...

•

•

•

•

•

•

شكر وعرفان

بكل التقدير والإمتنان أقدم بالشكر الجزيل لكل من كان له يد في إنجاز هذا البحث وأعصر بالذكر والذي العزيز الذي رعاني بتربيته وإحسانه وتابع دراسي في كل مراحل الدراسة لاسيما في مجال العقيدة حيث كانت دراسي الابتدائية والمتوسطة في ثلاث دول يختلف منهج العقيدة فيها عن منهج أهل السنة والجماعة فكان والذي بحق الموجه والمرشد لمنهج أهل السنة والجماعة فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

أما هذا البحث فكانت له اليد الطولى في إنجازته وذلك من خلال توجيهاته وتوفير كافة المراجع المطلوبة له فجزاه الله خيراً وجعله في ميزان حسناته.

كما أقدم شكري وتقديري لأمي الحبيبة التي رعتني وربتني على الأخلاق الفاضلة وهيأت لي كل الأجواء المناسبة لإنجاز هذا البحث ، فشكراً لها على ما بذلت ورعت وربت وجزاها الله عني خير الجزاء .

كما أقدم شكري وتقديري لزوجي العزيز الذي ساعدني في إنجاز هذا البحث بوقته وجهده فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أقدم بالشكر الجزيل لكلية التربية بمجدة عمادة وأساتذة وإدارة هذه الكلية التي فتحت لي أبوابها طالبة للعلم في مرحلة الماجستير في قسم العقيدة. هذا القسم الذي تشرفت بالانتماء إليه.

كما أقدم الشكر الجزيل للأستاذ الدكتور علي بن محمد ناصر فقيهي المشرف على هذا البحث الذي لم يرض علي بوقته وعلمه وملحوظاته فكان نعم الأستاذ ونعم المعلم.

كما أقدم الشكر الجزيل للأستاذين الفاضلين المناقشين لهذه الأطروحة وهما:

١- الدكتور محمد ربيع مدخلي - الأستاذ المشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

٢- الدكتورة زينب محمد الحربي - أستاذ مساعد بكلية التربية للبنات بمجدة

على قبولهما مناقشة هذا البحث وتكديهما عناء القراءة والإطلاع عليه وإبداء ما يريانه من ملحوظات ، وستكون للملحوظات كبر الأثر في نفسي وزيادة معلوماتي إن شاء الله .

كما أقدم شكري لجميع الأخوات اللواتي وقفن إلى جانبي في إنجاز هذا البحث.

إلى هؤلاء وغيرهم ممن سددوا وقاربوا شكري وتقديري، فجزاء الله الجميع عني خير الجزاء.

•

•

•

•



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	شكر وعرفان
١	مقدمة الباحثة
	القسم الأول: الدراسة
٦	المبحث الأول التعريف بالشخ حافظ وفيه مطالب
٦	المطلب الأول اسمه ونسبه وقبيلته
٨	المطلب الثاني مولده ونشأته
٩	المطلب الثالث صفاته الخلقية والخلقية
١١	المطلب الرابع نبوغه وأسبابه
١٢	المطلب الخامس شيوخه
١٥	المطلب السادس تلاميذه
١٩	المطلب السابع آثاره العلمية
٢٥	المطلب الثامن وفاته ورفاء العلماء له
٢٧	المبحث الثاني منهج المؤلف في تقرير العقيدة
٢٨	المبحث الثالث التعريف بالجوهرة الفريدة وأهم موضوعاتها
٢٨	المبحث الرابع منهج المؤلف فيها
٢٩	المبحث الخامس مصادر المؤلف التي اعتمد عليها
٢٩	المبحث السادس موقف المؤلف من المبتدعة
	القسم الثاني : (التحقيق والشرح)
٣٠	المبحث الأول النسخة المخطوطة والمطبوعة المعتمدة في التحقيق والشرح وفيه مطالب
٣١	المطلب الأول نظم الجوهرة الفريدة
٤٦	المطلب الثاني عظمة المؤلف
٥١	المطلب الثالث مقدمة في براءة المتبعين من جرأة المبتدعين والتراءات المبتدعين
٨٣	المطلب الرابع أبواب أمور الدين
٩٠	المبحث الثاني باب الإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته وفيه مطالب
	المطلب الأول أنواع التعرّيد
٩٨	المطلب الثاني حديث المؤلف عن صفة العلو
١١٢	المطلب الثالث فصل في الشرك الأكبر

الصفحة	الموضوع
١٣٢	المبحث الرابع باب الإيمان بالملائكة
١٤٠	المبحث الخامس باب الإيمان بكتب الله المرولة
١٥٨	المبحث السادس باب الإيمان بالرسل عليهم السلام
١٦٩	المبحث السابع باب الإيمان باليوم الآخر
٢٢٦	المبحث الثامن باب الإيمان بالنظر إلى الله عز وجل
٢٣٥	المبحث التاسع باب الإيمان بالقدر غيره وشره
٢٥٣	المبحث العاشر بمجل أركان الإسلام
٢٦٢	المبحث الحادي عشر جامع وصف الإحسان
٢٦٥	المبحث الثاني عشر باب نواقض الإسلام أعادنا الله منها
٢٧٠	المبحث الثالث عشر باب شرك دون شرك وكفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسوق دون فسوق ونفاق دون نفاق
٢٨٢	المبحث الرابع عشر باب معنى النصوص التي فيها نفي الإيمان عن مرتكب بعض المعاصي
٢٨٥	المبحث الخامس عشر باب التوبة وشروطها
٢٨٨	المبحث السادس عشر باب حكم السحر والكهانة والتنجيم والتطير والاستسقاء والعين
٢٩٤	المبحث السابع عشر باب حكم الرقي والتعاليق
٢٩٥	المبحث الثامن عشر باب الخلافة وعمة الصحابة وآل البيت
٣٠٦	المبحث التاسع عشر باب وجوب طاعة أولي الأمر
٣٠٩	المبحث العشرون باب وجوب النصيحة في الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٣١١	المبحث الحادي والعشرون باب الشرع وأصول الفقه
٣٣٣	خاتمة البحث
	الفهارس
٣٣٥	فهرست الآيات
٣٥١	فهرست الأحاديث
٣٥٨	فهرست الآثار
٣٥٩	فهرست الأعلام
٣٦٢	فهرست المراجع
	فهرست الموضوعات

مقدمة الباحثة

إن الحمد لله نحمده ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١] ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [البقرة: ١٧٠] ﴿ بَصُلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَتَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد

فإن خير ما تبذل فيه الجهد وتقتضى فيه الأوقات هو عمارة الدنيا بالطاعات والسعي لبلوغ الآخرة بصالح الأعمال. وقد دلت الشريعة الغراء على أن العلم من القربات التي افترضها الله على عبده، فقد أمر الله عز وجل نبيه وخليله محمداً ﷺ بالعلم في أول آية أوحى بها إليه فقال ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١]

وأبان عز شأنه وتقدست أسماؤه ما أعدّه للعلماء من الرفعة يوم القيامة فقال ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١] وفاضل سبحانه وتعالى بين العلماء وغيرهم فقال ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩]. وأوضح تبارك وتعالى أن العلم هو داعية خشيته فقال : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فطر: ٢٨].

والآيات الدالة على فضل العلم وأهله العاملين به كثيرة جداً في كتاب الله تعالى. وقد تظاهرت الأحاديث النبوية الشريفة على الحث على طلب العلم والترغيب فيه وبينت ما أعدّه الله لطلاب العلم من خير في الدنيا وثواب في الآخرة. ولو شئنا أن نتبع هذه الأحاديث لأعيانا حصرها لكثرة ما ورد منها في السنة المطهرة. وقد أورد العلماء والأئمة كثيراً من هذه الأحاديث في ثانيا مصنفاتهم، وقام العلماء بلفراد مصنفات خاصة تبين فضل العلم وأهميته في الإسلام^(١).

(١) أنظر مثلاً كتاب العلم للحافظ أبي عيشة زهير بن حرب النسائي التوفي ٢٣٤هـ وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر

المالكي فقد أحسنا وأجادا رحمهما الله تعالى.

قلت: والعلم المقصود في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إنما هو العلم الشرعي لا غيره، إذ أن كل علم سواه إنما هو تبع له يوجر صاحبه حسب جهده. فقوله عز شأنه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

يعني العلماء من أئمة الدين والشرعة لا أصحاب العلوم الدنيوية التي ليس لها تعلق بأحكام الدين، فهؤلاء لهم ثواب العمل لا ثواب العلم والمعرفة. قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلِيلٌ مَا يَكْفِي السَّاجِدَ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْآخِرَةَ وَهُمْ رَاغِبُونَ إِلَى الْأُولَىٰ وَلَهُمْ فِي السَّاعَةِ الْأُولَىٰ وَالَّذِينَ بَلَغُوا الْمَسَارَافَ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْآخِرَةَ وَهُمْ رَاغِبُونَ إِلَى الْأُولَىٰ وَلَهُمْ فِي السَّاعَةِ الْأُولَىٰ وَالَّذِينَ بَلَغُوا الْمَسَارَافَ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْآخِرَةَ وَهُمْ رَاغِبُونَ إِلَى الْأُولَىٰ وَلَهُمْ فِي السَّاعَةِ الْأُولَىٰ﴾ [الزمر: ١٩]

وقد أشار ناظم هذه الجوهرة العلامة حافظ بن أحمد الحكمي في منظومته القصيدة الميمية في الآداب العلمية إلى ذلك فقال:

- | | |
|----------------------------------|---------------------------------|
| ١. يا طالب العلم لا تبغي به بدلا | فقد ظفرت ورب اللوح والقلم |
| ٢. وقدس العلم واعرف قدر حرمة | في القول والفعل والآداب فالنزم |
| ٣. واجهد بعزم قوي لا انتشاء له | لو يعلم المرء قسدر العلم لم ينم |
| ٤. والنصح فابذله للطلاب محتسبا | في السر والجهر والأستاذ فاحترم |
| ٥. ومرحبا قل لمن يأتيك يطلبه | وفيهما احفظ وصايا المصطفى بهم |
| ٦. والنية اجعل لوجه الله خالصة | إن البناء بغير الأصل لم يقيم |
| ٧. ومن به يبتغي الدنيا فليس له | يوم القيامة من حظ ولا قسم |

ولما كان العلم الشرعي بهذه المثابة فقد وجهت إلى دراسته وتقديمه على غيره من العلوم رغبة في تحصيل المعارف الشرعية محبة لها باذلة لها طاقتي وجهدي ما استطعت، ولما كان تصحيح المعتقد هو أهم العلوم والمعارف إذ به يعبد العبد ربه وخالفه على بصيرة وعلم، فقد وجهت أيضاً لدراسة العقيدة في مراحلها الدراسية داخل وخارج المملكة وقد كان من توفيق الله ونعمته عليّ أن انتدبت بعد تخرجي من الدراسة الجامعية من التعليم العام إلى الكلية المتوسطة بصامطة ومن توفيق الله لي أيضاً أن اخترت من قبل عمادة الكلية لتدريس مادة العقيدة، وبعد مرور سنتين رأيت أنه لا بد لي من التزود بالعلم والمعرفة في هذا المجال بصورة أدق وأعمق فتقدمت لهذه الكلية بطلب الالتحاق بها لمواصلة دراستي العليا فكان ما ترونه اليوم من هذا الجهد المتواضع والله الحمد والمنة.

وكان من توفيق الله تعالى لي أن وقع اختياري على منظومة الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لتكون موضوعاً لبحثي لنيل درجة الماجستير في العقيدة، وقد اخترت هذا الموضوع للأسباب التالية :

١. مكانة الناظم العلمية ، فهو عالم فذ ، وناطقة فريدة شهد له القاصي والداني ممن تتلمذوا على يديه أو قرأوا له.
 ٢. إبراز جهد الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي في الحفاظ على عقيدة السلف والدفاع عنها.
 ٣. اشتغال المنظومة على أصول الدين، بالاعتماد على أمهات كتب العقيدة والتفسير والحديث والأصول.
 ٤. موافقتها لمنهج أهل السنة والجماعة، وردّها على أهل البدع والأهواء وإبطال أقوالهم.
 ٥. تعرضها لبعض المذاهب المعاصرة والرد عليها.
 ٦. عرضها للعقيدة السلفية بأسلوب معاصر سهل جامع موجز تسهيلاً وتقريباً لطلاب العلم.
 ٧. أنها لم تشرح من قبل فرأيت أن أقوم بمجهدى المتواضع بشرحها خدمة للعقيدة السلفية وتحقيقاً للنفع والفائدة منها.
- وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وقسمين وخاتمة.

المقدمة :

وتتضمن أسباب اختيار الموضوع ، وخطة البحث ، والمنهج المتبع فيه.

القسم الأول : الدراسة

المبحث الأول : التعريف بمؤلف المنظومة .

المبحث الثاني : منهج المؤلف في تقرير العقيدة.

المبحث الثالث : التعريف بالجوهرة الفريدة وأهم موضوعاتها.

المبحث الرابع : منهج المؤلف فيها .

المبحث الخامس : مصادر المؤلف التي اعتمد عليها.

المبحث السادس : موقف المؤلف من المبتدعة من خلال هذه المنظومة.

القسم الثاني :

التحقيق والشرح :

المبحث الأول : وصف النسخة المخطوط والنسخة المطبوعة والمعتمدة في التحقيق والشرح .

المبحث الثاني : المنهج المتبع في التحقيق والشرح ويشتمل على :

١) قراءة النص ومقابلة نسخ المنظومة وإثبات الفروق في الهامش.

٢) تقسيم النص إلى وحدات موضوعية كما قسمه المؤلف.

٣) شرح النص شرحاً علمياً بالاعتماد على أمهات كتب العقيدة والتفسير والحديث والأصول.

٤) بيان معاني المفردات الغريبة.

٥) الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

٦) ذكر بعض أقوال السلف الصالح في المواضع التي قد تحتاج لذلك.

٧) الرد على أقوال أهل البدع والأهواء وإبطال أقوالهم.

٨) الترجمة للأعلام غير المشهورين.

٩) التعريف الموجز بالفرق الواردة في النص.

١٠) عمل الفهارس المتنوعة .

أ / فهرس الآيات القرآنية .

ب / فهرس الأحاديث النبوية .

ج / فهرس الآثار .

د / فهرس الأعلام .

هـ / فهرس المصادر .

و / فهرس الموضوعات .

الخلاصة :

وتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها أثناء البحث ، وبعض التوصايا العلمية التي أراها نافعة في

هذا المجال.

والله ولي التوفيق .

القسم الأول

(الدراسة)

(المبحث الأول)

التعريف بالشيخ حافظ الحكمي

- المطلب الأول اسمه ونسبه وقبيلته .
- المطلب الثاني مولده ونشأته .
- المطلب الثالث صفاته الخلقية والخلقية .
- المطلب الرابع نبوغه وأسبابه .
- المطلب الخامس شيوخه .
- المطلب السادس تلاميذه .
- المطلب السابع آثاره العلمية .
- المطلب الثامن شعره .
- المطلب التاسع وفاته وورثاء العلماء له .

التعريف بالشيخ حافظ الحكمي (١٣٤٢-١٣٧٧هـ) (١٩٢٣-١٩٥٨م)

يعد الشيخ حافظ بن أحمد بن علي الحكمي من كبار علماء الإسلام في العصر الحديث، وقد نبغ الشيخ في مجالات العلوم الشرعية المختلفة من فقه وأصول وحديث بجانب اللغة والنحو والأدب، ولم تقتصر شهرة الشيخ حافظ على بلاده بل تعداها إلى جميع البلاد الإسلامية فصار اسماً من بين أسماء العلماء الأعلام، ولا أدل على ذلك من أن العلامة خير الدين الزركلي أدرجه ضمن من ترجم لهم في موسوعته المعروفة (بالأعلام) وهي أكبر موسوعة ترجمة لتوايف العرب والمسلمين منذ الجاهلية حتى القرن الرابع عشر الهجري، ولمكانة الشيخ حافظ العلمية المرموقة ودوره في نشر العقيدة الصحيحة فقد أفرد له الباحثون مجموعة من الكتب والمقالات التي ترجمت له، ولا تزال الدراسات عن الشيخ حافظ وجهوده مستمرة حتى اليوم^(٢).

اسمه ونسبه وقبيلته :

هو حافظ بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن مین بن علي بن مهدي بن أحمد بن الحسين بن علي بن صغير بن علي بن محمد بن علي بن عبده بن عبد الهادي بن صديق بن الطاهر بن أبي القاسم بن علي بن أبي بكر الحكمي الأصغر بن محمد بن علي بن عمر بن عثمان بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الواحد بن الشيخ محمد العواجي بن أبي بكر الحكمي الأكبر.

(٢) أفرد كتاباً عن حياة الشيخ حافظ الحكمي كل من أحمد بن علي علوش مدخلي في كتاب (الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب) وزيد بن محمد بن هادي المدخلي في كتاب (الشيخ حافظ الحكمي، حياته وجهوده العلمية والعملية) وقد ترجم للحكمي أيضاً الزركلي في الأعلام ١٥٩/٢ وأحمد بن حافظ الحكمي في مجلة العرب ٣٣٩/٧ وفي مقدمة معارج القبول (الطبعة الثالثة) ومحمد بن علي السنوسي في مجلة المنهل (الجزء الأول / مجلد ١٩) وهناك أخبار متفرقة عن الشيخ في عدد من المؤلفات التي تحدثت عن النهضة العلمية في الجنوب مثل كتاب النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية لصاحبتها فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي لعمر بن أحمد جردي المدخلي وكتاب السسط الحاوي لأسلوب الداعية الشيخ عبد الله القرعاوي لعلي بن قاسم بن سليمان الفيني وغيرها.

هذا أبعد ما وجد من نسب الشيخ حافظ ، وهي نسبة صحيحة لأن الشيخ كتبها بخط يده ، وقد أوردتها عمر بن أحمد جردي المدخلي في كتابه النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية وعلي بن قاسم بن سليمان الفيغي في كتابه السمط الحاوي لأسلوب الداعية الشيخ عبد الله القرعاوي^(١) وأحمد بن علي علوش مدخلي في كتابه عن الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي^(٢) وابنه الدكتور أحمد الحافظ الحكمي في مقدمة كتاب معارج القبول^(٣) . وأما زيد بن محمد بن هادي المدخلي فقد اكتفى في كتابه عن الشيخ بذكر جده الأول علي بن أحمد^(٤) وكذلك الزركلي في الأعلام^(٥) .

وأما نسبة الحافظ فهي : الحكمي ، وهي نسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة بن مذحج (أشهر وأعظم قبيلة من شعب كهلان) بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان^(٦) ويتنسب إلى هذه القبيلة كثير من العلماء والمصلحين منهم :

- الشيخ صديق بن أبي بكر الحكمي (ت ٨٧٣هـ) .
- والشيخ الهادي بن أبي القاسم بن علي بن أبي بكر الحكمي (ت ٩٣٩ هـ) .
- والشيخ محمد بن صديق بن أبي الفتح الحكمي (ت ٩٧٧ هـ) .
- والشيخ علي بن صديق الحكمي (ت ٩٨١ هـ) .
- والشيخ عمر بن عبد القادر الحكمي (ت ٩٨١ هـ) .
- والشيخ أبو القاسم بن مهدي الحكمي (ت ١٠٦٦ هـ) .

(١) السمط الحاوي لأسلوب الداعية الشيخ عبد الله القرعاوي لعلي بن قاسم بن سليمان الفيغي ص ٩٧ الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ .

(٢) الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ، حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب ص ٣٨ تأليف أحمد بن علي علوش مدخلي ، مكتبة الرشد - الرياض ، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ م .

(٣) مقدمة معارج القبول ، الطبعة الثالثة .

(٤) الشيخ حافظ الحكمي ، حياته وجهوده العلمية والعملية لزيد بن محمد بن هادي المدخلي ص ٣٣ ، دار علماء السلف - الإسكندرية ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ / ١٩٩٣ م .

(٥) الأعلام للزركلي ١٥٣/٢ دار العلم للملايين ، البيان - بيروت ، الطبعة السابعة ١٩٨٦ م .

(٦) الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ٣٨ . انظر : معجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة ٢٨٦/١ مؤسسة الرسالة : الطبعة السادسة ١٩٩١ م .

مولده ونشأته :

ولد الشيخ حافظ - رحمه الله تعالى - بقرية السلام التابعة لمدينة المضاي الواقعة بجنوب المملكة العربية السعودية لأربع وعشرين ليلة مضت من شهر رمضان سنة ١٣٤٢ هـ وانتقل مع والديه وهو صغير إلى قرية الجاضع وعمل في رعي غنم والده مع أخيه الأكبر محمد الحكمي، بدأ حافظ في حفظ القرآن الكريم وقراءة بعض المتون أثناء رعي الغنم وكانت نفسه تترع للتعليم والتفقه في الدين ، وفي تلك الأيام جاء إلى المنطقة الشيخ الداعية عبد الله القرعاوي قادماً من نجد لنشر العلم والعقيدة السلفية بالجنوب ، فلما سمع به حافظ كتب إليه رسالة بعثها مع أخيه محمد يخبره فيها برغبته في العلم، وفي سنة ١٣٥٩ هـ التقى الشيخ القرعاوي بحافظ لأول مرة فأعجب به وبذكائه فطلب من والديه الإذن ليصطحبه للدراسة بمدرسته بصامطة . ولكن الأبوين لم يأذنا له بذلك لحاجتهما له في رعي الغنم ، وبعد عام من ذلك - أي في سنة ١٣٦٠ هـ - توفيت والدته حافظ ثم تبعها أبوه في نفس العام وهو قادم من الحج، وهنا تفرغ حافظ للعلم فلاحق بالشيخ عبد الله القرعاوي بصامطة فاحتفى به الشيخ في مدرسته . ومن ذلك التاريخ بدأت رحلة حافظ مع شيخه عبد الله القرعاوي، ولم تمض سوى سنوات قلائل حتى كان حافظ أعلم تلاميذ مدرسة صامطة مما جعل الشيخ القرعاوي يوكل إليه وضع مقرر الدراسة وتأليف المتون العلمية للطلاب، وكان أول عمل قام به حافظ هو تأليف منظومة (سلم الوصول في علم الأصول) ، وقد تم كل ذلك في وقت قياسي لم يتسن لأحد من أقرانه .

وفي سنة ١٣٦٣ هـ أي بعد ثلاثة سنوات من التحاق حافظ بمدرسة صامطة أوكل له الشيخ عبد الله القرعاوي إدارة المدرسة وتفرغ هو للتجول على بقية المدارس التي أنشأها في المناطق المجاورة^(١).

وفي سنة ١٣٦٦ هـ حج الشيخ القرعاوي وقابل ولي العهد الأمير سعود بن عبد العزيز وكبار المسؤولين عن التعليم ، وفي أول المحرم سنة ١٣٦٧ هـ استدعى الشيخ عبد الله القرعاوي حافظ إلى مكة وزوجه ابنته تكريماً له ولعلمه^(٢).

(١) السمط الحواوي لأسلوب الداعية الشيخ عبد الله القرعاوي ص ٤٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٦١ .

تجول الشيخ حافظ في كل من السلامة العليا من قرى ييش وأم الخشب ومدينة صبيا ومدينة
ضمد، وكان في كل مدينة يدخلها يلقي الدروس على طلبة العلم ويقرأ عليهم الأمهات الست
فأفاد الله به خلقاً من الناس.

وفي عام ١٣٧٢هـ تم تعيين الشيخ حافظ مديراً لمدرسة جازان التابعة لوزارة المعارف
فاستمر في إدارتها وتربية طلابها حتى تأسس المعهد العلمي بصامطة سنة ١٣٧٤هـ فتولى إدارته
والتدريس فيه وتأليف مقرراته ومناهجه ، واستمر على ذلك حتى وافاه الأجل المحتوم سنة
١٣٧٧هـ^(١).

صفاته الخلقية والخلقية .

كان الشيخ حافظ -رحمه الله- ربعة أسمر اللون ، مستدير الوجه ، مفلج الأسنان ، خفيف
اللحية والعارضين أقرن الحاجبين^(٢).

وكان -رحمه الله- آية في الورع والزهد وخشية الله ، مع الاشتغال بما يعنيه من علم
وتدريس وتأليف وعبادة، وكان حسن المعاملة مع جميع الناس على اختلاف طبقاتهم ومراكزهم،
ولذلك أحبه الناس ووقروه بما لا مزيد عليه من توقير العلماء، قال زيد بن محمد بن هادي المدخلي
(وكنا نستدل بذلك التقدير والاحترام والمحبة والطاعة الشرعية على أن الله قد وضع له القبول في
الأرض بعد أن أحبه وأحبته الملائكة في السماء، وجعل له لسان صدق يذكر به أيام حياته وبعد
مماته ، إذ هو بحق وصدق قدوة حسنة ومثال يحتذى في صدق التعامل مع الله خالقه وبارئه وحسن
التعامل مع عباد الله على اختلاف طبقاتهم وشتى مستوياتهم^(٣)).

وقال عمر بن أحمد جردي المدخلي (هو مربع القامة ، أسمر اللون ، خفيف اللحية، قوي
البنية، نشيطاً صحيحاً في بدنه ، مرحاً مع زملائه ، كان يداعبهم ويغلبهم ، وكان آمراً بالمعروف
وناهياً عن المنكر ، كان مساعداً للشيخ عبد الله ومساعداً في دعوته ويتجول على مدارس الشيخ

(١) الشيخ حافظ الحكمي ، حياته وجهوده العلمية والعملية لزيد بن محمد بن هادي المدخلي ص ٤٤ .

(٢) الشيخ حافظ الحكمي حياته وجهوده العلمية والعملية ص ٣٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٣ . وانظر أيضاً السمط الحاروي ص ١١٧ .

علي حمار اشتراها لهذا الشأن ، وكان حافظ مع الشيخ عبد الله بمحلة الروح من الجسد لا يخالف له أمراً (١٤).

وقال أيضا في موضع آخر من كتابه (كان - رحمه الله - زاهدا عن الدنيا عازفا عنها همه وهمته طلب العلم وتعليمه وبيانه للناس قولاً وعملاً ، ومن زهده لم يشغل نفسه بالدنيا ولا بحطامها ، ولا بجمع المال منها (١٥).

وقد حفظ لنا مترجموا الشيخ حافظ أبياتا قالها ردا على أحد الذين امتدحوه ، وهذه الأبيات تكشف لنا عن نفسية الشيخ واعتزازه بالله وحده وزهده في مدح الناس إذ هو لا يعلم ما له عند الله ، أو بما يحتم الله له ، وهذا شأن الورع الذي يرجو الله ولا يأمن مكره . يقول الشيخ في هذه الأبيات وهي من نفس بحر وروى القصيدة التي مدح بها (١٦):

- | | |
|------------------------------------|------------------------------|
| ١. عادت عليكم تحيمات مضاعفة | أما المديح فمالي حاجة فيه |
| ٢. ولست أرضاه في سر ولا علن | ولست أصغي إلى من قام ينشيه |
| ٣. إذ يورث العبد إعجابا يسر به | وما جناه من الزلات ينسيه |
| ٤. ما لي وللمدح والأملك قد كتبوا | سعى جميعا ورب العرش محصيه |
| ٥. ولست أدري بما هم فيه قد سطوروا | وما بقى أي شيء صانع فيه |
| ٦. وما اغتراري بأهل الأرض لو مدحوا | وفي السماوات ذكرى لست أدريه |
| ٧. إياكموا أن تعبدوا مثلها أبدا | فاستقبل النصح مني حيث أمليه |
| ٨. لكن على غير من هذا أدلكموا | إن تقبلوه فما شيء يساويه |
| ٩. دعاكموا لي بظهر الغيب لاسيما | وقت الإجابة في الأسحار تلفيه |
| ١٠. والنصح للمسلمين أبذله مبتغيا | وجه الإله به للدين تحييه |
| ١١. والعرف فأمر به والمنكر أنه عنه | وكن لله حبك والبغض اجعلن فيه |
| ١٢. بدون ذا لم تنل قط ولايته | فإن ربك مولى من يواليه |
| ١٣. والحمد لله مع أزكى الصلاة على | غير الأنام وصحب ثم تاليه |

(١٤) النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٦٩ .

(١٥) المرجع السابق ص ١٨٣ .

(١٦) المرجع السابق ص ١٨٠ والسمط الحاروي ص ١١٧ ، والشيخ حافظ الحكيم حياته وجهوده العلمية والعملية لزبد بسن

محمد بن هادي المدخلي ص ٣٨ .

فهذا الشعر من أنفـس ما قيل في هذا المعنى، وقل أن نجد من العلماء من رفض مدح الشعراء وعلل رفضه بهذه الفصاحة والوضوح والعلم، أما العامة من الناس وأصحاب الرئاسات والوجهاء وأصحاب المناصب الدنيوية فإنهم يسمعون لمدح الشعراء بكل حيلة ويبدلون لهم الأموال الطائلة نظير ما يمدحونهم به رجاء أن يخلدوا أسماءهم في كتب الأدب، وهم في ذلك لا يبالون بما قاله الشاعر إن صدقاً وإن كذباً، وما يفيد مدح الشاعر إذ كان الممدوح ممن لا وزن له عند الله؟ وما يضر هجاؤهم إذا كان المهجو من أولياء الله؟ .

نبوغه وأسبابه :

عاش الشيخ حافظ الحكمي خمسة وثلاثين عاماً إذ ولد سنة ١٣٤٢هـ وتوفي سنة ١٣٧٧هـ، وبعد هذا العمر قصيراً بالنسبة لأعمار كثير من علماء الأمة، ولكن الحكمي برغم قصر عمره حقق ما لم يستطع المعمرون تحقيقه، فنحن نجد بعد سنوات فقط من التحاقه بمدرسة الشيخ القرعاوي يصل إلى مرتبة كبار العلماء والمؤلفين في علوم الشريعة وهذا ما لم نسمعه إلا عن أفاض العلماء في التاريخ، ولا شك أن الله تعالى قد وهب الحكمي من الذكاء وقوة الحافظة فوق ما أعطى الآخرين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

هناك قصة تروى بشأن نبوغ الحكمي تقول أن امرأة صالحة من أشراف مدينة صامطة - وهي أم الشريف منصور بن حمود مكرمي والشريف أحمد بن حمود مكرمي - رأت فيما يرى النائم كأن الليل مظلم ظلمة شديدة وإذا هي بلبن يصب في فم ولد مستلق على ظهره في دار خلوة طياش والد الشيخ ناصر بن خلوة، وقد عبرت هذه الرؤيا فيما بعد أن اللبن هو العلم النافع وأن الولد المستلقي هو حافظ بن أحمد الحكمي، وذلك لأن المدرسة التي قرأ فيها حافظ بنيت بدار خلوة طياش والد الشيخ ناصر بن خلوة طياش مبارك^(١).

إن أسباب نبوغ الشيخ حافظ الحكمي ترد - بعد تقدير الله تعالى - إلى عدة أمور منها^(٢):

(١) النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية لصاحبتها فضيلة الشيخ عبد الله القرعاوي لعمر بن أحمد جردي

المدخلي ص ٤٤ (دار النشر مجهولة وبدون تاريخ).

(٢) للتوسع في هذه الأسباب انظر : الشيخ حافظ الحكمي ، حياته وجهوده العلمية والعملية لزهد بن محمد بن هادي المدخلي

- ١- إخلاص النية في طلب العلم ، فمن أخلص نيته لله لم ينجيب الله رجاءه.
- ٢- طاعة الله تعالى في السر والعلن ، قال الإمام الشافعي رضي الله عنه فيما يروى عنه :
 ١. شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
 ٢. وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يعطى لمعاصي

٣- توجيه الشيخ عبد الله القرعاوي لحافظ والأخذ بيده ومهيد الطريق له لتحقيق العلم بمساعدته المادية والمعنوية.

شيوخه :

تفترض سعة معارف الشيخ حافظ وإحاطته بأنواع العلوم المختلفة وجود عشرات الشيوخ الذين تتلمذ عليهم حتى تمت له المعرفة الشاملة في الفقه والحديث والأصول والأدب والنحو واللغة وغيرها، ولكن الواقع على خلاف هذا الافتراض، إذ ليس للشيخ حافظ سوى شيخ واحد تلقى عليه العلوم وهو الشيخ عبد الله القرعاوي، فجميع من ترجم لحافظ لا يذكر غيره، نعم هنالك بعض الإفادات من بعض أقرانه وشيوخ عصره لكنها لا ترقى أن تكون (مشيخة) بالمعنى المعروف، وعلى كل حال فإننا نستطيع تحديد من أفاد منهم الشيخ حافظ فيما يلي :

١- الشيخ عبد الله القرعاوي^(١):

لا يذكر الشيخ حافظ الحكمي إلا ويذكر معه الشيخ عبد الله القرعاوي، فقد كان الشيخ القرعاوي صاحب الفضل بعد الله عز وجل في توجيه حافظ للعلم وترغيبه فيه وعنايته أثناء دراسته، فقد رعاه صغيراً وتكفل بإعاشته في مدرسة صامطة وزوجه ابنته، والشيخ القرعاوي هو العلامة الجليل أبو محمد عبد الله بن محمد بن حمد بن محمد بن عثمان بن علي بن نجيد القرعاوي، نسبة إلى قرعاء إحدى قرى القصيم، ولد الشيخ القرعاوي سنة ١٣١٥هـ في مدينة عنيزة وتوفي أبوه وهو حمل في بطن أمه فنشأ في حجر أمه، وقد أحسنت تربيته وعينت بتعليمه فحفظ القرآن

(١) بتلميح من السمت الحاوي لأسلوب الداعية الشيخ عبد الله القرعاوي ص ٤٣ . وانظر كذلك : حافظ بن أحمد

الحكمي، حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب ص ٦١-٦٤ .

في الرابعة عشرة ، وقد قام الشيخ القرعاوي بعدة رحلات لطلب العلم فسافر للبصرة وبمجيء الهند ، وفي الهند التحق القرعاوي بالمدرسة الرحمانية بدلهي وقضى بها ثمان سنوات هي مسدة الدراسة وتخرج بها ونال الشهادة العالمية سنة ١٣٥٧هـ . تلقى القرعاوي العلم على يد كثير من علماء نجد وغيرهم منهم :

الشيخ عبد الله بن مانع في عنيزة .

والشيخ عبد الله السليم ، والشيخ عمر بن سليم في بريدة .

والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في الرياض .

والشيخ عبد العزيز بن بشر في الأحساء .

والشيخ محمد بن مانع في قطر .

والشيخ عبد الله العنقري في الجمعة .

وقد قام الشيخ القرعاوي بمجهود دعوية كبيرة في جنوب المملكة العربية السعودية وكان له أسلوبه الخاص والمميز في الدعوة ، وللباحثين كتب مفردة ترجموا فيها للشيخ القرعاوي وبنسوا جهوده في الدعوة السلفية^(١).

يقول أحمد بن علي علوش مدخلي (ويعتبر الشيخ عبد الله القرعاوي هو الشيخ الوحيد لتلميذه حافظ إذ يعود إليه الفضل -بعد الله تعالى- في اكتشافه ورعايته وتدرسه مذهب السلف وتوفير الكتب له من كل مكان، بل سكن الشيخ معه في بداية الطلب ما يقارب أربع سنوات حتى ذكر أنه غداً عالماً يشار إليه بالبنان، بل اعترف تواضعاً أن تلميذه حافظ فاقه في العلم والنشاط ، ويتضح ذلك من رسالة كتبها الشيخ لولي العهد سعود بن عبد العزيز رحمه الله حوالي عام ١٣٧١هـ أثني فيها ثناءً عطراً على تلميذه حافظ^(٢).

(١) منها السمط الحاروي لأسلوب الشيخ عبد الله القرعاوي في نشر التعليم بجنوب المملكة العربية السعودية لعلي بن قاسم بن

سليمان الفيغي.

(٢) الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ٦٣ .

٢- الشيخ محمد بن أحمد بن علي الحكمي :

وهو أخو الشيخ حافظ الأكبر^(١)، ولد في قرية الجاضع سنة ١٣٣٧هـ وتلقى الدراسة في كتاب القرية بعد بلوغه سن السابعة ، قام محمد بتعليم أخيه حافظ القراءة والكتابة قبل وصول الشيخ القرعاوي للمنطقة ، وبعد وصول الشيخ القرعاوي التحق محمد وأخوه حافظ بمدرسته وصارا من الأقران ، وتدرج الشيخ محمد في مناصب التدريس وتنقل في عدة مدارس ومعاهد حتى تاريخ إحالته على التقاعد سنة ١٤٠٢هـ ، يدخل الشيخ محمد ضمن شيوخ حافظ لأنه هو الذي علمه القراءة والكتابة ، فهو واضع اللبنة الأساسية في حياة حافظ العلمية^(٢).

٣- الشيخ محمد عبد الرازق حمزة :

من علماء الأزهر ، ولد بقرية كفر عامر بالقليوبية بمصر سنة ١٣١١هـ ، درس في قريته ثم انتقل إلى الأزهر ودرس به ، أسندت إليه إمامة وخطابة المسجد النبوي سنة ١٣٤٧هـ وعمل مدرسا للحديث في الحرم المكي سنة ١٣٤٨هـ ، له عدة مؤلفات منها: ظلمات أبي رية والمقابلة بين الهدى والضلال والشواهد والنصوص ، توفي رحمه الله بمكة سنة ١٣٩٢هـ^(٣).

درس الشيخ حافظ علي الشيخ محمد عبد الرازق حمزة في فترات متقطعة أكثرها بعد الحج ، وفي سنة ١٣٦٧هـ بقي حافظ بمكة أكثر من أربعة أشهر أتاها له المزيد من الأخذ عن الشيخ حمزة ، فكان يدرس عليه مرتان ، مرة مع جملة الطلاب ومرة منفردا ، وقد أخذ حافظ من حمزة علوم اللغة وخاصة البلاغة^(٤).

٤- الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني :

ولد الشيخ عبد الرحمن بقرية المحاقرة برازح في اليمن سنة ١٣١٣هـ وفيها حفظ القرآن وهو صغير السن ، التحق بعدها بالمدرسة الحكومية بالحجرية فتعلم الحساب واللغة التركية ثم تحول في أنحاء اليمن طلبا للعلم ، ارتحل بعدها إلى الهند ودرس الحديث في حيدر أباد ثم عاد إلى حيدر أباد

(١) يكبر الشيخ حافظ بخمس سنوات .

(٢) حافظ بن أحمد الحكمي ، حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب ص ٦٠-٥٨ .

(٣) الأعلام للزركلي ٢٠٣/٦ .

(٤) حافظ بن أحمد الحكمي ، حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب ص ٦٥-٦٦ .

فتولى رئاسة القضاء بالمنطقة ولقب بشيخ الإسلام، وفي سنة ١٣٤٢هـ عاد إلى الهند وعمل مصححاً
لكتب الحديث في دائرة المعارف العثمانية بمحدر آباد عين أميناً لمكتبة الحرم المكي سنة ١٣٧٢هـ —
وبقي في هذا المنصب حتى وفاته سنة ١٣٨٦هـ حقق عدداً من كتب الحديث مثل تذكرة الحفاظ
للذهبي والجرح والتعديل لابن أبي حاتم والفوائد المجموعة للشوكاني وغيرها ، من مؤلفاته كتاب
التكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ومقدمته طليعة التكيل، رحمه الله^(١).

كان الشيخ حافظ الحكمي يزور المعلمي في مكتبة الحرم ويدرس عليه علوم الحديث وكان
المعلمي يعجب بحافظ ويقدره ، وقد قام المعلمي بمراجعة بعض كتب الشيخ حافظ أثناء طبعها^(٢).

هذا ما وقفنا عليه من شيوخ حافظ، وما ذكرناه يتبين أن أهم شيوخه وأولهم هو الشيخ عبد
الله القرعاوي .

رحم الله الجميع وغفر لهم ، وأسكنهم فسيح جناته.

تلاميذه :

لم يكن الشيخ حافظ الحكمي من أولئك الشيوخ الذين اقتصرتهم جهودهم في التدريس على
حلقات العلم التي يأتيها من يأتيها ويتركها من يتركها، ولكنه كان معلماً في مؤسسات علمية تخرج
طلاب العلم بانتظام وفي دفعات سنوية ، ومن هنا كثر عدد تلاميذ الشيخ حافظ وصعب إحصاؤهم
وبالطبع فليس كل من تتلمذ على يد الشيخ حافظ بلغ من العلم مبلغاً يستحق معه أن يترجم له مع
تلاميذ حافظ، إذ أن البعض وقف في حد معين في الدراسة بينما تابع الآخرون، ولذلك فسندكر هنا
من تلاميذ حافظ من استمر في طلب العلم وارتقى في درجاته ومن كانت له آثار علمية منشورة أو
جهود دعوية واضحة، ولن نستقصى الأسماء بل سنكتفي بالمشهورين^(٣).

(١) حافظ أبو أحمد الحكمي حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب ص ٦٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٨ .

(٣) ومن أراد التوسع في معرفة تلاميذ الشيخ حافظ فعليه بكتاب : حافظ بن أحمد الحكمي ، حياته ومنهجه في تقرير

العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب في المبحث الذي خصص لتلاميذه ص ٧٣-٩٧ .

١٢- الدكتور الشيخ / ربيع بن هادي المدخلي^(١)

من مواليد قرية الجرادية عام ١٣٥٢ هـ درس بمعهد صامطة العلمي حتى تخرج منه عام ١٣٨٠ هـ ثم التحق بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة في أول افتتاحها ثم تخرج مع أول دفعة من الجامعة الإسلامية عام ١٣٨٥-٨٤ هـ عمل مدرساً بالمعهد الثانوي بالجامعة ثم انتدب للتدريس في الجامعة السلفية بنائي بالهند تحصل على الماجستير من جامعة أم القرى ثم الدكتوراة من جامعة أم القرى عام ١٤٠٠ هـ عمل مدرساً بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وتدرج في كادرها الجامعي حتى وصل إلى درجة أستاذ ثم أحيل للتقاعد .

قام بأعباء الدعوة في كثير من دول العالم كالعهد والباكستان واليمن والصومال وكينيا على منهج أهل السنة والجماعة يدافع عن السنة والعقيدة بكل ما أوتي من وسائل وله ردود على بعض مخالفيه . من مؤلفاته : ١- مكانة أهل الحديث ٢- كشف موقف الغزالي من السنة ٣- أضواء إسلامية على بعض الأفكار الخاطئة ٤- المدخل إلى المستدرك للحاكم ٥- صد عدوان الملحدين وجواز الاستعانة بغير المسلمين ٦- قاعدة جلية في التوسل والوسيلة لابن تيمية تحقيق ٧- منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب .

١٣- الشيخ الدكتور علي محمد ناصر الفقيهي^(٢)

من مواليد سنة ١٣٥٤ هـ ، درس بمعهد صامطة العلمي وتخرج بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ونال درجتي الماجستير والدكتوراة من جامعة أم القرى . عمل بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مدرساً حتى وصل إلى درجة أستاذ . قام بتحقيق عدة كتب من كتب الأئمة منها : ١- الرد على الجهمية ٢- وكتاب الإيمان ٣- وكتاب التوحيد ، وكلها للإمام الحافظ بن منده ٤- الأربعين في دلائل التوحيد ، للإمام المروزي ٥- كتاب الرؤية والرزول ، للإمام الدار قطني ٦- كتاب الحيدة للإمام الكناي ٧- كتاب الإمامة والرد على الرافضة كلاهما للحافظ أبي نعيم الأصبهاني . المؤلفات : ١- منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان ٢- الفتح المبين في الرد على نقد كتاب الأربعين ٣- الرد القويم البالغ في الرد على الكتاب المسمى بالحق الدامغ ٤- الوصايا في الكتاب والسنة .

(١) من أراد التوسع في ذلك فعليه بكتاب فرحة النظر للشيخ أحمد الشفيعي المعافا ج ١ - ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٢) هو أستاذي المشرف على هذه الرسالة متعه الله بالعافية والحياة الطيبة

١٤- الشيخ الدكتور طاهر أحمد طاهي^(١):

من مواليد سنة ١٣٥٦هـ ، درس بمعهد صامطة العلمي وتخرج بكلية الشريعة بالرياض، نال درجتي الماجستير والدكتوراة بجامعة أم درمان الإسلامية، عمل مسئولاً عن الدعوة في أثيوبيا وإرتريا والصومال، تقلد عدة مناصب آخرها ملحقاً دينياً بسفاري المملكة بمسقط والخرطوم. أشرف على المناظرة التي جرت بالخرطوم بين مجموعة من النصارى وعلماء المسلمين وأدت إلى إسلام تلك المجموعة ، والمناظرة مطبوعة متداولة .

رحم الله من مات من تلاميذ الشيخ ، وبارك للأحياء في حياتهم ونفع بهم .

آثاره العلمية :

خلف الشيخ حافظ الحكمي رغم قصر عمره آثاراً علمية جلية سيبقى أثرها عميقاً بين أبناء الأمة الإسلامية ، وقد نفع الله بمؤلفات الشيخ حافظ فأفادت كثيراً من الناس في تصحيح عقائدهم المنحرفة في المملكة العربية السعودية وخارجها من بلاد الإسلام الواسعة ولا أدل على ذلك من الطباعات المتعددة لكتب الشيخ حافظ التي تنتشر في جميع أرجاء الأرض الآن ، وتتميز أكثر آثار الشيخ حافظ بأنها رسائل ومنظومات صغيرة الحجم^(٢) ولكنها مع ذلك تحمل بين طياتها علماً غزيراً لا يوجد إلا في مؤلفات حافظ فيما يلي :

١- سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول ﷺ^(٣).

ألفه بتوجيه من شيخه عبد الله القرعاوي سنة ١٣٦٢هـ ، وهو منظومة في أصول الدين عدد أبياتها ٢٧٠ بيتاً ، وقد قسمها إلى مقدمة وأحد عشر فصلاً وخاتمة ، وقد طبع سلم الوصول عدة طباعات في حياة الشيخ وبعدها.

(١) وهو والدي حفظه الله تعالى ومتمتع بالعافية .

(٢) وصف الزركلي مؤلفات الشيخ حافظ في الأعلام ١٦١ / ٢ بقوله (وكلها رسائل) وهو خطأ والصواب (وأكثرها رسائل).

(٣) السمعط الحواوي ص ١١٩ ، الأعلام ١٥٩/٢ ، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٢ ، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٥ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكسي لأحمد بن علي علوش مدخلي

٢- معارج القبول^(١).

وهو شرح سلم الوصول السابق ، وهو أكبر مؤلفات الشيخ حافظ إذ يقع في مجلدين وقد أكمل تأليفه سنة ١٣٦٦هـ ، طبع الكتاب لأول مرة سنة ١٣٧٧هـ ثم توالى طباعته بعد ذلك ، وأفضل طباعته الطبعة المحققة على يد ابنه الدكتور أحمد بن حافظ الحكمي سنة ١٤٠٤هـ .

٣- الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة^(٢).

وهي منظومة في تقرير عقيدة السلف ، طبعت مرة واحدة بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣هـ ، وهي موضوع دراستنا ، قال أحمد بن علي علوش مدخلي (وهذا النظم بحاجة إلى شرح موجز يفصل أدلته ويوضح مجمله)^(٣) نرجو أن نكون قد حققنا ذلك.

٤- أعلام السنة المشهورة لاعتقاد الطائفة المنصورة^(٤).

وهو في العقيدة ، ألفه الشيخ على طريقة السؤال والجواب ، وقد حققه أحمد بن علي علوش مدخلي .

٥- مفتاح دار السلام بتحقيق شهادتي الإسلام^(٥).

وهي في شروط شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ وأدلتها من الكتاب والسنة ، وقد أدرجت الرسالة ضمن كتاب معارج القبول.

(١) السمت الحاوي ص ١١٩ ، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٢ الأعلام ١٥٩/٢ الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٥ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٣٦ .

(٢) السمت الحاوي ص ١١٩ ، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٣ ، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٥ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٤٦ .

(٣) حافظ بن أحمد الحكمي ، حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب ص ١٥١ .

(٤) السمت الحاوي ص ١١٩ ، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٢ . الأعلام ١٥٩/٢ ، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٥ .

(٥) الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٩ والشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٥١ .

٦- رسالة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقد أشار إليها الشيخ حافظ في كتابه أعلام السنة المنشورة ^(١).

٧- دليل أرباب الفلاح لتحقيق فن الإصلاح ^(٢).

وهو في مصطلح الحديث ، ألفه سنة ١٣٦٥هـ لطلاب المدرسة السلفية بصامطة ويقع في ١٧٤ صفحة. طبع طبعة واحدة كثيرة التحريف سنة ١٣٧٤ هـ وقد أشرف المعلمي على طباعة ثلاث ملازم منه وصنع جدولاً للخطأ والصواب لبقية الملازم.

٨- مختصر دليل أرباب الفلاح ^(٣).

وهو مختصر الكتاب السابق في نحو الربع .

٩- اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون ^(٤).

منظومة في علم مصطلح الحديث وتقع في ٣٤٠ بيتاً ، نظمها الشيخ سنة ١٣٦٦هـ — ، طبعت طبعة واحدة في حياة المؤلف .

١٠- السبل السوية لفقه السنن المروية ^(٥).

وهي منظومة في الفقه تزيد على ٢٢٠٠ بيت ، طبعت عدة طبعات أولها في حياة المؤلف سنة ١٣٧٣هـ وقد شرحها تلميذه الشيخ زيد بن محمد هادي المدخلي في كتاب الأفنان الندية في ستة مجلدات.

(١) أعلام السنة ص ٨٩ مطابع الجزيرة العربية .

(٢) السمعط الحاوي ص ١٢٠، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٣، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٥، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٥٤.

(٣) الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٦٣ .

(٤) السمعط الحاوي ص ١٢٠، الأعلام ١٥٩/٢، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٣، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٦، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٦٤.

(٥) السمعط الحاوي ص ١٢٠، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٢، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٦، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٦٨.

١١- النور الفائق من شمس الوحي في علم الفرائض^(١).

وهي رسالة في الموارث تقع في ٤٦ صفحة ألفها سنة ١٣٦٤هـ ، وقد طبعت طبعة واحدة سنة ١٣٧٣هـ .

١٢- وسيلة الوصول إلى مهمات الأصول^(٢).

وهي منظومة في أصول الفقه نظمها سنة ١٣٧٣هـ وتقع في ٦٤٠ بيتا ، طبعت عدة طبعات أولها في حياة المؤلف سنة ١٣٧٣هـ .

١٣- لامية المنسوخ^(٣).

وهي منظومة في النسخ والمنسوخ نظمها قبل عام ١٣٧١هـ وتقع في ١٣٢ بيتا ، طبعت مرة واحدة مع اللؤلؤ المكنون سنة ١٣٧٣هـ .

١٤- شرح الورقات للجويني^(٤).

وهو شرح للورقات في أصول الفقه لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن يوسف الجويني ، وقد أملاه الشيخ حافظ علي طلابه ، ولا يزال مخطوطا .

١٥- نيل السؤل في تاريخ الأمم وسيرة الرسول ﷺ^(٥).

وهي منظومة في التاريخ في ٩٧٤ بيتا ، طبعت مرة واحدة في حياة المؤلف سنة ١٣٧٣هـ .

(١) السط الحاي ص ١١٩ ، الأعلام ١٥٩/٢ ، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٣ ، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٩ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٨٣ .

(٢) السط الحاي ص ١١٩ ، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٢ ، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٦ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٨٩ .

(٣) السط الحاي ص ١١٩ ، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٣ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٩٥ .

(٤) الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٩ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ٢٠١ .

(٥) السط الحاي ص ١٢٠ ، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٢ ، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٧ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ٢٠٣ .

١٦- نصيحة الإخوان عن تعاطي القات والتبغ والدخان^(١).

وهي منظومة في التحذير من القات والتبغ والدخان نظمها سنة ١٣٦٧هـ فجلت في ٤٢ بيتاً، فرد على الشيخ بعض علماء اليمن في خمسين بيتاً فأجابه الشيخ بأبيات أخرى فبلغ عدد أبيات المنظومة ١٩١ بيتاً. طبعت المنظومة مرة واحدة في حياة الشيخ سنة ١٣٧٤هـ .

١٧- المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية^(٢).

وهي في الآداب في ٢٤٦ بيتاً . طبعت عدة مرات أولها في حياة المؤلف سنة ١٣٧٣هـ.

١٨- همزية الإصلاح^(٣).

وهي قصيدة طويلة عدد أبياتها ٢٠٢ بيتاً نظمها المؤلف بمناسبة توطين اليهود بأرض فلسطين عام ١٩٤٨م.

١٩- القصيدة الهائية في الزهد^(٤).

وهي في الزهد والتقلل من الدنيا وتقع في ٣٨ بيتاً ، وقد طبعت القصيدة مع شرحها لزيد بن محمد هادي مدخلي سنة ١٤٠٧هـ وفي كتاب النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية^(٥) والسمط الحاوي^(٦) وأبيات القصيدة الأولى تقول :

(١) السمط الحاوي ص ١٢٠، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٣، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٧، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ٢١٠.

(٢) السمط الحاوي ص ١٢٠، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٢، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٧، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ٢١٥.

(٣) الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٩، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ٢٢٤.

(٤) الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٨، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ٢٣١.

(٥) النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٨٣-١٨٥ .

(٦) السمط الحاوي ص ١١٣-١١٥ .

١. ومالي وللدنيا وليست ببغيتي ولا منتهى قصدي ولست أنا لها
٢. ولست بمجال إليها ولا إلى رئاستها تتأ وقبحاً لحامها
٣. هي الدار دار الهم والغم والعنا سريع تقضيها قريب زوالها

هذه هي مؤلفات الشيخ حافظ الحكمي المطبوعة والمخطوطة، وهناك آثار غيرها من الخطب والأشعار والأُمالي التي كان يعلِّمها الشيخ على طلابه، ومن أراد التوسع في معرفة كتب الشيخ ومنهج في تصنيفها فعليه بالمؤلفات التي أفردت لذلك خاصة كتاب (الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي) لأحمد بن علي علوش، فقد أجاد الكاتب في وصف مصنفاته.

شعره :

كان الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي شاعراً كبيراً بجانب علمه في العلوم الشرعية ولذلك فقد ترجم له الزركلي بقوله (فقيه أديب من علماء جيزان) ^(١) فجمع له بين الفقه والأدب، وقد حفظ لنا مترجمو الشيخ عدداً من قصائده التي تدل على تمكنه من قول الشعر لكن شعر حافظ كان كغيره من شعر العلماء ملتزماً بقضايا معينة ولذلك ترك كثيراً من الأغراض الشعرية كالغزل والوصف والهجاء وغيرها من الأغراض المنبوذة التي تزري بالعلماء وقد اقتصر شعر حافظ بمدح أولي الأمر ومداعبة الأصدقاء ومعاتبتهم والتهاني في المناسبات.

ومن الأبيات الطريفة التي قالها حافظ يداعب فيها تلميذه وصديقه الشيخ حسن بن زيد النجدي عندما رأى كتبه جديدة لم تقرأ :

١. بيت الشيخ كتب قد شرها وجمعها ولكن ما قراها
٢. وطابت نفسه منها بسلوى إذا فتح المكان بأن يراها
٣. وينظر في قطائعها ويمضي وهل تدري القطائع ما وراها
٤. فوا أسفى على الأيام ضاعت سدى وقضى على نفسي كراها
٥. وقد قنعت من العليا بدون وباعتها ببغيتي في شرها

ومن أراد الوقوف على أكثر شعر حافظ فلينظره في كتاب (الشيخ حافظ الحكمي حياته وجهوده العلمية والعملية) لزيد بن محمد هادي مدخلي والسمط الحاروي لعلي بن قاسم سليمان الفيغي.

وفاته ورثاء العلماء له :

توفي الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي بعد حياة قصيرة عامرة بالطاعات والدعوة إلى الله بعد أداء مناسك الحج ضحى يوم السبت ١٨ من ذي الحجة سنة ١٣٧٧هـ بمستشفى الزاهر بمكة المكرمة وصلى عليه في الحرم المكي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله ودفن بمقابر العدل بمكة، رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة في الدار الآخرة.

- وقد خلف الشيخ رحمه الله من الأولاد سبعة ، أربعة أبناء وثلاث بنات، والأبناء هم :
- ١- الدكتور أحمد بن حافظ الحكمي الأستاذ بكلية اللغة العربية بالرياض .
 - ٢- الدكتور عبد الله بن حافظ الحكمي رئيس مكتب الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.
 - ٣- الأستاذ عبد الرحمن بن حافظ الحكمي المدرس بالمعاهد العلمية.
 - ٤- الشيخ محمد بن حافظ الحكمي ويعمل برئاسة إدارة البحوث العلمية بالملكة .
- وقد فجع الناس بموت الشيخ حافظ ورثاه عدد من الأدباء منهم تلميذه إبراهيم بن حسن شعبي بقصيدة مطلعها ^(١):

- | | |
|-------------------------------|----------------------------|
| ١. توفي حافظ ركن البلاد | وخلف حسرة لي في الفؤاد |
| ٢. وقد ضاقت على الأرض ذراعاً | بما رحبت ولم تسع البوادي |
| ٣. وماء الحال مبني حين وافي | بنا نعي الفقى البطل العماد |
| ٤. وددت لو أن أمي لم تلدني | وإلا كنت من بعض الجماد |
| ٥. أنا ممن فضيلته أنالت | وممن دربت تلك الأيادي |
| ٦. فهلا يا إله الخلق كانت | منته على مثلي تنادي |
| ٧. فدتك النفس من شيخ كريم | وليقي كنت أول من يفادي |
| ٨. لقد كنت المقدم في المزايما | من الخيرات يا قطب النوادي |
| ٩. وكنت القائد المدعو فينا | فمن لختار بعدك للقياد |

(١) الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ١٠٠ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش

٩٠. بعهد المم لم تأنس بدنيا
٩١. فمن للشمل والأعواء يحمل
٩٢. سلاح للمشاكل كنت فينا
٩٣. وفي كل العلوم مددت باعاً
٩٤. لقد صفت أسفاراً جلالاً
٩٥. ملأت قلوب أهل الدين حزناً
٩٦. بكاك العلم والعلماء طسراً
٩٧. لقد خلقت أشبالاً فضاعوا
- ولم يطربك فيها صوت شادي
ومن للناس يرعى بالوداد
ومصباح البحوث بكل وادي
وهتكت العلية في ازديادي
وقد أهملت في حسن اعتقادي
وظل الجمع في الكرب الشداد
وأرباب الحجاء أهل الرشاد
دهمهم آفة قبل الحصاد

ومنهم تلميذه زاهر بن عواض الألعى بقصيدة منها (١):

١. لقد دوى على المخلاف صوت
٢. تفجعت الجنوب وماكنوها
٣. وذاعت في الدنيا صيحات خطب
٤. فكفكت الدموع على فريد
٥. وأحيا في الربوع بيوت علم
٦. أحافظ كنت للعلماء قطبا
٧. وبجرا في العلوم بعيد غور
٨. وما تم فمتهجكم منار
- نعى التحرير عالمها الهامما
على بدر بما يحمر الظلاما
فهزت من فجائعها الأناما
على الإسلام شمر واستقاما
وواس مقعدا ورعى يتاما
وللإسلام طودا لا يسامى
كثير النفع قواما إماما
يضيء دروبنا وبها أقامما

(١) الشيخ حافظ الحكيم لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ١٠٠ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكيم لأحمد بن علي علسوش مدخلي ص ١٢٠ .

المبحث الثاني

منهج المؤلف في تقرير العقيدة

منهج الشيخ حافظ رحمه الله في تقرير العقيدة منهج السلف الصالح الذين يثبتون لله ما أثبتته لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العليا من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل وقد أشار إلى هذا المنهج في (سلم الوصول) حيث قال بعد تقريره توحيد المعرفة والإثبات.

١. وكل ماله من الصفات أثبتها في محكم الآيات
٢. أوصح فيما قاله الرسول فحقه التسليم والقبول
٣. نمرها صريحة كما أتت مع اعتقادنا لماله اقتضت
٤. من غير تحريف ولا تعطيل وغير تكييف ولا تمثيل
٥. بل قولنا قول أئمة الهدى طوبى لمن هديهم قد اهتدى^(١)

وقال في الجوهرة الفريدة مقررًا لهذين الأصلين بعد أن تبرأ من مذاهب الضالين:

١. لكن لنا نص آيات الكتاب وما عن الرسول روى الأئمة معتمد
٢. لنا نصوص الصحيحين الذين لها أهل الوفاق وأهل الخلف قد شهدوا
٣. والأربع السنن الفرقة التي اشتهرت كل إلى المصطفى يعلو له سند
٤. كذا الموطأ مع المستخرجات لنا كذا المسانيد للمحتج مستند
٥. متمسكين بما مسلمين لها عنها نذب الهوى إنا لها عضد^(٢)

(١) سلم الوصول للشيخ حافظ بن أحمد الحكيم ص ٤.

(٢) الجوهرة الفريدة ص ٤.

المبحث الثالث

التعريف بالجوهرية الفريدة وأهم موضوعاتها

الجوهرية الفريدة منظومة دالية في تسعة عشر صفحة وعدد أبياتها مئتان وستة وتسعون بيتاً وهي من البحر البسيط الذي يتكون من تكرار مستفعلن فاعلن أربع مرات.

أهم موضوعاتها :

تناولت هذه المنظومة أهم موضوعات العقيدة من الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره كما تناولت أركان الإسلام والإحسان واشتملت على ذكر بعض أنواع الشرك ونواقض الإسلام واشتملت على ذكر الخلافة ومحبة الصحابة ووجوب طاعة أولي الأمر والنصيحة في الدين ، كما اشتملت هذه المنظومة على مقدمة وخاتمة ، أما المقدمة فتتناول عقيدة المؤلف والرد على أهل البدع والأهواء ، وأما الخاتمة فاشتملت على بعض أمور الشرع وأصول الفقه ، كما سيأتي الحديث عن ذلك من خلال المنظومة .

المبحث الرابع

منهج المؤلف فيها

اتبع المؤلف في هذه المنظومة منهج التبويب حيث قسمها إلى أبواب متعددة بحسب وحداتها الموضوعية ، فقد بدأ هذا النظم بخطبة تضمنت حمد الله والثناء عليه ثم ذكر مقدمة لهذه المنظومة خصصها لبيان منهجه في العقيدة والرد على أهل البدع والأهواء ثم قسم المنظومة إلى أبواب متعددة بدأها بأبواب أمور الدين وختمها بباب في الشرع وأصول الفقه وتحت عنوان كل باب يبدأ في الحديث عن موضوع الباب وما يندرج تحته من أمور متعلقة به مستدلاً على ذلك بالقرآن الكريم والسنة النبوية ويذكر أقوال الفرق المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة ويفندها ويرد عليها معتمداً في كل ذلك على أمهات كتب العقيدة والتفسير والحديث والأصول^(١).

(١) سوف يتضح هذا المنهج من خلال شرح المنظومة.

المبحث الخامس

مصادر المؤلف التي اعتمد عليها

لقد اعتمد المؤلف رحمه الله في نظمه لهذه المنظومة على أمهات كتب العقيدة والحديث والتفسير والأصول مثل الفتاوي ومنهاج السنة وشفاء العليل والصواعق المرسلة والكتب الستة وكتب المسانيد وفتح الباري وشرح النووي وتفسير ابن كثير وابن جرير وكتب الأصول مثل الوريقات والإحكام في أصول الأحكام . وغيرها .

المبحث السادس

موقف المؤلف من المبتدعة

يتضح من خلال هذه المنظومة موقف المؤلف من المبتدعة فقد تراءى من جميع البدع وأهلها كما صرح بذلك حيث خص باباً من أبواب هذه المنظومة في البراءة منهم وسماه (براءة المتبعين من جراءة المبدعين واقتراءات المبتدعين) وقال في بدايته :

إني براء من الأهواء وما ولدت ووالديها الحيارى ساء ما ولدوا

ثم شرع في ذكر فرق الضلال التي تراءى منها وذكر بعض أقوالها المخالفة للشرع ورد عليها فذكر منها الجهمية ، المشبهة ، المعتزلة ، الجبرية ، الشيعة والنواصب .

وذكر أهل الفلسفة والمنطق اليوناني مثل ارسطو والطوسي وأهل الإلحاد القائلين بوحدة الوجود كابن عربي وابن سبعين وذكر العصريين الذين اتبعوا سنن الغرب وقلدوهم في كل شيء . وذكر الطرق الصوفية المختلفة (١) .

فقد تراءى الناظم من كل هؤلاء وأبطل أقوالهم ورد عليها ثم بين أنه لا يحتكم إلى العقل والمنطق عند وجود النص كما يفعل أهل البدع والأهواء وإنما يسير وفق منهج الله المأخوذ من القرآن الكريم والسنة النبوية حيث قال :

١ . ولا نحكم في النص العقول ولا نتائج المنطق المحقوq نعتمد

٢ . لكن لنا نص آيات الكتاب وما عن الرسول روى الأئمة معتمد

(١) سيأتي ذكر أقوال هذه الفرق ورد الناظم رحمه الله عليهم مفصلاً أثناء شرح المنظومة .

القسم الثاني

(التحقيق والشرح)

المبحث الأول

النسخة المخطوطة والمطبوعة المعتمدة في التحقيق

١/ النسخة المخطوطة :

نسخة بخط النسخ وناسخها غير معروف على أوراقها ويقال أنها بقلم تلميذ المؤلف على بن قاسم الفيافي^(١) وعدد صفحاتها أربع وعشرون صفحة وعدد أبياتها أربع وعشرون وثلاثمائة بيت وقد رمزت لها بحرف (ع).

٢/ النسخة المطبوعة :

بعد البحث والتحري وجد أن هذه المنظومة قد طبعت عام ١٣٧٣ هـ بمطابع البلاد في حياة المؤلف ودرسها لتلاميذه وهي مطبوعة^(٢) وعدد أبياتها مائتان وستة وتسعون بيتاً. وقد اخترت النسخة المطبوعة كنسخة معتمدة في التحقيق ورمزت لها بالحرف (ط) ذلك أن النسخة المخطوطة عادة يعثر عليها الخطأ والحذف والزيادة، أما المطبوع فلا يطبع إلا بعد المراجعة وحذف ما يرى حذفه وزيادة ما هو مفيد خاصة وأن الطبع قد تم في حياة المؤلف وروجعت من قبله ودرسها لطلابها كما هو الحال في هذه الجوهرة التي أنا بصدد تحقيقها وشرحها فإلى النسخة المطبوعة (الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة).

(١) انظر الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ، حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ص ١٥١ .

(٢) قد يلاحظ القارئ اختلافاً في عدد الأبيات بين النسختين المخطوطة والمطبوعة، وذلك يرجع إلى أن النسخة المخطوطة قد اعترأها التغيير والحذف في حياة الناظم، والنسخة المطبوعة هي التي اعتمدها الناظم في حياته، وهي التي اعتمدها في هذا التحقيق والشرح.

(المبحث الثاني)

(خطة الناظم في الجوهرة الفريدة)

المطلب الأول

نظم

الجوهرة الفريدة

في

تحقيق العقيدة

بقلم

حافظ بن أحمد الحكمي عفا الله عنه

أمر بطبع هذه المنظومة المباركة على نفقته جلالة الملك

المعظم محيي آثار السلف الصالح

ملك المملكة العربية السعودية

الملك سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل

آل سعود

أيده الله ووفقه آمين

مطابع البلاط السعودية بمكة الشامية

سنة ١٣٧٣ هـ

موضوعات عقيدة الجوهرة الفريدة

خطبة العقيدة	بجمل أركان الإسلام
المقدمة	جامع وصف الإحسان
أبواب أمور الدين	باب نواقض الإسلام أعاذنا الله منها
باب الإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته	باب شرك دون شرك وكفر دون كفر... الخ
فصل في بيان الشرك بالله سبحانه	باب معنى النصوص التي فيها نفى الإيمان
الإيمان بالملائكة عليهم السلام	باب التوبة وشروطها
الإيمان بكتب الله المنزلة	باب حكم السحر والكهانة.. الخ
الإيمان بالرسل عليهم السلام	باب حكم الرقي والتعاليق
الإيمان باليوم الآخر	باب الخلافة ومحبة الصحابة.. الخ
إثبات النظر إلى الله تعالى في الدار الآخرة	باب وجوب طاعة أولي الأمر
الإيمان بالقدر خيره وشره	باب وجوب النصيحة في الدين
	باب الشرع وأصول الفقه.

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة العقيدة

١. الحمد لله لا يحصى له عدد ولا يحيط به الأقسام والعدد
٢. حمداً لربي كثيراً دائماً أبداً في السر والظهر في الدارين مسترد
٣. ملء السموات والأرضين أجمعها وملء ما شاء بعد الواحد الصمد
٤. ثم الصلاة على خير الأنعام رسو وأهل بيت النبي وآل قاطبة
٥. والرسول أجمعهم والتابعين هم من دون أن يعدلوا عما إليه هدوا
٦. وأهل بيت النبي وآل قاطبة وأهل بيت النبي وآل قاطبة
٧. أزكى صلاة مع التسليم دائمة ما إن لها أبداً حد ولا أمـد
٨. وبعد ذي في أصول الدين (جوهره) فريدة بسنا التوحيد تتقد
٩. بشرح كل عرى الإسلام كافلة ونقض كل الذي أعداؤه عقدوا
١٠. وما أبريء نفسي من لوازمها وأحمد الله منه العون والرشد
١١. والله أسأل منه رحمة وهدي فضلاً ومالي إلا الله مستند

- مقدمة -

(في براءة المتبعين من جرأة المبدعين وافتراءات المبتدعين)

١٢. إني براء من الأهواء وما ولدت ووالديها الحيارى ساء ما ولدوا
١٣. والله لست بجهمي أخا جحدل يقول في الله قولاً غير ما يرد
١٤. يكذبون بأسماء الإله وأو صاف له بل لذات الله قد جحدوا
١٥. كلا ولست لربي من مشبهة إذ من يشبهه معبوده جحد
١٦. ولا بمعترلي أو أخا جبر في السينات على الأقدار ينتقد
١٧. كلا ولست بشيعي أخا دغل في قلبه لصحاب المصطفى حقد
١٨. كلا ولا ناصبي ضد ذلك بل حب الصحابة ثم آل نعتقد
١٩. وما أرسطو ولا الطوسي أنمتا ولا ابن سمين ذاك الكاذب الفند
٢٠. ولا ابن سينا وفارابييه قدوتنا ولا الذي لفصوص^(١) الشر يستند
٢١. مؤسس الزيف والإلحاد حيث يرى كل الخلاق بالباري قد اتحدوا

(١) في المخطوطة (لفصوص) وهو الصحيح لأن المؤلف يتحدث عن محبي الدين بن عربي وكتابه فصوص الحكم

٢٢. معبوده كل شئ في الوجود بدا
 ٢٣. ولا الطرائق والأهواء والبُدع السـ
 ٢٤. ولا نحكم في النص العقول ولا
 ٢٥. لكن لنا نص آيات الكتاب وما
 ٢٦. لنا نصوص الصحيحين الذين لها
 ٢٧. والأربع السنن التي اشتهرت
 ٢٨. كذا الموطأ مع المستخرجات لنا
 ٢٩. متمسكين بما مستسلمين لها
 ٣٠. ولا نصيخ^(١) لمصري يفوه بما
 ٣١. يرى الطبيعة في الأشياء مؤثرة
 ٣٢. وما مجلاتهم وردى ولا صدرى
 ٣٣. إذ يدخلون بما عاداتهم ومساجد
 ٣٤. محنين لها كيما تروج على
 ٣٥. من أجل ذلك قد أضحى زنادقة
 ٣٦. يرون أن تبرز الأنثى بزيتنها
 ٣٧. من أجل ذلك^(٢) بالإفرنج قد شفقوا
 ٣٨. وبالعوائد منهم كلها انصفوا
 ٣٩. على صحائفهم يا صاح قد عكفوا
 ٤٠. وعن تدبر حكم الشرع قد صرفوا
 ٤١. وللشوارب أعفوا واللحى نغفوا
 ٤٢. قالوا رقيقاً قلنساً للحفنيض نعم
 ٤٣. ثقافة من سماج ساء ما ألفوا
 ٤٤. عصرية عصرت غيباً فحاصلها
 ٤٥. موت ومموة تجديد الحياة فيها^(٣)
 ٤٦. دعاة سوء إلى السوأى تشابت السـ
 ٤٧. ما بين مستعلن منهم ومستترا
- الكلب والقرد والخنزير والأسد
 ضلال ممن على الوحيين ينتقد
 نتائج المنطق المحقوق نعتسد
 عن الرسول روى الأثبات معتمد
 أهل الرفاق وأهل الخلف قد شهدوا
 كل إلى المصطفى يعلمو له سند
 كذا المساليد للمحتج مستند
 عنها نذب المسوى إننا لها عضد
 يناقض الشرع أو إياه يعتقد
 أين الطبيعة بما مخدول إذ وجدوا
 وما لمعتقبيها في الفلاح يمد
 يا هم وحكم طواغيت لهم طردوا
 عم^(٤) البصائر ممن فاته الرشيد
 كثيرهم لسبيل الغي قد قصدوا
 ويصعها البضغ تأجلاً وتنفد
 هم تزبوا وفي ذي^(٥) التقى زهدوا
 وفطرة الله تغيراً لها اعتمدوا
 ولو تلوت كتاب الله ما سجدوا
 وفي المجلات كل الذوق قد وجدوا
 تشبه^(٦) وعمارة وما اتأدوا
 تفضون منه إلى مسجين مؤتصد
 حضارة من مروج هم لها عمدوا
 سم نقيع وبها أغمار فازدردوا
 ليت الدعاة لها في الرمس قد لحذوا
 قلوب منهم وفي الإضلال قد جهدوا
 ومستبد ومنه^(٧) بالغير محشد

(١) في المخطوطة (كلا ولست بمصري) (٢) في المخطوطة (عمي) وهو الصواب (٣) في المخطوطة (وآخرين في الإفرنج)

(٤) في المخطوطة (وفي زي) وهو الموافق للشطر الأول (٥) في المخطوطة (شبه الخوس لأولى للنار قد عبس)

(٦) في المخطوطة (ألا يا ليتهم قبل ذا في الرمس)

٤٨. لهم إلى دركات الشر أهوية
٤٩. وفي الضلالات والأهواء هم شبه
٥٠. صم ولو سمعوا بكم ولو نطقوا
٥١. عموا عن الحق صموا عن تدبره
٥٢. كأنهم إذ ترى خشب مسندة
٥٣. باعوا بها الدين طوعاً عن تراض وما
٥٤. يا غربة الدين والمستمكن به
٥٥. المقلين عليه عند غربته
٥٦. إن أعرض الناس عن تبيان نطقوا
٥٧. هذا وقد آن نظم العقد معتصماً
- لكن إلى درجات الخير ما صعدوا
وعن سبيل الهدى والحق قد بلدوا
عمي ولو نظروا بحسب ما شهدوا
عن قوله خر سوا في غيهم صعدوا
وتحسب القوم أيقاضاً وقد رقدوا
بالوا بهذا (١) حيث عند الله قد كسدوا
كقايض الجمر صبراً وهو (٢) يتقد
والصلحين إذا ما غيرهم فسدوا
به وإن أحجموا عن نصره فسدوا
بالله حيي عليه جل أعتمد

أبواب أمور الدين

٥٨. والدين قول بقلب واللسان
٥٩. يزدد بالذكر والطاعات ثم له
٦٠. وأمله فيه مفضل وفاضله
٦١. وهاك ما سأل الروح الأمين رسو
٦٢. فكان ذاك الجواب الدين أجمعه
- وأعمال بقلب والأركان معتمد
بالذنب والفطنة النقضان مطرد
منهم ظلم وسباق ومقتصد
ل الله عن شرحه والصحب قد شهدوا
فأفهمه عقدا صفا ما شابه عقد

باب الإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته

٦٣. بالله تؤمن فرد واحد أحد
٦٤. ولا إله ولا رب سواه ولم
٦٥. حي سميع بصير جل مقتدر
٦٦. هو العلي هو الأعلى هو المتعا
٦٧. قهراً وقدراً وذاتاً جل خالقنا
٦٨. في سبع آي من القرآن صرح باسم
٦٩. ولفظ فوق أتى مع الإقتران بمن
٧٠. وفي السماء اتلها في الملك واضحة
٧١. وتخرج الروح والأملاك صاعدة
- ولم يلد لا ولم يولد هو الصمد
يكن له كفوا من خلقه أحد
عدل حكيم عليم قاهر صمد
لي كل معنى علو الله نعتقد
ما حل فيها ولا بسا خلق متحد
توى على العرش ربي فهو منفرد
ودوننا لمريد الحق مستند
وكم حديثاً بها يعلو به السند
أمسا إلى ربهم نحو العلى صعدوا

(١) في المخطوطة (وما بلوا به)

(٢) في المخطوطة (فهو يتقد)

٧٢. وهكذا يصعد المقبول من عمل
٧٣. كذا عروج رسول الله حين سرى
٧٤. وحين خطبته في جمع حجه
٧٥. أليس يشهد رب العرش جل على
٧٦. ومن رفع المصلى في تشهده
٧٧. وكل داغ إلى من رافع يده
٧٨. وكم لهذا براهينا مؤيدة
٧٩. ونحن ثبت ما الوحيان (٢) تثبه
٨٠. يدنو كما شاء من شاء يفعل ما
٨١. وكل اسمائه الحسنى نقر بها
٨٢. مستيقنين بما دلت عليه ومن
٨٣. دلت على ذات مولانا مطابقة
٨٤. كذا تضمنت المشتق من صفة
٨٥. كذلك استلزم باقي الصفات كما
٨٦. وكل ما جاء في الوحيين من صفة
٨٧. صفات ذات وأفعال ثم ولا
٨٨. لكن على ما بمولانا يليق كما
٨٩. وفي الشهادة علم القلب مشروط
٩٠. إخلاصك الصدق فيها مع محبتها
٩١. فيه نوالي (٣) أولى القوى ونصرهم
- من العباد لمن إياه قد عبدوا
قل لي إلى من له قد كان مصطفا
أشار رأس له نحو العلى ويد
تبليغه ثم (١) أهل الجمع قد شهدوا
سباحة لعلى الله يعقده
إلا إلى من يجي من عنده المدد
وحين يسممها الجهمي يرتعد
من أن ذا العرش فوق العرش منفرد
يشا ولا كيف في وصف له يرد
مما علمنا ومما استأثر الصمد
ثلاثة الأوجه اعلم ذكرها يرد
به تليق بما الرحمن منفرد
نحو العليم بعلمهم ثم تطرد
للقدرة استلزم الرحمن والصمد
الله تثبها والنسب نعتمد
نقول كيف ولا ننفي كمن جحدوا
أراده وعنايه الله نعتمد
يقينه انقد قبول ليس يفقد
كذا الولا والبرا فيها لها عمد
وكل أعدائه إنا لهم لعدو

فصل

٩٢. والشرك جعلك ندأ للإله ولم
٩٣. تدعوه ترجوه تخشاه وتقصده
٩٤. وعلمه بك مع سمع الدعاء وقد
٩٥. مثل الألى بدعا الأموات قد هتفوا
٩٦. وكم تدوراً وقربانا لها صرفوا
- بشارك الله في تخليقنا أحد
لدفع شر ومنه الخير ترتفع
رة وسلطان غيب فيه تعقد
يرجون تجدقم من بعد ما لحسوا
ظلما ومن أنفس المنقوش كم نقدوا

(١) في المخطوطة (وأهل الجمع) (٢) في المخطوطة (الوحيين) وهو خطأ

(٣) في المخطوطة (توالي) بالتاء والصحيح الذي يدل عليه السياق ما في النسخة المطبوعة .

٩٧. وكم قبابا عليها زخرفت ولها
٩٨. فهم يلوذون في دفع الشرور بها
٩٩. ويصرفون فما كل العبادة دو
١٠٠. إن لم تكن هذه الأفعال يا علما
١٠١. إن لم تكن هذه شركا فليس على
- أعلى النسيج كساء ليس يفتقد
كما لها في قضا الحاجات قد قصدوا
ن الله جهراً وللتوحيد قد جمعدوا
شركا فما الشرك قولوا^(١) لي أو ابتعدوا
وجه البسيطة شرك قسط ينتقد

باب الإيمان بالملائكة

١٠٢. وبالملائكة الرسل الكرام عبا
١٠٣. من^(٢) دون ربي تعالى والتباب لن
١٠٤. بل هم عباد كرام يعملون بأمر
١٠٥. منهم أمين لوحى الله يبلغه
١٠٦. وللرياح وقطر والسحاب فميد
١٠٧. كذاك بالصور إسرايل وكل وهـ
١٠٨. وحاملوا العرش مع من حولهم ذكروا
١٠٩. والحافظون علينا الكاتبون لما
١١٠. وآخرون يحفظ العبد قد وكلوا
١١١. والموت وكل^(٣) حقاً بالوفاة لرو
١١٢. ومنكر ونكير وكلا سوا
١١٣. كذاك رضوان في أعوانه عزنوا
١١٤. كذا زبانية النيران يقدمهم
١١٥. وآخرون فسياحون حيث أتوا
١١٦. وغيرهم من جنود ليس يعلمها
- د الله نؤمن غابوا من لهم عبدوا
كانوا له ولهم والمرسلين عدو
الله ليس له ند ولا ولد
لرسله وهو جبريل به يقد
كال بذاك إليه الكيل والعدد
والآن منتظر أن يأذن الصمد
وزائروا بيته المعمور ما افتقدوا
نسى وفي الحشر إذ يؤتى بهم شهدوا
حق إذا جاءه المقذور لم يقدوا
ح العبد قبضا إذا منها خلا الجسد
ل العبد في القبر عما كان يعتقد
لجنة الخلد بشرى من بها وعدوا
في شأها مالك بالغيظ يتقد
مجالس الذكر حقوا من بها قعدوا
إلا العليم الخبير الواحد الأحد

باب الإيمان بكتب الله المنزلة

١١٧. وكتبه بالهدى والحق منزلة
١١٨. ثم القرآن كلام الله ليس كما
١١٩. جمعد وجسمهم وبشر ثم شيعتهم
١٢٠. تكلم الله رب العالمين بـ
- نورا وذكرى وبشرى للذين هدوا
قال الذين على الإلحاد قد مردوا
ألا فبعداً لهم بعداً وقد بعدوا
قولوا وأنزله وحيا به الرشيد

(٢) في المخطوطة (دون الإله)

(١) في المخطوطة (أو غافقوا وابتعدوا)

(٣) في المخطوطة (كذا إلى ملك الموت الوفاة لروح العبد)

١٢١. نلوه نسمعه نراه (١) نكتبه
 ١٢٢. وكل العالمنا مخلوقة وكذا
 ١٢٣. وليس مخلوقا القرآن حيث تلى
 ١٢٤. والواقفون فشر تحلة وكذا
 غطا ونحفظه بالقلب نعتقد
 آلتنا الرق والأقلام والمسد
 أو غط فهو كلام الله مسرد
 لفظة ساء ما واحوا (٢) وما قصدوا

باب الإيمان بالرسل عليهم السلام

١٢٥. والرسل حق بلا تفريق بينهموا
 ١٢٦. وبالحوارق والإعجاز أيدهم
 ١٢٧. وفضل الله بعض المرسلين على
 ١٢٨. من ذاك أعطى لإبراهيم خلته
 ١٢٩. وكلم الله موسى دون واسطة
 ١٣٠. وكان عيسى بإذن الله يسريء من
 ١٣١. والكل في دعوة التوحيد ما اختلفوا
 ١٣٢. إلا شريعتنا الفرسا فليس لها
 ١٣٣. إذ كان أحد ختم المرسلين فمن
 ١٣٤. وكان بعضه للخلسق قاطبة
 ١٣٥. ولم يسغ أحدا عنها الخروج ولو
 وكلهم للصرط المستقيم هدوا
 ربي على الحق ما خالوا وما فندوا
 بعض بما شاء في الدنيا وما وعدوا
 كذا لأحد لم يشركهما أحد
 حقا وخط له التوارة فاعتمدوا
 علات سوء وبجي الميت قد فسدوا
 أما الفروع ففيها النسخ قد تجد
 من ناسخ ما رسي في أرضه أحد
 من بعده رام وحيا كاذب فند
 وشرعه شامل لم بعده أحسد
 كان النيون أحياء لها قصدوا

باب الإيمان باليوم الآخر

١٣٦. واليوم الآخر حق ثم ماعته
 ١٣٧. والموت حق ومن جاءت منيته
 ١٣٨. ما إن له عنه من متأخر ابدا
 ١٣٩. كل إلى أجل يجري على قدر
 ١٤٠. وفنة القبر حق والعذاب به
 ١٤١. وللقيامة آيات إذا وجبت
 ١٤٢. من ذاك أن تستبين الشمس طالعة
 ١٤٣. كذلك دابة للأرض تكلمهم
 ١٤٤. نزول عيسى لدجال فيقتله
 بمنتهى علمها الرحمن منفرد
 بأي حتف فبالمقدور مفتقد
 كلا ولا عنه من مستقدم يجد
 ما لا مرء عن قضاء الله ملتحدا
 لكافر ونعيم لألى مسعدوا
 فليس من توبة تجدى وتلتحد
 من حيث مغربها والخلق قد شهدوا
 جهراً وتفرق بالتمييز من تجد
 وفصح مسد عباد ما لهم عدد

(٢) في المخطوطة (راسوا)

(١) في المخطوطة (نلوه نسمعه حقا ونكتبه)

(٣) في المخطوطة (و لم يسغ) بالعين المهملة والمعنى متقارب

١٤٥. كذا الدخان وريح وهي (١) مرسله
 ١٤٦. وغيرها من أمور في الكتاب جرت
 ١٤٧. والنفيخ في الصور حق أو لا فزع
 ١٤٨. والوزن بالقسط والأعمال محضرة
 ١٤٩. والجسر ما بين ظهرائي الجحيم كما
 ١٥٠. يجرزه الناس بالأعمال تحملهم
 ١٥١. كالبرق والطرف أو مر الرياح وكالـ
 ١٥٢. وذاك يعدو وذا يمشي عليه وذا
 ١٥٣. والنار حق وجنات النعيم ولا
 ١٥٤. هذى لأعدائه قد أرصدت أبدا
 ١٥٥. وحوض أحمد قد أعطاه خالقه
 ١٥٦. والرسل تحت لواء الحمد تحشر إذ
 ١٥٧. كذا المقام له اغمود حيث به
 ١٥٨. وهو الشفاعة في فصل القضاء وفي
 ١٥٩. وفي عصاة أولي التوحيد يخرجهم
 ١٦٠. ويعدو يشفع الأملاك والشهدا
 ١٦١. فيخرجونهم فحما قد امتحشوا
 ١٦٢. فيطرحون بنهر بنتون به
 ١٦٣. ثم الشفاعة ملكك للإله ولا
 ١٦٤. فليس يشفع إلا من يشاء وفي
 ١٦٥. ويخرج الله أقواماً برحمته
 ١٦٦. وليس يخلد في نار الجحيم سوى
 ١٦٧. يا عظم ما ركبوا يا سواء ما ركبوا
- لقبض أنفاس من للدين يعتقد
 ذكرى وصح بها في السنة السند
 فصحة فقيام بعد ما رقدوا
 في الصحف تنشر والأشهاد قد شهدوا
 في النص إن أحد إلا ما يرد
 عليه ليس القوى والعبد والعبد
 جبار أو كركاب النوق تنشر
 زحفاً وذا كب (٢) في نار به تقد
 نقول تفنى ولا ذا الآن تفتقد
 وذو لأحابه والكل قد خلدوا
 غوثاً لأمته في الحشر إذ ترد
 ذاك اللوا ختام الرسل يتعقد
 في شأنه كل أهل الجمع قد حمدوا
 فتح الجنان لأهلها إذا وفدوا
 من الجحيم ويدريهم بما سجدوا
 والأنبياء (٣) وأتباع لهم سعدوا
 من الجحيم قد اسودوا وقد خلدوا
 نبت الحبوب بسيل جاء يطرد
 شريك جل له في ملكه أحد
 من شاء حين يشاء الواحد الصمد
 بلا شفاعة لا يحصى لهم عدد
 من كان بالكفر عن مولاه يتعد
 عن رحم حجوا من فضله بعدوا

باب الإيمان بالنظر إلى الله عز وجل في الدار الآخرة

١٦٨. والمؤمنون يرون الله خالقهم
 ١٦٩. يرونه في مقام الحشر حين ينـ
- يوم اللقا وعده الصديق الذي وعدوا
 ديهم ليتبع الأقوام ما عبدوا

(١) في المخطوطة (وهي) (٢) في المخطوطة (وذا ناكب) وهو خطأ والصواب ما في النسخة المطبوعة .

(٣) في المخطوطة (وأنبياء) ولعله خطأ من الناسخ .

١٧٠. فيتبع المجرم الأنداد تقدمهم
١٧١. والمؤمنون لمولاهم قد انتظروا
١٧٢. إلا المناقني يبقى ظهروه طبقاً
١٧٣. كذا الزيادة في يوم المزيد إذا
١٧٤. فالأنبياء كذا الصديق والشهدا
١٧٥. وغيرهم من أولى التقوى مجالسهم
١٧٦. من فوقهم أشرف الرحمن جل ونا
١٧٧. يرونه جهرة لا يمترون كما
١٧٨. هناك يذهل كل عن نعيمهموا
١٧٩. وذا لم أبدا في كل جمعهم
- إلى جهنم وردا ساء ما وردوا
إذا تجلى لهم سبحانه سجدوا
إذ في الحياة إذا قيل اسجدوا مردوا
على النجائب للرحمن قد وفدوا
على منابر نور في العلى قدوا
كثيرا منك ألا يا نعمة المهد
داهم سلام عليكم كلهم شهدوا
للشمس صحوا يرى من ما به رمد
بذا النعيم فيا نعمى لهم حمدوا
بشرى وطوبى لمن في وفداهم يقد

باب الإيمان بالقدر خيره وشره

١٨٠. كذلك بالقدر المقدر نؤمن من
١٨١. ولا منافاة بين الشرع والقدر الـ
١٨٢. فإن الإيمان بالأقدار مرتبط
١٨٣. إياه نعبد إذعائاً لشرعته
١٨٤. ونستعين على كل الأمور به
١٨٥. أحاط علماً بما ربي وقدرها
١٨٦. من قبل إيجادها حقاً وطرها
١٨٧. كيفية وزماناً^(١) والمكان فلا
١٨٨. بقول كن ما يشاء أمضى بقدرته
١٨٩. وقدرة المبد حقاً مع مشيئته
١٩٠. إذ كان ذاتاً وفعلاً كله عدم
١٩١. من يهده الله فهو المهتدى وكذا
- خير وشر وذا في ديننا عمد
محموم لكن أولوا الأهواء قد مردوا
بالشرع ذا دون هذا ليس يتعبد
بالنهي من زجرين الأمر نعتمد
إذ كلها قدر من عنده ترد
دقا وجللا ومن يشقى ومن سعدوا
في اللوح جفت بما الأقلام والمدد
يعدو امرؤ ما قضاه الواحد الصمد
بالخلق والأمر رب العرش منفرد
لكن لما شاء منه الله نعتقد
إلا إذا جاءه من ربه المدد
من شاء إضلاله أنى له الرشده

مجمع أركان الإسلام

١٩٢. هذا وقد بنى الإسلام فادر على
١٩٣. هي الشهادة فاعلم والصلاة مع الـ
١٩٤. وفروة الدين أعلاها الجهاد حمى
- حسن دعائم فاحفظ إنما العمد
زكاة والصوم ثم الحج فاعتمدا
لحقه ولأهل الكفر مضطهد^(٢)

(٢) في المخطوطة (بضطهد)

(١) في المخطوطة (وزماناً) وهو خطأ من الناسخ

جامع وصف الإحسان

١٩٥. هذا والإحسان في سر وفي علن أصل ومعناه عن خير السورى يرد
١٩٦. أن تعبد الله باستحضار رؤيته إياك ثم كمن إياه قد شهدوا

باب نواقض الإسلام أعاذنا الله منها

١٩٧. وليس يخرج من الإسلام داخله إلا يأنكار ما فيه به يرد
١٩٨. أما المعاصي التي من دون ذلك فلا تكفر إلا لمن للحل^(١) يعتقد
١٩٩. والكفر إن كان عن جهل الكفور فتكـ ذنب ككفر قريش حينما مردوا
٢٠٠. أو كان عن علمه فهو الجحود ككـ سفار اليهود الألى بالمصطفى جحوا
٢٠١. أو بالإباء مع الإقرار فهو عنا د كالرجيم إذ الأملاك قد سجدوا
٢٠٢. أو أبطن الكفر بالإسلام مسترا فهو النفاق فهذي أربع ترد
٢٠٣. مقابلات لقول القلب مع عمل منه وقول لسان معه يعتقد
٢٠٤. كذا لسائر أعمال الجوارح فاعـ لم أربع قابلهها فاسوى العدد

باب شرك دون شرك وكفر دون كفر وظلم دون ظلم

وفسوق دون فسوق ونفاق دون نفاق

٢٠٥. والشرك قد جاء منه أصغر وهو الـ شرياء من^(٢) سوى الرحمن ما عبوا
٢٠٦. كمن يصلي لربي ثم زينها لما يرى أن إليه ناظر أحد
٢٠٧. كذلك الحلف بالمخلوق من وثن كذا الأمانة والآباء والولد
٢٠٨. وبالشهادة فالسأهي بكفر كي يقر في القلب معناها ويرصد
٢٠٩. ولحو لو لا فلان كان كيت وما شاء الإله وشئت الكل منقصد
٢١٠. وهكذا كل لفظ فيه تسوية بالله جل ولكن ليس يعتقد
٢١١. ولا نفاء التساوي جاز ثم مكـ ن الراو نصاً وأهل العلم ما اتفقوا
٢١٢. والكفر والظلم فاعلم والفسوق كذا الـ متفق كل على نوعين قد يرد
٢١٣. فالكفر بالله معلوم ومسمى بالـ كفر القتال لسذي الإسلام يعتمد
٢١٤. والظلم للشرك وصف ثم أطلق في نظام الخلق منه الفس والحسد
(١) في المعطوطة (الحل) بالخاء المهملة وهو الصواب
(٢) في المعطوطة (فمن) والصواب ما في المطبوعة

٢١٥. والفسق في وصف إبليس اللعين أتى وقاذف ما عن الإسلام يعتمد
 ٢١٦. كذا النفاق أتى في الكفر أقبحه وجاء في وصف ذي خلف لما يعد
 ٢١٧. أو غاصموا فجزوا أو عاهدوا غدروا واخائن ومن إن حذلوا فندوا
 باب معنى النصوص التي فيها نفى الإيمان عن مرتكب بعض المعاصي
 ٢١٨. وحيث ما نفى الإيمان في أثر عن عصى من (١) التوحيد قد عقدوا
 ٢١٩. فالمستحل أو المقصود فارقته إيمانه حالة العصيان يصطمد
 ٢٢٠. أو المراد به نفى الكمال وعن تفسيرها بعض أهل العلم قد قصروا
 ٢٢١. تكون أرباب أما أن تكفروه فقد ردونا على القرآن إذ نجد
 ٢٢٢. أن أثبت الله للجاني الأخوة والإيمان ما قال فيه كافر وعدو

باب التوبة وشروطها

٢٢٣. وتقبل التوبة اعلم قبل حشجة الـ صدور من كل ذنب ناله أحد
 ٢٢٤. شروطها يا أخي الإقلاع مع عدم ولا يعود له بل عنه يعتمد
 ٢٢٥. وإن يكن فيه حق آدمي فتحل حيث أمكن وليعرض له القود
 باب حكم السحر والكهانة والتنجيم والتطير والاستسقاء بالأنواء والعين
 ٢٢٦. والسحر حق وقوعاً باطل عملاً فمنه حرز (٢) ومنه النفث والمقد
 ٢٢٧. وحكمه الكفر في نص الكتاب أتى وحده فاعله بالسيف يختص
 ٢٢٨. ثم الكهانة كفر والتطير والتنجيم بم والنسوء ممن فيه يعتقد
 ٢٢٩. والعين حق وبالمقدور ثورقها وليغتسل عالين منها لمن يجد

باب حكم الرقي والتعليق

٢٣٠. ثم الرقي إن تكن بالوحي دون تصـ رف ولا صرف قلب ليس يتقد
 ٢٣١. وللصحابه علف في تعلق آيـ سات الكتاب وورد للنبي يرد
 ٢٣٢. والمنع أولى فأما ما عده فلا خلاف في منعه إذ فيه مستند

باب الخلافة وعبة الصحابة وأهل البيت رضي الله عنهم

٢٣٣. ثم الخليفة من عبد النبي هو الـ صديق أسعد من بالمصطفى سعدوا
 ٢٣٤. وبعبده عمر الفاروق ذاك أبو حفص له الضد والأعوان قد شهدوا

(٢) في المخطوطة (خرز) بالخاء

(١) في المخطوطة (فمن) وهو خطأ من النسخ

ولعله خطأ من النسخ

٢٣٥. كذاك عثمان ذو النورين ثالثهم
 ٢٣٦. كذا علي أبو السبطين رابعهم
 ٢٣٧. فهؤلاء بلا شك خلافتهم
 ٢٣٨. وأهل بيت النبي والصحاب قاطبة
 ٢٣٩. والحق في فتنه بين أصحاب جرت
 ٢٤٠. والنصر أن أبا السبطين كان هو الغد
 ٢٤١. تباً لرافضه سحراً لناصبه
- بظلمه بآء أهل البغي إذ قصدوا
 بالحق معتضد للكفر مضطهد
 بمقتضى النص والإجماع معتقد
 عنهم نذب وحب القوم معتقد
 هو السكوت وأن الكل مجتهد
 سبق من رد هذا قوله فند
 قبحاً لما رقة ضلوا وما رشدوا

باب وجوب طاعة أولي الأمر

٢٤٢. ثم الأئمة في المعروف طاعتهم
 ٢٤٣. ولا يجوز خروج بالسلاح عليهم
 ٢٤٤. أما إذا أظهروا الكفر البواح فقا
- مفروضة وف بالعهد الذي عقدوا
 م ما أقاموا على السمحاء واقتصادوا
 تلوا أئمة كفر حيثما وجدوا

باب وجوب النصيحة في الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٢٤٥. ثم النصيحة قل فرض بكل معا
 ٢٤٦. لله والرسول والقرآن ثم ولا
 ٢٤٧. والأمر بالمعروف مع علم به ولعق
 ٢٤٨. كذلك النهي عن نكر ومورده
- نهيها هي الدين فاعلم إذ هي العمدة
 ة الأمر ثم عموم المسلمين هدوا
 وخذ وأعرض عن الجهال يتشدوا
 قول فسخطا إذا لم تستطعه يد

باب الشرع وأصول الفقه

٢٤٩. والشرع ما أذن الله العظيم به
 ٢٥٠. مما روى العدل محفوظاً ومتصلاً
 ٢٥١. والقول والفعل والتقرير حيث أتى
 ٢٥٢. إلا إذا جاء برهان يخصصه
 ٢٥٣. والأصل في الأمر فاعلم للوجوب فلا
 ٢٥٤. والنهي للحظر إذ لا نص يصرفه
 ٢٥٥. ومستوى الطرفين ادع المباح فلا
- من الكتاب وآثار النبي ترد
 عن مثله صح مرفوعاً به السند
 عن الرسول فالتشريع يعتمد
 بالمصطفى أو بشخص فيه ينفرد
 يصار للنسب إذ لا صارف يرد
 إلى الكراهة هذا الحق يعتد
 يلام في فعله أو تركه أحد

٢٥٦. وما به يتنفي حكم فمانعه
 ٢٥٧. والشرط ما رتب الإجزاء وصحته
 ٢٥٨. ونافذ وبه اعتد الصحيح كما
 ٢٥٩. ثم الوسيلة تعطى حكم غايتها
 ٢٦٠. والرخصة الإذن في أصل لمعدرة
 ٢٦١. والأصل أن نصوص الشرع محكمة
 ٢٦٢. وأي نص أتى مثل يعارضه
 ٢٦٣. وحيث لا ودريت الآخر القضي به
 ٢٦٤. أولاً فرجح متى تبدو قرائن تر
 ٢٦٥. والمطلق أحل على لحوى مقيده
 ٢٦٦. والحظر قدم على داعي إباحته
 ٢٦٧. كذا الصريح على المفهوم فاقض به
 ٢٦٨. وأي فرع أتت في الأصل علته
 ٢٦٩. ولا تقدم أقاويل الرجال على
 ٢٧٠. ولا تقلد وكن في الحق متبعاً
 ٢٧١. إذ الأئمة بالتقليد ما أذنوا
 ٢٧٢. ولستعن بفهوم القوم إن فهم
 ٢٧٣. وأعلم الأمة الصحيح الألى حضروا
 ٢٧٤. أدرى الأنام بفسر الكتاب والف
 ٢٧٥. إجماعهم حجة قطعاً وخلفهموا
 ٢٧٦. إردد أقاويلهم نحو النصوص فما
 ٢٧٧. ما لم تجد فيه نصاً قدم الخلفا
 ٢٧٨. فالصاحبون بأحسان كتابهم
 ٢٧٩. كالسبعة الأنجم الزهر الذين يرى
 ٢٨٠. وابن المبارك والبصري هو الحسن ال
 ٢٨١. كذلك سفيان مع سفيان ثم فقي الأ
 وعكسه سبب يدريه مجتهد
 عليه أو نفى حكم حين يفتقد
 نقيضه باطل ليست له عمد
 فرضاً ولدياً وحظراً عنه يعتد
 وضدها عزيمة بالأصل تعتقد
 إلا إذا جاء بنقل الأصل مستند
 وأمكن الجمع فهو الحق يعتمد
 نسخاً لحكم الذي من قبله يرد
 جميع عليها احتوى متن أو السند
 وعرض ما عم بالتخصيص إذ تجدد
 كذا على النفسي فالإببات معتضد
 وهكذا فاعتبر إن أنت متأكد
 أو كان أولى بها فالحكم يطرد
 نص الشريعة كالفالين إذ جحدوا
 إن ابتاعك فلتعلم هو الرشيد
 لكن رد المورد العذب الذي وردوا
 بصائر كم بما ينحل معتقد
 مواقع الشرع والتحويل قد شهدوا
 عال الرموز وأقوال له ترد
 لم يعده الحق فليعلمه مجتهد
 يوافق النص فهو الحق معتضد
 إذ هم بنص رسول الله قد رشدوا
 من الأئمة للحق المبين هدوا
 إجماعهم مالك كالنص يعتمد
 مرضي حقاً وحجاً هموا جدوا
 وزاع فاعلم ومن أقرانهم عدد

٢٨٢. ثم الأنمة نعمان ومالكهم
٢٨٣. وغيرهم من أولى الفتوى^(١) الذين هم
٢٨٤. أولئك القوم يحي القلب إن ذكروا
٢٨٥. أئمة النقل والتفسير ليس لهم
٢٨٦. أبحار ملته أنصار مته
٢٨٧. أعلامها نشروا أحكامها نصرها
٢٨٨. هم الرجوم لسراق الحديث كما
٢٨٩. بدور تم سوى أن البدور لها
٢٩٠. وهم مدى الدهر مازالت مآثرهم
٢٩١. أولئك المأل الفر الألى ملؤوا
٢٩٢. كل له قدم في الدين راسخة
٢٩٣. فإن أصاب له أبحار قد كملا
٢٩٤. والحق ليس بفرد قط منحصر
٢٩٥. صلى عليه إله العرش فاطره
٢٩٦. والآل والصحب ثم التابعين هم
- والشافعي أحمد في ديننا عمدة
بصائر بضياء الرحي تقصد
ويذكر الله إن ذكراهموا تردد
سوى الكتاب ونص المصطفى سند
لا يعدلون بما قاله أحد
أعداؤها كسروا نقالها نقادوا
لكل مسترق شهب السما رصد
غيوبة أبدا والنقص مطرد
في جدة والنجلاء منذ ما وسدوا
الأقطار علماً وغير النص ما اعتقدوا
وكلهم في بيان الحق مجتهد
والأجر مع خطئه والعفو متعد
إلا الرسول هو المعصوم لا أحد
مسلماً ما بأقلام جرى المدد
والحمد لله لا يحصى له عدد

(١) في المخطوطة (من أولى الفتوى) ولعله الصواب .

المطلب الثاني

خطبة المؤلف

النص :

الحمد لله لا يحصى له عدد ولا يحيط به الأقاليم والمدد

المفردات : المدد : للداد الذي يكتب به^(١)

يبدأ الناظم رحمه الله - منظومته - بحمد الله امتثالاً لأمر النبي ﷺ القائل (كل أمر ذي بال لا يبدأ بالحمد فهو أجزم)^(٢) وقد درج الأمراء والعلماء والخطباء منذ العهد النبوي على افتتاح كلامهم بالحمد لله اتباعاً للنبي ﷺ واقتداء به إذ كان يصدر كلامه وكتبه للملوك والأمراء بتسمية الله وحمده ، ولذلك سميت خطبة زياد بن أبيه التي لم يبدأ فيها بذكر الله بالبراء ، وقد أشار الناظم رحمه الله في قصيدة له بهذا المعنى بقوله^(٣)

الحمد لله الذي هو أهله إذ كل أمر منه يخلو أجزم

وقد وردت (الحمد لله) كجزء من آيات كثيرة في القرآن الكريم ، منها ما قاله الله تعالى عن نفسه كقوله : ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ اَلْعٰلَمِيْنَ ۝١٠١ ﴾ [الأنعام: ١٠١]. ومنها ما حكاه عن أنبيائه كقول إبراهيم ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلَّذِيْ وَهَبَ لِيْ عَلٰى اَلْكِبَرِ اِسْمَاعِيْلَ وَاِسْحٰقَ اِنْ رَبِّيْ لَسَمِيْعُ الدُّعَاۗءِ ۝٣٩ ﴾ [إبراهيم: ٣٩]. ومنها ما حكاه عن أهل الجنة كقولهم ﴿ وَقَالُوا اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلَّذِيْ صَنَعْتَنَا وَوَدَعَنَا اَلْاَرْضَ نَعْبُوْهُ مِنْ اَلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاۗءُ فَنِعْمَ اَجْرُ الْعٰمِلِيْنَ ۝١٠٠ ﴾ [الزمر: ١٠٠] وقوله تعالى ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَانَا اِنِّ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ اَلْعٰلَمِيْنَ ۝١٠٠ ﴾ [بقره: ١٠٠].

وقول الناظم (لا يحصى له عدد إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَاِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اَللّٰهِ لَا تُحْصُوْهَا ۝١ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] . فبقدر النعم من الله يكون الحمد من العباد ، فإذا كانت نعم الله لا تحصى فيجب أن

(١) لسان العرب ج ٣ ص ٣٩٨ .

(٢) أخرجه عبد القادر الرازي كما في الجامع الصغير للسيوطي ، قال النووي في شرح مسلم ٤٣/١ وفي رواية : بحمد الله ، وفي رواية : بالحمد فهو أقطع ، وفي رواية : أجزم .

(٣) من قصيدة للشيخ حافظ الحكيمي ألقاها في حفل عيد الأضحى عام ١٣٦٨ هـ وهي في السمت الحاروي ص ١٠٣-١٠٥ .

يكون حمد العباد لا يحصى كذلك ومن رحمة الله وفضله علينا أنه قبل منا هاتين الكلمتين لشكر نعمه الكثيرة، فقد روى مسلم عن أنس ابن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : [إن الله ليَرْضَى بِمَنْ الْعَبَدُ أَنْ يَأْخُذَ الْأَخْلَافَ فِيْهِمْ مِثْلَ مَا يَشْرِبُ الْخَبْرَةَ فِيْهِمْ مِثْلَ مَا]^(١).

وقول الناظم {ولا يحيط به الأقلام والمدد} عطف على (لا يحصى له عدد) والمعنى أن هذا الحمد يجب أن يكون كثيراً جداً حتى لا تقدر الأقلام والمداد على إحصائه وإحاطته، وفي هذا القول اقتباس من قوله تعالى ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِذَابًا لِّكَلِمَتِي رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَتِي رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَذَابًا ﴾ [الكهف: ١٠٩]. وقوله أيضاً ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان: ٢٧].

النص :

حمداً لربّي كثيراً دائماً أبداً في السر والجهري في الدارين مسترد
المفردات مسترد : متابع ، جاء في اللسان (السرد في اللغة تقدمه شيء إلى شيء تأتي به متساقاً وبعضه في أثر بعض متابعاً)^(٢).
يواصل الناظم -رحمه الله- وصفه حمد الله فيقول إنه يحمد الله حمداً كثيراً في سره وجهره حمداً متابعاً في الدنيا والآخرة.

النص :

ملء السماوات والأرضين أجمعها وملء ما شاء بعد الواحد الصمد
وهذا الحمد يكون ملء السماوات والأرض وملء ما بينهما، وقد أخذ المصنف هذا الوصف للحمد من دعاء النبي ﷺ عند رفعه من الركوع (اللهم ربنا ولك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد)^(٣).

(١) أخرجه مسلم ص ١٠٩٤ حديث رقم ٢٧٣٤ .

(٢) لسان العرب مادة ج ١١ ص ٢١١

(٣) أخرجه مسلم كتاب الصلاة باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل حديث رقم ٧٧١ ص ٣٠٥.

النص :

ثم الصلاة على خير الأنعام رسول الله أحمد مع صحب به سعدوا

وبعد (الحمد لله) يصلي الناظم - رحمه الله - على النبي ﷺ خير الأنعام وسيد ولد آدم وعلى صحبه الذين سعدوا برويته واتباعه والمجاهدين تحت لوائه.

النص :

وأهل بيت النبي والآل قاطبة والتابعين الأولى للدين هم عضدوا

ويصلي الناظم أيضاً على أهل بيت النبي ﷺ ويعطف على الآل، وهو بهذا العطف يجعل الأهل غير الآل المعطوف عليه، وكان الناظم هنا يذهب إلى قول من قال إن أهل البيت هم أزواج النبي ﷺ خاصة لا رجل معهم وهو قول عطاء وعكرمة وابن عباس وابن السائب ومقاتل، فقد ذهبوا إلى أن أهل البيت أريد به زوجات النبي وهن من أهل بيته لقوله تعالى (واذكرن ما يتلى في بيوتكن) (١).

وقد ذهب جماعة في تفسير (أهل البيت) إلى أنه خاص في الرسول ﷺ وعلى فاطمة والحسن والحسين، وهو أبو سعيد الخدري وروى عن أنس وعائشة وأم سلمة نحو ذلك (٢). وذهبت فرقة ثالثة في تفسير (أهل البيت) إلى أنهم أهل رسول الله ﷺ وأزواجه وهو قول الضحاك. قال ابن الجوزي وحكى الزجاج أنهم نساء رسول الله ﷺ والرجال الذين هم آله قال: واللغة تدل على أنها للنساء والرجال جميعاً لقوله (عنكم) بالميم ولو كانت للنساء لم يجر إلا (عنكن) (٣). قال القرطبي: (والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم وإنما قال ويظهركم لأن رسول الله ﷺ وعلياً وحسناً وحسيناً كان فيهم وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت لأن الآية فيهن والمخاطبة لهن يدل عليه سياق الكلام) (٤).

(١) زاد المسير ج ٦ / ص ٣٨١ . وتفسير القرطبي ح ١٤ / ص ١٨٢ .

(٢) زاد المسير ج ٦ / ص ٣٨١ .

(٣) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(٤) تفسير القرطبي ح ١٤ / ص ١٨٣ .

النص :

والرسل أجمعهم والتابعين لهم من دون أن يعدلوا عما إليه هدوا
ويواصل الناظم -رحمه الله- صلاته على الرسل وتابعيهم الذين لم ينحرفوا عما جاعوا به
من التشريع ، (أما أتباع الرسل الذين حرفوا ما جاء به أنبيائهم فهم خارجون من هذه الصلاة).

النص :

أزكى صلاة مع التسليم دائمة ما إن لها أبداً حد ولا أمد
فهذه صفة الصلاة التي يريدنا الناظم لمن سردهم آتفاً، لا أمد لها تقف عنده ولا حد تنتهي
إليه.

النص :

وبعد ذي في أصول الدين جوهرية فريدة بسنا التوحيد تنقد
بشرح كل عربي الإسلام كافلة ونقد كل الذي أعداؤه عقدوا
الشرح: يبدأ الناظم هنا بالتعريف بمنظومته التي سماها (الجوهرة الفريدة) فيقرظها ويقول إنها
جوهرة تنقد بنور التوحيد لما اشتملت عليه من الأصول الصحيحة التي يبنى عليها الدين هذه
المنظومة التي تشرح كافة أصول الإسلام وتبينها بيانا شافيا وتنفذ كل ما قاله أعداء الإسلام
وخصومه من مقالات مخالفة وبدع مستحدثة.

النص :

وما أبرئ نفسي من لوازمها وأحمد الله منه العون والرشد
والله أسأل منه رحمة وهدى فضلا ومـآلي إلا الله مستند

الشرح : ولا ينسى الناظم -رحمه الله- أن يعترف في آخر هذه المقدمة بقصوره البشري
فيقول إنه لا يرى نفسه من لوازمها^(١)، ثم يدعو الله أن يرحمه ويهديه تفضلا وإحسانا لأنه لا
يعتمد في جميع أحواله على أحد غيره.

^(١) لوازمها: الأشياء الملازمة لها، ولعله أراد بها الخطأ والنسيان الملازم للنفس البشرية. انظر لسان العرب ج ١٢ ص ٥٤٢

المطلب الثالث

(مقدمة في براءة المتبعين من جراءة المبدعين^(١) وافتراءات المبتدعين^(٢)):

النص :

إني براء من الأهواء وما ولدت ووالديها الحيارى ساء ما ولدوا

الشرح : في هذا البيت يتبرأ الناظم - رحمه الله - من الأهواء جميعها دون تمييز ولم يكتف الناظم بالبراءة من الأهواء حتى أتبعها البراءة مما ولدته هذه الأهواء من أهواء أخرى، فمن المعلوم أن الباطل لا يلد حقاً وإنما يلد باطلاً مثله، ثم تبرأ الناظم من أولئك الذين ابتدعوا هذه الأهواء فقال: (ووالديها) وختم البيت بكلمة تقريع بليغة هي قوله : (ساء ما ولدوا) وقد ورد مثل هذا التقريع في القرآن الكريم ومنه قوله تعالى : ﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [مائدة: ٦٦] وقوله تعالى : ﴿ سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴾ [النحل: ٢٥] وقوله تعالى : ﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل: ٥٩] وغيرها كثير.

النص :

والله لست بجهمي أخا جدل يقول في الله قولاً غسير ما يرد

الشرح : وفي هذا البيت يقسم الناظم - رحمه الله - بالله العظيم أنه ليس (بجهمي) أي أنه ليس ممن يقولون بمقالة جهم بن صفوان^(٣). وقد ظهر جهم في زمان صفار التابعين بمقالاته

^(١) المبتدعين: مفرد ما مبدع، وهو الذي ينسب البدعة لغيره، انظر لسان العرب ج ٨ ص ٦.

^(٢) المبتدعين: مفرد ما مبتدع وهو الذي يأتي بشيء جديد في الدين بعد اكتماله. المرجع السابق. ج ٨ ص ٦.

^(٣) جهم هو أبو عمرز جهم بن صفوان الراسي مولا هم السرقندي قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء رأس الضلالة ووصفه في ميزان الاعتدال بقوله الضال المبتدع رأس الجهمية، لجهم بن صفوان ترجمة في: سير أعلام النبلاء للنهسي، ج ٦ ص ٢٦ والخطط المقرزية للمقرئ ج ٢ ص ٣٤٩ وميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٤٢٦ ولسان الميزان ج ٢ ص ١٧٩، والأعلام للزركلي ج ٢ ص ١٤١.

الفاصلة فأضل كثيراً، وكاتب الحارث بن سريج التميمي^(١) أيام خروجه على نصر بن سيار^(٢) في خراسان آخر أيام بني أمية، فقبض عليه سلم بن أحور وقتله في ١٢٨هـ على شط نهر بلخ.

أما مقالات جهم الضالة فتلخص في أنه يرى : (٣)

- ١- أن الجنة والنار تغنيان كما تغني سائر الأشياء.
- ٢- إضافة الفعل إلى الله ونفيه عن العبد.
- ٣- أن علم الله حادث ، وأنه لا يعلم ما يكون حتى يكون.
- ٤- أن الله تعالى لا يوصف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ فلا يجوز في حقه أنه عالم أو حي أو مريد أو موجود لأن هذه الصفات تطلق على العبد وقال إنما يقال في وصفه : إنه قادر موجد فاعل خالق محي مميت ، لأن هذه الصفات لا تطلق على العبيد.
- ٥- أن كلام الله -أي القرآن- مخلوق ولكن لا يجوز أن يسمى متكلماً بكلامه.
- ٦- أن الإيمان لا يتبعض أي لا ينقسم إلى عقد وقول وعمل، ولا يتفاضل أهله فيه، فإيمان الأنبياء وإيمان الأمة واحد إذ المعارف لا تتفاضل.

وقد كان لمقالات جهم الضالة أثرها البالغ في إضعاف العقيدة الإسلامية في زمانه وبعده زمانه خاصة مقالته في خلق القرآن التي تبناها الخليفة المأمون أحد معتزلة خلفاء بني العباس وامتحن بها العلماء، وأزهق بسببها الأرواح وكادت الردة أن تعم لولا أن قبض الله أحد العلماء الأفاضل وهو الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (١٦٤-٢٤١هـ) فوقف في وجه هذه الضلالة وتصدى لها بكل قوة وتحمل بسببها المضاعب حتى كتب الله الغلبة لأهل الحق على أعدائه من المعتزلة ، وقد

(١) الحارث بن سريج التميمي من أمراء الدولة الأموية خرج أولاً ولحق بالترك فما لأهم على المسلمين ثم تاب وعاد إلى المسلمين ثم هجر على الدولة بخراسان في ولاية نصر بن سيار فقتل ونصب رأسه على باب مرو سنة ١٢٨هـ أنظر تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٩٢ والبدية والنهاية ج ١٠ ص ٢٦.

(٢) آخر أمراء خراسان لبني أمية، كان محارباً شجاعاً وشاعراً مجيداً، توفي سنة ١٣١هـ عن خمس وثمانين سنة. أنظر البدية والنهاية ج ١٠ ص ٣٧.

(٣) أنظر التبصير في الدين للإسفرابين ص ٦٣-٦٤ ، والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٨٦-٨٨ أنظر أيضاً الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٩٩-٢٠٠ والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج ٥ ص ٧٣ والخور العين لأبي سعيد شوان الحميري ص ٢٢٦.

كان الإمام أحمد -رحمه الله- ومن شايعه من العلماء- هو السبب في دحر هذه البدعة وخمودها بعد ذلك^(١).

وقد تصدى للرد على الجهمية وتفنيد آرائهم كبار علماء الأمة وأفردوا لذلك المصنفات الجلية، ومن ألف في الرد عليهم :

الإمام أحمد بن حنبل في كتابه (الرد على الجهمية والزنادقة).

والإمام الدارمي في كتابه (الرد على الجهمية).

والإمام ابن منده في كتابه (الرد على الجهمية).

وشيوخ الإسلام في كتابه (بيان تليس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية).

والإمام ابن قيم الجوزية في كتابه (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة).

وللعلماء أيضاً ردود كثيرة على الجهمية منتشرة في مواضع متفرقة من مصنفاتهم ولا تزال الدراسات تترى في إظهار بطلان هذه العقيدة الفاسدة حتى زماننا الحاضر، لأن لأولئك ورثة لا لون ينشرون أفكارهم، ومنها كتاب (الحق الدامغ) للمعاصر أحمد الخليلي فقد خصصه لإنكار رؤية المؤمنين يوم القيامة والدعوى بخلق القرآن وتخليد العصاة في النار.

فقول الناظم -رحمه الله- (يقول في الله قولاً غير ما يرد) يعني به ما ذكرناه من أقوال جهم بن صفوان في صفات الله عز وجل وكلامه في أفعال العباد ومعنى الإيمان وغيرها، فأقواله كما يتضح لكل ذي بصيرة لم ترد في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله ﷺ، بل في الكتاب والسنة مطدحضها ويرد عليها ويطلها.

(١) انظر تفاصيل حنة خلق القرآن في فصول من كتاب مناقب الإمام أحمد بن حنبل لأبي الفرج أبي الجوزي.

النص :

يكذبون بأسماء الإله وأو صاف له بل لذات الله قد جحدوا

الشرح :

الكلام هنا متصل بالبيت السابق الذي يتحدث عن الجهمية، وقوله يكذبون بأسماء الإله وأوصاف له .. يعني قولهم الذي بيناه آنفاً في أسماء الله وصفاته وهو أن الله لا يوصف بما وصف به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله ﷺ في سنته، فلا يجوز أن يقال في حقه أنه حي، أو عالم، أو مريد، أو موجود، بل يقال في وصفه أنه قادر، موجد فاعل، خالق، محي ومميت، ومقالة الجهمية واضحة البطلان لأن الله تعالى وصف نفسه في كتابه العزيز بما أنكروه فقال في صفة العلم ﴿عَلَّمَ الْغَيْبِ﴾ [٢: ٢٥] وقال ﴿عَلَّمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَّمَ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣٨]. وقال في صفة الحياة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]. وقال: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقد أنكرت الجهمية هذه الصفات وأنكرت ما عليه نص التنزيل.

وقول الناظم -رحمه الله- (بل لذات الله قد جحدوا) يعني هذا لازم مذهبهم، لا أنعم قالوا به صراحة، فالجهمية حين بدأت في نفي الصفات واحدة بعد الأخرى لم يبق لديها هناك من يوصف، فنفيتهم للصفات يلزم منه نفي الموصوف.

النص :

كلا ولست لربي من مشبهة إذ من يشبهه معبوده جسد

الشرح :

في هذا البيت يتبرأ الناظم -رحمه الله- من أن يكون من المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه، وذلك لأن العقيدة السليمة التي جاء بها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هي تنزيه الله

تعالى عن المشابهة والمماثلة بالخلق، والأصل في ذلك قوله تعالى في محكم التنزيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [البقرة: ١١] فهذه الآية تنفي نفياً باتاً أي نوع من المماثلة أو المشابهة بين الخالق والمخلوق. وتثبت في الوقت نفسه صفات الله تعالى التي أمرنا بتصديقها والإيمان بها، ففي الآية نفى وإثبات نفى للمثلية وإثبات للصفات من غير تمثيل ولا تكييف وعلى هذا الاعتقاد كان السلف الصالح رضي الله عنهم .

والمشبهة الذين يعينهم الناظم في هذا البيت هم جملة من يشبه الله بخلقه، وهم طوائف متعددة ذكرها الأئمة وفصلوا القول فيها ، فأول من ظهر من المشبهة في الإسلام هم السبئية^(١).

ومن المشبهة : فرقة الكرامية^(٢) وفي الفرق بين الفرق للبغدادي (أن ابن كرام دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده وزعم أنه جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التي منها يلاقي عرشه).

وقد انقسمت الكرامية إلى اثنتي عشرة فرقة ذكرها العلماء في مصنفاتهم وذكرها منها المغيرة^(٣). فهذه أبرز طوائف المشبهة التي ذكرها الأئمة والمؤرخون ، والكلام عنها مبسوط في مدوناتهم^(٤).

الـ ص :

ولا بمعتزلي أو أخا جبر في السيئات على الأقدار ينتقد

الشرح :

في هذا البيت يتبرأ الناظم -رحمه الله- من طائفتين هما المعتزلة وأهل الجبر وقد أوردهما الناظم هنا معاً في سياق واحد لأنهما ضدان فكأنه يقول لا أنا مع هذا ولا ذاك:

(١) أصحاب عبد الله بن سبا اليهودي الذي ظهر أيام الفتنة بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وقالوا بالوهمية علي بن أبي طالب فحرقهم. أنظر الفرق بين الفرق ص ٢٢٥ والفصل في الملل والنحل ج ١ ص ١٦٤.

(٢) أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام مؤسس الفرقة. أنظر الفرق بين الفرق ص ٢٢٥ والملل والنحل ج ١ ص ١٢٤.

(٣) المغيرة أتباع المغيرة بن سعيد المحلي الذي كان يقول إن للمعبود أعضاء وأن أعضاءه على صورة حروف المعاء. أنظر الفرق بين الفرق ص ٢٢٦.

(٤) أنظر التبيين في الدين ص ٦٠، ٧٣ والملل والنحل ج ١ ص ١٠٨ والفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٣١.

ومن أراء المعتزلة ما يأتي :

١- سموا أنفسهم أهل التوحيد وأهل العدل ولهم كتب منها كتاب عبد الجبار في الأصول الخمسة وعرفوا التوحيد بأنه نفي الصفات كلها عن الله عز وجل وإثبات الأسماء مجردة من المعاني^(١).

٢- العبد يخلق فعله خيراً وشرّاً.

٣- الفاسق من أمة الإسلام في منزلة بين المنزلتين خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر يعامل في الدنيا معاملة المسلم وفي الآخرة مخلد في النار إنفاذاً للوعيد وهو أن من ارتكب معصية على وعيد بالنار يجب على الله إدخاله النار وإذا دخلها لا يخرج منها لأنهم ينكرون أحاديث الشفاعة في إخراج العصاة من النار.

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومعناه الخروج على أئمة الجور.

هذه اتفاقات فرق المعتزلة وأما اختلافاتهم يستحيل سردها في هذا المقام لطولها وتعقدها، وقد ألف الأئمة في فضائح المعتزلة وتبيان فساد عقائدهم مصنفات جلية كشفت عن زيفهم وانحرافهم. فمن أراد التوسع في معرفة عقائد المعتزلة فعليه بتلك الكتب القيمة، وأما أهل الجبر الذين تبرأ منهم الناظم مع المعتزلة فيسمون المجبرة وهم الذين يقولون بإضافة الفعل الإنساني إلى الله ونفيه عن العبد. والجبرية صنفان:

١- الجبرية الخالصة التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً.

٢- الجبرية المتوسطة التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً^(٢).

(١) فأما المعتزلة أو القدرية فهي فرقة كبيرة ظهرت على يد واصل بن عطاء وعمر بن عبيد أيام فتنة الأزاريقة ولم تنزل هذه الفرقة تنمو وتتشر بين كبار رجال الدولة من قواد ووزراء حتى استطاعت أخيراً أن تستميل إليها أمير المؤمنين آنذاك وهو (المأمون العباسي) الذي جعل من آرائها ديناً رسمياً للدولة جعل الناس إليه بالقوة وامتحنهم فيه قهراً. يمكن مراجعة فرقة المعتزلة في: الملل والنحل ج ١ ص ٩٦، ٥٦ الفرق بين الفرق ص ٩٣-١٨٩، التبصير في الدين ص ٢٣٥-٣٥١. كما يراجع الكتاب المخصص لذلك وهو طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار، وكتاب المنية والأمل شرح الملل والنحل لابن المرتضى اليماني ص ١٢٢-٢١٥.

(٢) أنظر الملل والنحل ج ١ ص ٩٧.

وقول الناظم : بالسيئات على الأقدار ينتقد يعني أن الجبري يعمل السيئات ويدعي أنه مجبور على فعلها ويحتج بالقدر على فعله لها (١).

النــــــــــــــــص :

كلا ولست بشيعي أحدا دخل في قلبه لصحاب المصطفى فقد

الشرح :

يواصل الناظم - رحمه الله - تراه من فرق الضلال فيذكر الشيعة ويتبرأ منهم.

الشيعة في اللغة : الأنصار وقال الراغب الأصفهاني : (الشياع : الانتشار والتقوية يقال شاع الخبر أي كثر وقوى وشاع القوم انتشروا وكثروا، وشيعت النار بالحطب قويتها، والشيعة من يتقوى بهم الإنسان وينتشرون عنه، ومنه قيل للشجاع مشيع، ويقال شيعة وشيع وأشياع قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ۝﴾ [الصافات: ٨٣] و ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [الحجرات: ١٥].

وقد أطلق اسم الشيعة أولاً على أنصار الإمام علي رضي الله عنه الذين وقفوا معه في حروبه المتتالية مع أصحاب الجمل وأهل الشام والمحكمة، فكان هذا الاسم ذا مدلول سياسي بحيث لا يعني أكثر من معناه اللغوي ثم لم يلبث أن اتخذ مدلولاً دينياً وعقدياً بسبب الأحداث التي أعقبت مقتل الإمام علي ومقتل ابنه الحسين من بعده، فبعد كثير من التآمر واستغلال أجواء الفتنة ومشاعر المسلمين الذين فجعوا في مقتل أبناء الرسول ﷺ نجح أعداء المسلمين من اليهود والمندسين في صفوف الأمة في تحويل فكرة الشيعة من معناها المعروف إلى عقيدة دينية لها أصولها وفروعها وفلسفتها المتكاملة.

والشيعة ويسمون الرافضة وقد بين الإمام أحمد أن الرافضة الذين يسيون ويشتمون أبا بكر وعمر بل ويكفرون الصحابة فمن كان كذلك فهو رافضي وإن سمى نفسه شيعياً وهي فرقة كبيرة تنقسم إلى عشرات الفرق وقد انقرضت كثير من الفرق ولم يبق منها الآن إلا

(١) ومن الفرق المذمومة الضرابية أصحاب ضرار بن عمرو ، والجهمية أصحاب الجهم بن صفوان والنخارية أصحاب الحسين بن محمد النخاري انظر الملل والنحل ج ١ / ٩٧ ، النية والأمل ص ٢٣ .

الإمامية^(١) الإثني عشرية والإسماعيلية^(٢) والزيدية^(٣) وبعض الغلاة المتفرقون في العالم، وقد انبرى العلماء ومؤرخوا الفرق لتحديد فرق الشيعة وبيان بطلان معتقدها، فصنفوا في ذلك الكتب الكثيرة.

وأقرب الشيعة إلى أهل السنة هم الزيدية^(٤) الذين يقرون بإمامة أبي بكر وعمر ويقولون بجواز إمامة المفضل على الفاضل، وقد اتفق الشيعة الرافضة على:

- ١- قولهم بأفضلية علي بن أبي طالب على جميع الصحابة.
- ٢- قولهم بعصمة الأئمة وأن العصمة تنتقل من إمام إلى إمام بالتوارث.
- ٣- بغضهم للصحابة رضي الله عنهم ومنهم أبو بكر وعمر وعثمان وأبو هريرة وأم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها... ومن فرق الشيعة من يكفر الصحابة^(٥) وهم الرافضة.

النتيجة :

كلا ولا ناصي ضد ذلك بل حب الصحابة ثم الآل نعتقد

(١) الإمامية الإثني عشرية: من أكبر طوائف الشيعة سميت بذلك لدعواهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر من نسله إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، من أهم مقالاتهم أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه من بعده، فعالمه الصحابة فكفروا بذلك، وأن الإمامة ركن من أركان الإسلام وهم يرون عصمة أئمتهم، والقول بالتناسخ والرجعة إلى غير ذلك من الأباطيل.

(٢) الإسماعيلية ويقال لهم الباطنية والقرامطة وغير ذلك، وهي من فرق الكفر لقولها بالوهمية علي بن أبي طالب، وهم يزعمون أن الإمامة صارت من جعفر إلى ابنه إسماعيل ويدعون أن دور الإمامة انتهى إليه لأنه سابع واحتجوا بأن السموات سبع والأرضين سبع وأيام الأسبوع سبعة فدل على أن دور الأئمة يتم بسبعة أنظر التبصير في الدين ص ٣٨٠ وتبليس إبليس ص ١٢٥.

(٣) من فرق المسلمين وهم المنتسبون لزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، من عقائدهم أنهم يفضلون علياً ويقدمونه في الخلافة ثم أبو بكر ثم عمر ثم يسكنون عن عثمان ولا يشتمون الشيعة ولا عائشة ولا سائر العشرة ولكهم يحطون على معاوية. أنظر: الفرق بين الفرق ص ١٦ ومعارج القبول ج ٣ ص ١١٨٠.

(٤) أنظر دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين للدكتور أحمد محمد جلي ص ٢٤٨.

(٥) أنظر مقالات (الإسلاميين) للأشعري ج ١ ص ٦٥-١٦٦ (الملل والنحل) للشهرستاني ج ١ ص ١٦٩ (الفرق بين الفرق) للبغدادي ص ٢٢-٥٣ (التبصير في الدين) للأسفرايين ص ١٦-٢٦ (التحفة الإثني عشرية) للدعلوي ج ٣-٥٤. وكذلك مصنفات الشيخ إحسان إلا هي ظهور (الشيعة والتشيع، الشيعة وأهل البيت، الشيعة والقرآن الكريم).

الشرح :

في هذا البيت ينفي الناظم - رحمه الله تعالى - كونه ناصبياً ويقول بعد كلمة ناصبي (ضد ذلك) ^(١) يعني ضد ما سبق ذكره في البيت السابق من أنه ليس بشيعي لأن النواصب ضد الشيعة في الاعتقاد هؤلاء يحبون علياً رضي الله عنه لدرجة الغلو والخروج عن حد الاعتدال وأولئك يتدينون ببغضه ولقد عانى علي رضي الله عنه في حياته من كلا الفريقين إذ ألهته الشيعة وكفره الخوارج بل وقتلوه رضي الله عنه.

ومن الطبيعي أن ينفي الناظم وهو من أهل السنة والجماعة كونه ناصبياً لأنه لا يجوز لمسلم أن يناصر أحداً من أصحاب الرسول ﷺ العدا.

وقد فهمي النبي ﷺ عن بغض الصحابة رضي الله عنهم فقال فيما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه : [لا تصيوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدهم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه] ^(٢).

وإذا كان التحذير ثابتاً في النهي عن سب الصحابة جميعاً فعلى رضي الله عنه من أولى الناس أن يحذر شتمه وعداؤه لقرايته من رسول الله ﷺ إذ هو ابن عمه وصهره ولسابقته في الإسلام وجهاده وبلائه الذي لا يعرف له مثيلاً في أتباع الأنبياء السابقين.

وفي اعتقاد أهل السنة والجماعة أن علياً هو رابع الصحابة فضلاً وهو رابع الخلفاء الراشدين ومن أنكر إمامته وعادها فهو أحمق فقد روى عن الإمام أحمد أنه قال: (من لم يثبت الإمامة لعلي فهو أضل من حمار أهله) ^(٣). ففي هذا الوصف الذي قاله الإمام أحمد يدخل جميع الناصبة من خوارج وغيرهم.

وقول الناظم - رحمه الله - بل حب الصحابة ثم الآل نعتقد، يعني أن أهل السنة والجماعة يحبون الصحابة وآل البيت معاً، فلا هم شيعة يبغضون الصحابة ولا هم ناصبة يبغضون آل البيت.

(١) النواصب ضد الشيعة يتدينون ببغض الإمام علي رضي الله عنه ، وهم الخوارج ومن شايهم من الفرق الأخرى. أنظر الملل والنحل ج ١ ص ١٣١ .

(٢) البخاري في فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ (لو كنت متعذراً لخليلاً ...) ج ٣ ص ١٣٤٣ ح ٣٤٧٠ ومسلم في فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة ص ١٠٢٦ ح ٢٥٤٠ .

(٣) مناقب الإمام أحمد ص ٢١٣ .

وهذه هي العقيدة التي ينبغي للمسلم أن يعتقد بها.

النص :

وما أرسطو ولا الطوسي أمتنا ولا ابن سبعين ذاك الكاذب الفند

المفردات الفند - الخطأ في الرأي والقول^(١)

الشرح :

في هذا البيت يواصل الناظم - رحمه الله تعالى - تيرته من أهل الأهواء فيذكر أرسطو^(٢) أحد مشاهير فلاسفة الإغريق المكثرين من التصنيف والمتعمقين في شتى ضروب المعرفة من منطق وطبيعة وسياسة وغيرها، وليس أرسطو بأولى بالذكر من غيره من الفلاسفة ولكن الناظم - رحمه الله - خصه بالذكر هنا لأنه أكثر الفلاسفة تأثيراً على أهل الأهواء من متكلمي المسلمين الذين فتوا بمنطقه وعظموه كثيراً بينما لا يعدو أن يكون المنطق علم (لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد) كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣) ولم يقف تأثير أرسطو على الفرق الكلامية في الإسلام على المنطق وحده بل تعداه إلى ما هو أبعد وأخطر وهو القول بنفي الصفات والواقع أن تأثير أرسطو كان وبالاً على الأمة الإسلامية إذ دفع أهل الأهواء على تقديم العقل على النقل وجراهم بذلك على نقد نصوص الشريعة بدعوى معارضتها للعقل ثم يتبرأ الناظم - رحمه الله - من الطوسي بقوله (ولا الطوسي) ومن ابن سبعين بقوله (ولا ابن سبعين).

ومما ذكرناه عن أرسطو وتأثيره على الأمة الإسلامية يظهر لنا سبب اختيار الناظم - رحمه الله - له دون غيره من الفلاسفة ليتبرأ منه.

(١) أنظر لسان العرب ج ٣ ص ٣٣٨.

(٢) قال ابن خلدون في مقدمته أرسطو المقلدوني من أهل مقنونية من بلاد الروم من تلاميذ أفلاطون وهو معلم الإسكندر ويسمونه المعلم الأول على الإطلاق (يعنون معلم صناعة المنطق) إذ لم تكن قبله مهذبة وهو أول من رتب قانونها

واستوفى مسائلها. المقدمة ص ٧٠٩.

(٣) الرد على المنطقيين ص ٣.

وقول الناظم - رحمه الله - (ولا الطوسي)^(١).

وأما قول الناظم - رحمه الله - (ولا ابن سبعين)^(٢) وقول الناظم (ذاك الكاذب الفند)
إشارة إلى ما حفظ عنه من قوله عن النبي ﷺ (لقد تحجر ابن آمنة واسعاً بقوله لا نبي بعدي)^(٣)
وقد نقل ابن عساكر هذه المقولة في كتابه فوات الوفيات عن الإمام شمس الدين الذهبي (فإن كان
ابن سبعين قال هذا فقد خرج به من الإسلام) مع أن هذا الكلام هو أخف وأهون من قوله في
رب العالمين إنه حقيقة الموجودات تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.^(٤)

وقول الناظم (ذاك الكاذب الفند) أي الكاذب الضعيف العقل المخطئ^(٥) في رأيه وقوله
حقيقة لا جدال فيها ومن أكذب ممن يكذب النبي ﷺ في قوله (لا نبي بعدي) ويكذب الله تعالى
في قوله : (خاتم النبيين). الأحزاب آية ٤٠

النــــــــــــــــص :

ولا ابن سينا وفارابي قدينا ولا الذي لفصوص الشر يستند

^(١) هو محمد بن محمد بن الحسين الطوسي الملقب بنصر الدين ويقال له نصر الكفر. المولود سنة ٥٩٧هـ — المتوفي سنة ٦٧٢هـ منجم وحكيم ورياضي كان مكثراً عند هولاكو التتري ودخل معه بغداد عند غزوها من كتبه قواعد العقائد وزبدة الإحراك في هيئة الأفلاك وتحرير الإقليدس في أصول الهندسة والحساب. قال عنه ابن كثير في البداية والنهاية: (وأصل اشتغاله على المعين سالم بن بدار بن علي المصري المعتزلي المتشيع فنسزع فيه عروق كثيرة حتى أفسد اعتقاده. انظر البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٦٧/٢٦٨.

^(٢) هو أبو محمد بن سبعين المرسي الأنطلسي المولود ٤١٣ للثوري ٦٦٩ وابن سبعين صوفي مشهور له مؤلفات عظيمة منها (بدا المعارف، الإحاطة، رسالة العهد) وغيرها. انظر فوات الوفيات لابن شاکر ج ٢ ص ٢٥٤ ومقدمة كتاب رسائل ابن سبعين لعبد الرحمن بندي.

^(٣) الإمام البخاري باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ج ١ ص ١٦٨ ج ٤٢٧.

^(٤) انظر فوات الوفيات لابن شاکر ج ٢ ص ٢٥٤.

^(٥) انظر ترجمته في عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ص ٤٣٧ وسير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٥٣١ وتاريخ الحكماء للشهرزوري

ص ٣٦٧ مرة الجنان ج ٣ ص ٤٧-٥١.

الشرح :

لا يزال الناظم -رحمه الله- يتراً من أهل الزيغ والضلال فيقول إن ابن سينا^(١) ليس قدوة له ولا ابن سينا مقالات خالف فيها صريح الشريعة كفره بما الفلاسفة والفقهاء كالفارابي في المنقذ من الضلال وابن تيمية في عدد من مصنفاته خاصة درء تعارض العقل والنقل، وأبرز ما يقوله ابن سينا مما يخالف به عقيدة الأمة هو إنكاره للعذاب الجسدي يوم القيامة وزعمه أن ما ورد من النصوص في ذلك جاء على قدر عقول الناس لعدم معرفتهم بالعذاب المعنوي . وقد ألف في ذلك رسالته باسم الأضحوية وهي رسالة تكشف عن عقيدته الباطنية التي تبدل صريح النصوص بتأويلات بعيدة يأبأها العقل والشرع^(٢) .

وقول الناظم وفارابي يعني به أبي نصر الفارابي^(٣) ويؤخذ على الفارابي ما يؤخذ على غيره من الفلاسفة الذين مجدوا فلسفة ومنطق اليونان وأدخلوها في علوم المسلمين مما أثر على عقائدهم وأدخل الشقاق والجدال بينهم^(٤) وأما قول الناظم -رحمه الله- (ولا الذي لفصوص الشر يستند) فيعني به ابن عربي وكتابه فصوص الحكم^(٥) ومن أشهر مقالات ابن عربي التي تخرجه من الملة بإجماع الفقهاء هي :

١- قوله بوحدة الوجود وهي فكرة تذهب إلى أن الله عين الكائنات.

(١) هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا الطبيب والفيلسوف المعروف المولود ٣٧٠ المتوفي ٤٢٨هـ . ينتمي إلى طائفة الإسماعيلية من الشيعة وهي إحدى طوائف فرق الباطنية الغلاة وقد اشتهر ابن سينا بالطب والمنطق والفلسفة وصنف فيها نحواً من مائتي كتاب أشهرها القانون ، الشفا ، الإشارات ، التبيينات . انظر ميزان الاعتدال ج ١ ص ٥٣٩ سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٤١٦-٤١٨ وحيون الأنبياء ص ٦٠٣-٦٠٩ .

(٢) انظر ميزان الاعتدال ج ١ ص ٥٣٩ .

(٣) هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزنغ الفارابي أحد أذكىاء الدنيا وأكبر الفلاسفة المتسبين للإسلام عاش في بلاط سيف الدولة الحمداني وتوفي عنده سنة ٣٣٩هـ عن ثمانين سنة وصلى عليه بنفسه . والفارابي هو أكبر ناقل لفلسفة أرسطو في الإسلام حتى أنه لقب بذلك (بالمعلم الثاني) يعني الثاني بعد أرسطو معلم اليونان الأول وقد روى عنه أنه سئل آنت أعلم أم أرسطو فقال: (لو أدركته لكنت أكبر تلامذته) انظر سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٤١٨ .

(٤) انظر حيون الأنبياء ص ٤٣٨ .

(٥) هو عبد الله محمد بن علي الطائي الملقب بمحي الدين المعروف عند أتباعه بالشيخ الأكبر المولود ٥٦٠ المتوفي ٦٣٨هـ وهو أحد كبار المتصوفة وأصحاب المقالات الضالة من كتبه الفتوحات المكية وفصوص الحكم والوصافي وله ديوان شعر انظر وفيات الوفات ج ٢ ص ٢٤٥ وميزان الاعتدال ج ٣ ص ١٠٨ .

٣- قوله أن الولاية أفضل من النبوة وأن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء.

٤- قوله بقدّم العالم.

هذه أبرز مقالات ابن عربي وضلالاته وقد تصدى لها علماء الأمة فزيفوها وأبدوا عوارها ومن أكابر من تصدوا لابن عربي شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في مواضع متعددة من مصنفاته كما أفرد للرد على عقيدته رسالة خاصة باسم حقيقة مذهب الاتحاديين^(١) وقد تصدى لكفریات ابن عربي أيضا الإمام البقاعي^(٢) فأفرد كتابا بذلك وسماه تنبيه الغيبي إلى تكفير ابن عربي أما مقالات الفقهاء المنشورة في الكتب فلا سبيل لإحصائها لكثرتها وكذلك فعل المقبلين^(٣) في العلم الشامخ^(٤).

النص:

مؤسس الزيف والألحاد حيث يرى كل الخلاق بالباري قد اتحدوا

الشرح :

يواصل الناظم -رحمه الله- كلامه عن ابن عربي فيصفه بمؤسس الزيف والإلحاد وقد صدق فيما قال لما ذكرناه سابقاً من أقوال العلماء فيه وقول الناظم رحمه الله حيث يرى كسل الخلائق بالباري قد اتحدوا هو شرح مبسط لفكرة وحدة الوجود وقد لخص شيخ الإسلام ابن تيمية مذهب الاتحادية بما يشبه قول الناظم -رحمه الله- (فقال حقيقة قول هؤلاء أن وجود الكائنات هو

(١) وهي مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية

(٢) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط الخرباوي البقاعي (٨٠٩ - ٨٨٥هـ) محدث ومؤرخ ومفسر، من كتبه: نظم السدر في تناسب الآي والسور، أنظر الضوء اللامع للسخاوي ج ١ ص ١٠١ وشنرات الذهب ج ٧ ص ٣٣٩.

(١٦) هو صالح بن المهدي بن علي بن عبد الله المقبلي اليمني الزيدي (١٠٤٠-١١٠٨هـ) من علماء الحديث والتفسير والفقه، من كتبه: العلم الشامخ في إظهار الحق على الآباء والمشايع وحاشية علي الكشاف أنظر البدر الطالع للشوكاني ج ١ ص ٢٨٨ ومعجم المؤلفين لكحالة ج ٥ ص ١٤.

(4) انظر العلم الشامخ ص ٥٧٧-٦٠٢ انظر تنبيه الغي إلى تكفير ابن عربي للبغامي ص ١٦٧ وانظر فتاوي ابن علسون في

عين وجود الله تعالى ليس وجودها غيره ولا شيء سواه البته^(١).

النص :

معبوده كل شيء في الوجود بدا الكلب والقرود والخنزير والأسد

الشرح :

يقول الناظم - رحمه الله - إذا كان ابن عربي يرى الموجودات هي عين الله فمعبوده إذن كل الموجودات فالله هو كل شيء في الكون : هو الحيوان والجماد والنبات والكلب والخنزير التي هي من أحسن الأشياء إنما هي عين الله عنده (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا). ولا شك أن أهل وحدة الوجود بهذه المقالة التي لم يفرقوا فيها بين الخالق والمخلوق قد تنهاوا في الكفر، ولذلك يرى علماء أهل السنة أن جميع ملل الكفر من يهود ونصارى وغيرهم أفضل حالا من أهل الإتحاد إذ لم يبلغوا في الكفر ما بلغ هؤلاء وفي ذلك يقول الإمام ابن تيمية (الإتحاد العام هو قول هؤلاء الملاحدة الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات ، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين):

الأولى : من جهة أن أولئك قالوا إن العبد يتحد بربه الذي قربه واصطفاه بعد أن لم يكونا متحدين ، وهؤلاء يقولون مازال الرب هو العبد وغيره من المخلوقات ليس هو غيره. الثاني : من جهة أن أولئك حصوا ذلك بمن عظموه كالسيح، وهؤلاء جعلوا ذلك مساريا في الكلاب والخنازير والقذر والأوساخ، وإذا كان الله تعالى قال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [١٧: ٤٠] . فكيف بمن قال إن الله هو الكفار والمنافقون والصبيان والمجانين والنحاس والأنتان وكل شيء؟^(٢).

النص :

ولا الطرائق والأهواء والبدع — ضلال مسمن على الوحيين ينتقد

الشرح :

يتبرأ الناظم - رحمه الله - من بين من تبرأ منهم من أهل الطرائق والأهواء والبدع وهو يعني

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٦

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٣٠.

بالطريق هذه الطرق الصوفية التي انتشرت في أرجاء البلاد الإسلامية مثل القادرية^(١) والتيجانية^(٢) وغيرها مما لم ينزل الله به سلطانا وهي في مجملها طرق شيطانية زادت المسلمين فرقة وأغرت بينهم العداوة والبغضاء لما تدعيه كل طريقة من فضائل تروج لها مع انتقاص قدر الطرق الأخرى.

وأما قول الناظم - رحمه الله - (من على الوحيين يتقصد) فيعني به أن هذه الطرق والطوائف تنتقد كلا الوحيين الكتاب والسنة إذا ما من طريقة ولا طائفة من هذه الطوائف إلا ولها مقالة تعارض ما جله في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ونستطيع تلخيص معارضة هذه الطوائف والطرق لدين الله في أمرين :

الأول : أنها شرعت أورادا وأذكارا بأعداد وكيفية لم يأذن بها الله ولا رسوله وأدعت هذه الطوائف أن لهذه الأذكار فضائل ينالها الذاكرون وهذا أمر مفترى لأن أعداد الذكر وفضائله أمر توقيفي لا يحق لأحد أن يتكلم فيه إلا نبي يبلغ عن ربه فما يذكره أصحاب هذه الطوائف كله كذب على الله ورسوله وقد أرادوا بهذه الأذكار والدعوات الترويج لأنفسهم علوا في الأرض وفسادا لأكل أموال الناس بالباطل ولإبعاد الناس عن أذكار القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة المنصوص على بركتها وفضلها.

الثاني : هو الكفریات التي تنشرها بعض هذه الطرق والتي يخفي أمرها على البسطاء والعامة من أتباعها ومن هذه الكفریات ما تدعيه الطريقة التيجانية مثلا وهي إحدى الطرق التي ظهرت في المغرب الإسلامي من أن (صلاة الفاتح) وهي صيغة صلاتهم التي يصلون بها على النبي ﷺ تعدل القرآن الكريم ستة آلاف مرة!

فهذه الطوائف والطرق جميعها لا خير فيها ولا في أذكارها، وعلى المسلم أن يتبع ما نزل به الكتاب الكريم وجاءت به السنة المطهرة وينأى بجانبه عن هذه الطرق المحدثه التي تقف وراءها أيدي خفية لتخريب عقائد الأمة^(٣).

^(١) هي إحدى الطرق الصوفية المنتشرة في كثير من البلاد الإسلامية خاصة السودان والمغرب العربي، وهي تنسب إلى الفقيه الحنبلي عبد القادر الجيلاني، صاحب كتاب الفتح الرباني، (٤٧١-٥٦١هـ) وللطريقة أدوار وأذكار خاصة بها. انظر معجم الفرق والمذاهب الإسلامية لإسماعيل العربي ص ٣٠٢.

^(٢) هي إحدى الطرق الصوفية الغالية في اعتقادات تنسب لمؤسسها أحمد بن محمد بن المختار التيجاني المفسري الفارسي (١١٥٠-١٢٣٠هـ) من جملة اعتقادهم أن صلاة الفاتح التي يصلون بها على النبي صلى الله عليه وسلم تعدل القرآن الكريم ستة آلاف مرة واعتقادات شريكة أخرى وقد ألف في الرد عليهم كتاب المذهب الهادي إلى الطائفة التيجانية محمد تقي الدين الحلاوي. والأنسوار الرحمانية لمداية الفرقة التيجانية للشيخ عبد الرحمن بن يوسف الأفرقي والتيجانية للدكتور علي بن محمد آل دحييل الله.

^(٣) لمعرفة المزيد من عقائد الصوفية انظر : هذه هي الصوفية ، وفضائح الصوفية لعبد الرحمن الوكيل، والتصوف في ثمامة لمحمد بن أحمد العقيلي والصوفية الوجه الآخر لمحمد جميل غازي.

النص :

ولا نحكم في النص العقول ولا نتائج المنطق المحقوق نعتد

الشرح :

يقرر الناظم -رحمه الله- في هذا البيت عقيدته في مسألة المنقول والمقول، فيقول إنه يؤمن بكل النصوص التي جاءت من الله ورسوله إيمان تصديق وتسليم، وأنه لا يعرض هذه النصوص على العقل ليحكم فيها إذ لا يتصور التعارض بينهما بحال.

وفي هذا المعنى الذي ذكره الناظم -رحمه الله- ألف ابن تيمية كتابه : (موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول) و(درء تعارض العقل والنقل) وما أودعه شيخ الإسلام في هذين الكتابين شاف كاف لبيان وجه الصواب في هذه القضية التي زعزت اعتقاد كثير من الفرق المنتسبة للإسلام.

ولا يفوت الناظم -رحمه الله- وهو يتحدث عن مسألة تحكيم العقل في النصوص الشرعية أن يعلن رفضه لاستعمال المنطق الأرسطي والأخذ بنتائجه في المسائل الاعتقادية وما ذهب إليه الناظم -رحمه الله- هو المعتمد عند المحققين من علماء الأمة، فقد أفق الشيخ ابن الصلاح^(١) فتواه المشهورة بتحريم المنطق فقال فيها: (وليس الاشتغال بتعلمه وتعليمه مما أباحه الشارع ولا استباحه أحد من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والسلف الصالحين)^(٢) وقد نقل الإمام السيوطي^(٣) هذه الفتوى في كتابه صون المنطق والكلام^(٤) وبين صحة ما ذهب إليه ابن الصلاح وزاد أقوالاً أخرى كثيرة للعلماء في تحريم المنطق وعلم الكلام.

^(١) ابن الصلاح: هو تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكروي الشهروزي الشافعي المعروف بابن الصلاح ٥٧٧ - ٦٤٣ من كتبه: الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح، وطبقات الشافعية، والفتاوى. انظر تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ٢١٤ وشنرات النعب ج ٥ ص ٢٢١.

^(٢) انظر فتاوى ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والعقائد ص ٤٣.

^(٣) الإمام السيوطي : هو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ) من مشاهير العلماء في القرن العاشر، ألف في كثير من المعارف وقد أربت مؤلفاته على الألف، منها الدر المنثور في التفسير المأثور وحسن المحاضرة، وجمع الجوامع، والأشباه والنظائر. انظر الضوء اللامع للسماوي ج ٤ ص ٦٥، والكواكب السائرة للغزالي ج ١ ص ٢٢٦.

^(٤) صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام للسيوطي ص ٢.

وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية في نقد المنطق الأرسطي والتشكيك في نتائج كتابيه المعروفين (نقض المنطق) و (الرد على المنطقيين) وتوصل من خلالهما إلى أن المنطق الأرسطي (لا يفيد علماً لأن النتيجة تضمنته في المقدمات، وصدقها راجع إلى المقدمات لا إلى الواقع، ومن ثم أقل نجم المنطق من بين علوم الفرنجة واستبدلوه بالمنهج التجريبي الجديد وهو المنهج الذي قاد أوروبا إلى هزتها بعد أن تحررت من سلطان أرسطو الذي ظل مكبلاً للإنسانية آلاف السنين. وكلا المنهجين ضلال لأنه بعيد عن المنهج الإلهي الحق.

النص :

لكن لنا نص آيات الكتاب وما عن الرسول روى الأئمة معتمد

الشرح :

بعد أن رفض الناظم -رحمه الله- في البيت السابق المنطق الأرسطي حدد في هذا البيت البديل الذي يرتضيه ويتمسك به فيقول : لكن لنا نص آيات الكتاب يعني القرآن الكريم، ويقول: وما عن الرسول روى الأئمة معتمد، يعني سنة النبي ﷺ بأقسامها الثلاثة ، القولية والفعلية والتقريرية، وهو بذلك لا يخرج عما ارتضاه الرسول ﷺ لأمرته حين قال : [قد تحببت فيكم أمريين لمن تخلوا ما تمسكتم بهما خطاباً الله وسنة نبيه]^(١).

النص :

لنا نصوص الصحيحين الذين لها أهل الوفاق وأهل الخلف قد شهدوا

الشرح :

في هذا البيت يبدأ الناظم -رحمه الله- في تحديد مصادر النصوص الحديثية التي يتمسك بها،

^(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ كتاب القدر باب النهي عن القول بالقدر ج ٢ ص ٦٨٦ ح ٣. صححه الألباني أنظر صحيح

الجامع الصغير ج ١ ص ٥٦٦ ح ٢٩٣٧ .

فيذكر أولاً نصوص الصحيحين وهما صحيحي الإمامين البخاري^(١) ومسلم^(٢).

ويستلزم الناظم - رحمه الله - في كلامه فيصف الصحيحين قائلاً : الذين لها أهل الوفاق وأهل الخلف قد شهدوا أي شهد لذين الكتاين بالصحة كل أهل العلم ، وما ذهب إليه الناظم - رحمه الله - صحيح لا شك فيه يعرف ذلك كل من اشتغل بعلم الحديث رواية ودراية ووقف على كلام الأئمة وما ذكروه عن مكانة الصحيحين.

الناظم :

والأربع السنن الغر التي اشتهرت كل إلى المصطفى يعلو له سند

الشرح :

في هذا البيت يستمر الناظم في ذكر النصوص الحديثية التي يتمسك بها يذكر منها السنن الأربع التي تكون مع الصحيحين الأصول الحديثية الستة عند أهل السنة، وهذه السنن هي : سنن أبي داود^(٣) وسنن الترمذي^(٤) ويعرف كتابه بالجامع، وسنن النسائي^(٥) وسنن ابن ماجه^(٦) ولم يشترط أصحاب هذه السنن الصحة كما اشترطها الشيخان في صحيحيهما، بل لهم شروط أخرى استنبطها العلماء من أعمالهم ، ولذلك وجدت بعض الأحاديث الموضوعة والضعيفة في كتبهم وقد نبه عليها العلماء.

وقد حظي كل كتاب من هذه السنن بعدة شروح هامة، فمن شروح سنن أبي داود معالم السنن للخطابي^(٧)، وبذل المجهود للسهار نفوري^(٨)، ومن شروح سنن الترمذي عارضة الأحوذ

(١) أبي عبد الله بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ - رحمه الله تعالى: أنظر تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٢.

(٢) أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١هـ - رحمه الله. المرجع السابق ج ١ ص ١١٣-١١٥.

(٣) هو أبو داود بن الأشعث الأزدي المتوفى سنة ٢٧٥هـ. أنظر تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٤٨-١٤٩.

(٤) هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الفضل السلمي الترمذي المتوفى سنة ٢٩٧هـ. المرجع السابق ج ٩ ص ٣٤٤.

(٥) هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر النسائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ. المرجع السابق ج ١ ص ٣٢-٣٤.

(٦) هو أبو عبد الله محمد بن يزيد المعروف بابن ماجه القزويني المتوفى سنة ٢٧٣هـ. المرجع السابق ج ٩ ص ٤٦٨.

(٧) هو أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (٣١٩-٣٨٨هـ) من علماء الحديث والفقه والفتنة، من كتبه: معالم السنن في شرح أبي داود وغريب الحديث وكتاب العزلة. أنظر تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٢٠٩ - ومراة الجنان ج ٢ ص ٤٣٥.

(٨) هو خليل أحمد السهار نفوري (١٢٩٦-١٣٤٦هـ) من علماء الهند وحفاظها، من كتبه: بذل المجهود في حل أبي داود وللهند على المنقذ ومطرفة الكرامة على مراة الإمامة. أنظر مقدمة بذل المجهود ج ١ ص ٢١.

لأبي بكر بن العربي^(١)، و تحفة الأحوذى للمبارك فوري^(٢)، ومن شروح سنن النسائي زهر الربا على المجتبى للسيوطي^(٣)، وحاشية السندي^(٤)، ومن شروح سنن ابن ماجه شرح للسيوطي والسندي أيضاً.

الفصل : ١

كذا الموطأ مع المستخرجات لنا كذا المسانيد للمحتج مستند

الشرح :

لا يزال الناظم -رحمه الله- يذكر كتب الحديث التي يتمسك بها فيذكر منها الموطأ وهو كتاب إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس المتوفي سنة ١٩٧هـ وهو أول كتاب صنف في الحديث فكان النموذج الذي حذا حذوه العلماء.

وقد روى الموطأ عن مالك جماعة من العلماء ، وأشهر هذه الروايات هي رواية يحيى بن يحيى اللبشي^(*) وهي المتداولة الآن بين الناس.

وقد خدم العلماء موطاً مالك بعدة شروح مهمة منها : التمهيد لابن عبد البر^(١)، والمتقى للباهي^(٢)، والقبس لأبي بكر بن العربي، وتنوير الحوالك للسيوطي.

(١) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري الأندلسي المالكي المعروف بابن العربي (٤٦٨-٥٤٣هـ) عالم في الفقه والحديث والأصول، من كتبه: عارضة الأحوذى شرح جامع الترمذي والقبس شرح موطأ مالك بن أنس وقانون التناول. أنظر النماذج للذهب لابن فرحون ص ٢٨١ ومرة الجنان ج ٣ ص ٢٧٩ وشرحات الذهب ج ٤ ص ١٤١.

(١) هو أبو العلا محمد بن عبد الرحيم بن هاد المماركتوري (١٢٨٣-١٣٥٣هـ) من علماء الهند، من كتبه تحفة الأحوزي شرح جامع الترمذي وأبكار التنقيح آثار المتن. أنظر زهرة الخواطر لعبد الحفي اللكوي ج ٨ ص ٢٤١ ومعجم المؤلفين ج ٥ ص ١٦٦.

(٣) سبق التعريف ٤ ص. ٦٥

(^{٢١}) هو أبو الحسن محمد بن عبد الحمادي اللخني الحنفي المعروف بالسبكي المتوفي سنة ١١٣٨هـ. من المحدثين وفقهاء والمفسرين، اشتهر بمواشييه على كتب الحديث وفقه منها حاشيته على تفسير البضاوي وحاشيته على فتح القدير لابن الهمام وحواشيه على الكتب الستة. أنظر سلك الدرر للبرادي ج ٤ ص ٦٦ ومجمع المؤلفين ج ١١ ص ٢٦٢.

(١٩) هو أبو محمد يحيى بن يحيى بن كندر بن وسلاص بن عمران الذي مولاهم القرطبي المتوفى سنة ٢٣٤هـ فقيه وهو أحد رواة الروا حسن مالك
انظر تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٢٦٢ وتقريب التهذيب ص ٥٩٨.

(١) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد الوارث القرطبي (٣٦٨-٤٦٣هـ) فقيه وحافظ ومؤرخ وأديب من مصنفاته شرح الموطأ والاستيعاب والامتداد. أنظر النجاشي المذهب ص ٣٥٧ وتذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٣٠٦ ونبذات الذهب ج ٣ ص ٣٩.

(٧) هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التميمي القرطبي (٤٠٣-٤٧٤) محدث وحافظ وأحد كبار علماء المذهب المالكي. من مصنفاته شرح الموطأ وإحكام الفصول في أحكام الأصول والحدود أنظر تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٣٤٩

والتحوم الزاهرة ج ٥ ص ١١٤ وشذرات الذهب ج ٣ ص ٣٤٤.

أما المستخرجات التي ذكرها الناظم -رحمه الله- فهي مجموعة الكتب التي ألفها أصحابها استخراجاً على كتب أخرى بأسانيدهم الخاصة، فالمستخرج في اصطلاح المحدثين هو: (أن يأتي المصنف إلى الكتاب فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب وأسانيده، وشرطه أن لا يصل إلى شيخ أبعد حتى لا يفقد سنداً يوصله إلى الأقرب إلا لعذر من علو أو زيادة مهمة، وربما أسقط المستخرج أحاديث لم يجد له بها سنداً يرتضيها، وربما ذكرها من طريق صاحب الكتاب^(١). فمن المستخرجات على الصحيحين: مستخرج أبي نعيم^(٢)، والبرقاني^(٣)، والخلال^(٤) وغيرها ومن المستخرجات على صحيح البخاري: مستخرج الإسماعيلي وابن أبي ذهل وغيرها.

ومن المستخرجات على صحيح مسلم: مستخرج أحمد بن سلمة^(٥) وأبي بكر الإسفرائيني^(٦) وغيرها وكما أن هناك مستخرجات على السنن كمستخرج ابن أثن الأندلسي^(٧) على سنن أبي داود، ومستخرج منحويه^(٨) على سنن الترمذي ومستخرج أبي ذر الهروي^(٩) على سنن الدار قطني^(١٠) وغيرها^(١١).

(١) الخطة في ذكر الصحاح الستة لصديق حسن خان ص ٣١

(٢) هو أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٣٣٦-٤٣٠هـ) محدث ومؤرخ، من كتبه حلية الأولياء ومعرفة الصحابة ودلائل النبوة. أنظر تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٢٧٥ للمنظم لابن الجوزي ج ٨ ص ١٠٠ وشنرات الذهب ج ٣ ص ٢٤٥.

(٣) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي البرقاني الشافعي (٣٣٦-٤٢٥هـ) من أئمة الحديث وحفاظه، من كتبه المستخرج على البخاري والمستخرج على مسلم وحديث الثوري. أنظر سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٤٦٤ وتذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٠٧ وطبقات الحفاظ ص ٤١٨.

(٤) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي المعروف بالخلال (٢٣٤-٤٢٥هـ) من الحفاظ وأحد كبار فقهاء الحنابلة، من كتبه الجامع في الفقه والحمل والسنة. أنظر تاريخ بغداد ج ٥ ص ١١٢ وتذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٧.

(٥) هو أبو الفضل أحمد بن سلمة بن عبد الله النيسابوري البزار التوفي ٢٨٦ من المحدثين الحفاظ كان رفيق الإمام مسلم له المستخرج على صحيح مسلم أنظر سير أعلام النبلاء ج ١٣ ص ٣٧٣ والرسالة المستطرفة ص ٢٨.

(٦) هو أبو بكر محمد بن محمد بن رعاء بن السدي الإسفرائيني التوفي سنة ٢٨٦هـ من كبار الحفاظ، من كتبه المستخرج على صحيح مسلم أنظر سير أعلام النبلاء ج ١٣ ص ٤٩٢.

(٧) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن لحن بن فرج القرطبي المتوفي سنة ٣٣٠هـ. محدث صاحب تصانيف، رحل إلى المشرق وروى عن أئمة مصر والعراق، من كتبه السنن وقد أثن عليه ابن حزم. أنظر نفع الطيب للمقري ج ٢ ص ٧١٣.

(٨) هو أبو بكر أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني المعروف بابن منحويه (٣٤٧-٤٢٨هـ) من محدثي القرن الخامس، من كتبه رجال مسلم والمستخرج على الصحيحين والسنن. أنظر تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٢٦٩ ومرة الجنان ج ٤ ص ٤٧ وشنرات الذهب ج ٣ ص ٢٢٣.

(٩) هو أبو ذر عبد الله بن أحمد بن محمد الهروي الأنصاري المالكي، شيخ الحرم (٣٥٥ - ٤٣٥هـ) محدث وفقه، من مصنفاته المستخرج على الصحيحين أنظر تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٢١١٠٣ والديهاج للذهب ص ٢١٧.

(١٠) الدار قطني هو: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود الدار قطني البغدادي (٣٠٦ - ٣٨٥هـ) من كبار الأئمة والحفاظ، من مصنفاته السنن والحمل والقرامات. أنظر تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٨٦. والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٧٢. وللتلظم ج ٧ ص ١٧٣.

(١١) للوقوف على المزيد من المستخرجات تراجع الرسالة المستطرفة للشيخ محمد بن جعفر الكفائي ص ٢٦-٣٢.

وللمستخرجات فوائد عدة ذكرها العلماء في مصنفاتهم منها : زيادات المتن وإزالة الإمام ومعرفة الإدراج وغيره .

وأما المسانيد التي ذكرها الناظم - رحمه الله - عقب المستخرجات فهي الكتب التي جمعت الأحاديث والآثار على مسانيد الصحابة، فيقوم مؤلف المسند بإيراد كل الأحاديث التي رواها عن الصحابي في مكان واحد، ثم يتبعه بصحابي آخر وهكذا، ومن أهم وأشهر المسانيد في الحديث مسند الإمام أحمد بن حنبل الذي قال عنه لابنه عبد الله: (احتفظ بهذا المسند فإنه سيكون للناس إماماً) ومن المسانيد المعروفة أيضاً : مسند الزيار^(١)، ومسند أبي يعلى الموصلي^(٢)، ومعجم الطبراني^(٣) الثلاثة (الكبير والأوسط والصغير) ومسند عبد بن حميد^(٤) وغيرها.

ولما كان ترتيب المسانيد يختلف عن ترتيب الصحاح والسنن إذ أن الأولى على الرواة والثانية على الأبواب الفقهية، فقد يجد الباحث بعض المشقة في الإهداء إلى الحديث من أحد المسانيد إذا لم يكن ململاً باسم الصحابي راوي الحديث، ولذلك قام بعض المحدثين بإعادة ترتيب بعض المسانيد على الأبواب الفقهية كما فعل أحمد عبد الرحمن البنا^(٥) في الفتح الرباني وهو ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري، وفي ترتيب مسند الطيالسي^(٦)، ومن قبله قام الحافظ نور الدين الهيثمي^(٧) بترتيب الأحاديث الزوائد في مسند أحمد واليزار وأبي يعلى ومعجم الطبراني الثلاثة على الأبواب الفقهية في كتابه المعروف بمجمع الزوائد ومنبع الفوائد.

(١) الزيار هو أبو بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق المصري الملقب باليزار (٢١٠-٢٩٢هـ) من كبار المحدثين والفقهاء، من كتبه السنن شرح موطأ مالك. أنظر تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٢٠٤، وسور أعلام النبلاء ج ١٣ ص ٥٥٤، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٥٩.

(٢) أبو يعلى : هو أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي، (٢١٠-٣٠٧هـ) من أعلام المحدثين الحفاظ، من كتبه المسند، أنظر سور أعلام النبلاء ج ١٤ ص ١٧٤. وطبقات الحفاظ ص ٣٠٩.

(٣) الطبراني: هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطر اللخمي (٢٦٠-٣٦٠هـ) من كبار المحدثين، من كتبه المعجم الكبير، والأوسط والصغير، ودلائل النبوة والتفسير أنظر تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١١٨، والمتنظم ج ٧ ص ٥٤.

(٤) هو أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الكشي إسمه عبد الحميد مخفف ١٧١-٢٤٩ هـ محدث ومفسر من كتبه التفسير والمسند الكبير أنظر تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥٣٤ وطبقات الحفاظ ص ٢٣٨ وسور أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٢٣٥.

(٥) هو أحمد عبد الرحمن البنا ولد في قرية من قرى مصر والتحق بكتاب القرية حيث حفظ القرآن الكريم وأحكام التوحيد، ثم سافر إلى الإسكندرية طالباً للعمل لقرأ المسند والكتب السنية وغيرها من الأصول المعتزة عند المحدثين وقد كان زاهداً ورعاً، توفي ١٩٥٨م أنظر الفتح الرباني ج ٢٤ ص ٢٣٢ - ٢٣٧ .

(٦) هو أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري التوفي سنة ٢٠٤هـ من أئمة الحديث الفقات، له كتاب المسند. أنظر مذهب الكمال ج ١١ ص ٤٠١ وتقريب التهذيب ص ٢٥٠.

(٧) هو نور الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان بن عمر بن صالح الهيثمي (٧٣٥-٨٠٧هـ) من كبار حفاظ القرن الثامن ورفيقه الحافظ العراقي في الحديث، من كتبه مجمع الزوائد وزوائد ابن حبان وزوائد الحلية أنظر طبقات الحفاظ للسيروطي ص ٥٤٥.

النفس :

مستمسکین بما مستسلمین لها عنها نذب الهوى انا لها عضد

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- إن النصوص الواردة في هذه الكتب من صحاح
وسنن ومستخرجات ومسانيد هي التي يعتمد عليها في دينه وعقيدته، وهي التي يتمسك بها ويدافع
عنها ويكون مؤيدا وناصرا لها ضد أهل الزيغ والضلال، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه كل مسلم.

النفس :

ولا نصيخ لعصري يفوه بما يناقض الشرع أو إياه يعتقد

المفردات : نصيخ : أصاخ له بصيخ إصاخة أي استمع وأنصت لصوت ، والمعنى لا نستمع للكلام أهل الباطل^(١).

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أنه لا يلتفت لأي قول يصدره معاصره الذي يأتي بما يصادم نصوص الشريعة الغراء ، ذلك أن الحق موجود في النصوص التي تضمنتها هذه المصنفات والهداية كلها فيها، فكل ما يأتي به أعداء الإسلام مما يناقض هذه النصوص فهو مجرد هراء لا يلتفت إليه الناظم، فكلمة عصري التي أوردناها تحتل أن يكون العصري المقصود واحد أو أكثر، فقلوه (لعصري) يعني (لأي عصري) وهذا يتسع البيت لكل دعاة الباطل الذين ظهروا زمن الناظم - رحمه الله - في البلاد الإسلامية وغيرها.

النظم :

يرى الطبيعة في الأشياء مؤثرة أين الطبيعة يا مخذول إذ وجدوا

الشرح :

لا يزال النازم هنا يتحدث عن ذلك العصري الذي يرى أن كل التأثيرات التي في العالم من خلق ونشوء وتطور وموت وحياة هي من صنع الطبيعة، وهذا قول أصحاب المذهب الطبيعي الذي يرى أن الطبيعة هي الوجود كله، وأنه لا وجود إلا للطبيعة.

(١) لسان العرب ج ٣ ص ٤٤٣.

فالتطبيعيون يردون كل مظاهر الحياة إلى الطبيعة ولا يعترفون بشيء خارج عنها ولا بقوة محركها ولا بخالق لها يقدرها ويدعها وتؤول إلى إرادته ومشيتته حتى أنهم ليردون الدين الذي يمثل أعلى القيم الروحية في الإنسان إلى صنع الطبيعة وينكرون عزوه إلى الوحي الإلهي فهؤلاء الملحدون منكرون وجود الله أصلاً ويقولون: (لا إله والحياة مادة) ويسندون كل شيء للطبيعة^(١). فهؤلاء الطبيعيون الذين يذكرهم الناظم هم أنفسهم العصريين الذين بين الناظم أنه لا يستمع لأقوالهم ولا يتأثر بهم.

النــــص :

وما مجلاتهم وردى ولا صدري وما لمعتقيها في الفـلاح يد

الشرح :

لا يزال الناظم -رحمه الله- يتحدث عن معاصريه من الملاحدة الطبيعيين فينقد وسائل إعلامهم ويقول إنه لا يعبأ بمجلاتهم التي تنشر خبثها في المجتمع، فهو لا يقرأها ولا يحتفي بها ولا يجعلها ورداً يومياً له ولا من مصادر معرفته ، بل يذهب إلى أن من يقرأ هذه المجلات ويصدقها ويتبنى ما تقوله فهو ضال بعيد عن الرشد والفلاح.

^(١) انظر المناهض المعاصرة وموقف الإسلام منها ص ١٢١-١٥١ والاتجاهات الفكرية المعاصرة للدكتور علي حريشة

النص :

إذ يدخلون بها عاداتهم وسجاياهم وحكم طواغيت لهم طردوا

الشرح :

يشير الناظم -رحمه الله- هنا إلى أن الملاحدة يستغلون هذه المجالات في نشر عقائدهم الفاسدة وعاداتهم البغيضة بين المسلمين، كما أنهم يدعون الأمة للخروج عن الحكم بما أنزل الله، والدخول في زمرة الأمم التي جعلت من القوانين الوضعية مصدراً لها في التشريع والتحاكم وهذا هو بعينه حكم الطواغيت الذي حذرنا الله تعالى : ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النساء: ٥٧) .

النص :

محسنين لها كي ما تروج على عمى البصائر من فاته الرشد

الشرح :

ينبه الناظم -رحمه الله- في هذا البيت إلى أن هؤلاء الدعاة الملاحدة يقومون بكل الوسائل التي من شأنها أن تجعل صورة دعوتهم وتظهرها للناس بالشكل اللائق والمقبول وهدفهم من هذه البهرجة الزائفة هو الترويج لأفكارهم الخبيثة حتى ينخدع بها من يقرأ لهم ويسر وسهولة، غير أنه لن يقع في مصيدة هؤلاء الدعاة إلا من هو أعمى البصيرة لا يميز بين الهدى والضلال، أما المؤمنون المشتبهون من عقيدتهم فلا أحد يقوى على إضلالهم مهما كانت أساليبه ومناهجه بإذن الله وتوفيقه.

النص :

من أجل ذلك قد أضحي زنادقة كثيرهم لسبيل الغي قد قصدوا

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- إنه بسبب هذه الحملات التي يشنها دعاة الباطل بوسائل إعلامهم المختلفة من مجلات وصحف وغيرها فقد تحول كثير من الناس إلى مذهبهم الباطل فاصبحوا زنادقة مثلهم وكثير من هؤلاء الزنادقة أصبحوا يصدون عن الله ويقصدون طريق الغي والضلال وهذا واقع الحال في زمان الناظم -رحمه الله- وما بعد زمانه فقد وجد الشيوعيون بعد قيام دولتهم الإلحادية في الاتحاد السوفيتي سنة ١٩١٧م أتباعاً كثيرين في البلاد الإسلامية

المختلفة فقام هؤلاء الأتباع بتكوين أحزاب إلحادية في كثير من الأقطار تحت أسماء مضللة توهم الناس بأنها تبعث العرب من رقادهم ليعيدوا مجدهم القديم بينما هي تخفي وراء هذه الشعارات بفكرهم المسموم في محاربة الله ورسوله. وللأسف البالغ فقد استطاع بعض هذه الأحزاب الوصول إلى رئاسة الحكم في بعض البلاد بمساعدة القوى الشيوعية ودعمها ماديا ومعنويا، فكممت الأفواه وقتلت الأبرياء وبددت الثروات وأذلت المسلمين ونشرت الإلحاد واقامت علماء الدين وأئمتهم بالرجعية والتخلف ولا يزال تأثير هذه الحكومات باقيا إلى اليوم رغم فشل النظرية الشيوعية وانحيار معسكرها في الاتحاد السوفيتي في أوائل التسعينات من هذا القرن.

النــــص :

يرون أن تبرز الأنثى بزيتها وبيعها البضع تأجيلا وتنقد

المفردات : البضع : النكاح^(١).

الشرح :

يقول الناظم -رحمه الله- أن من نتائج الفكر الإباحي والإلحادي الذي انتشر في معظم البلاد الإسلامية أن برزت الدعوة إلى تحرير المرأة . هذه الدعوة التي كان لها مفكرون متخصصون يعملون ليل نهار في إنجاحها وتثبيت أركانها مثل قاسم أمين (١٨٦٣-١٩٠٨ م)^(٢) وهدى شعراوي (١٨٧٩-١٩٧٤ م)^(٣) في مصر ومسألة تحرير المرأة في ظاهرها دعوة رنانة تجتذب كثيرا من النساء لما فيها من بريق وإغراء يوهمان بتحرير المرأة ماديا وتحسين أوضاعها النفسية والاجتماعية، ولكنها في واقع الأمر تخفي وراءها كثيرا من المخاطر لا على المرأة فحسب بل على المجتمع كله. وذلك لأن تحرير المرأة عند هؤلاء يعني تحريرها من الضوابط الشرعية التي وضعها الإسلام وكلفها بها وشدد في التزامها وعدم الخروج عنها، فقد هون دعاة تحرير المرأة من أمر الحجاب الشرعي للمرأة ودعوا النساء للتبرج والسفور وإظهار الزينة الكاملة، كما حرضوها على المطالبة بالعمل مع الرجل جنبا إلى جنب وفي كل الميادين التي تناسبها والتي لا تناسبها، ودفعوا بها إلى عالم الفنون والفرائز من سينما ومسرح وغناء وغيرها، ولم تلبث أن عمت البلوى بهذه الدعوة الخطيرة

(١) انظر لسان العرب ج ٨ ص ١٤.

(٢) الأعلام للزركلي ٥ ص ١٨٤.

(٣) المرجع السابق ج ٨ ص ٧٨.

فاستجاب لها كثير من الناس وأصبح من حق المرأة عندهم أن تفعل بحسدها ما تشاء وأن تنتفع به مادياً وعلى القانون حمايتها وكف أذى المتدينين والمحافظين عنها!!

وبهذا لم يبعد الناظم -رحمه الله- في قوله عن المرأة (وبيعها البضع - أي الجماع) (تأجيلاً وتنتقداً) لأن هذا هو الواقع في كثير من البلاد حيث يسمح بهذا النوع من التجارة الرخيصة مما يهدم الأخلاق والقيم الإنسانية ويهون شأن الفاحشة بين الناس التي لعانا الله تعالى عنها حيث قال:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] .

النــــص :

من أجل ذلك بالإفرنج قد شغفوا بهم تزويوا وفي زي التقى زهدوا

الشرح :

يقول الناظم -رحمه الله- في هذا البيت أنه لهذه الأسباب التي ذكرها كانت المشاهدة بين أهل الضلال من المسلمين وبين الفرنجة، فقد افتتنوا بهم وأمعنوا في محاكمتهم والتشبه بهم في أزيائهم المعروفة تاركين لباس المسلمين وما فيه من ستر ووقار، ومتجاهلين نهي الرسول ﷺ عن محاكاة الكفار والتشبه بهم والتشديد على من فعل ذلك حيث قال ﷺ [من تشبه بقوم فهو منهم]^(١).

النــــص :

وبالعوائد منهم كلها اتصفوا وفطرة الله تغيروا لها اعتمدوا

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- إن محاكاة أهل الضلال لم تقتصر على اللباس وحده بل تعدتها إلى سائر العادات المخالفة لدين الله وبذلك غيروا فطرة الله التي فطر الناس عليها، فالإسلام وحده هو الذي قام بتبيين سنن الفطرة وحيث على المحافظة عليها، فمن ترك شيئاً من الشرع وذهب لما ابتدعه اليهود والنصارى فقد وقع في مخالفة الفطرة لا محالة .

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج ٢ ص ٥٠ وأبو داود في كتاب اللبس ج ٤٠٣١. صحيحه الألباني أنظر صحيح الجامع

الصغير وزيادته ج ٢ ص ١٠٥٩ ح ٦١٤٩ .

النص :

على صحائفهم يا صاح قد عكفوا ولو تلوت كتاب الله ما سجدوا

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- بأن المخذوعين بالغرب من أهل الإسلام قد عكفوا على مدونات أهل الضلال من كتب ومجلات وصحف وغيرها، فهم عاكفون على قراءتها ليلا ونهارا إعجابا بها وإيمانا بما تحتويه من كفر وأباطيل، وهؤلاء أنفسهم لو سمعوا آية من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لما التفتوا إليها ولم يلقوا لها بالا، وقد صح وصف الناظم -رحمه الله- هؤلاء المبتدعين لمطابقته وصف الله تعالى لهم في كثير من الآيات نحو قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَكُنِيَ مُسْتَعْجِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [صافات: ٧٠] وقوله تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٠]

النص :

وعن تدبر حكم الشرع قد صرفوا وفي المجلات كل الذوق قد وجدوا

الشرح :

يواصل الناظم -رحمه الله- كلامه عن أهل الزيف والضلال فيقول وعن تدبر حكم الشرع قد صرفوا بمعنى من كانت صفته على النحو الذي ذكره في البيت السابق لا يستمع للقرآن ولا يتلوه ولا يسجد عند سماعه فمال أمره أن ينصرف عن القرآن وعن تدبر أحكامه ومعانيه وسيجد هذا الضال متعته في قراءة المجلات والكتب والقصص والروايات المنحلة أخلاقيا فترتاح إليها ويتذوقها بدلا من أن يطمئن بكلام الله عز وجل . قال تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الزمر: ٢٨]

النص :

وللشوارب أعفوا وللحى نفوا تشبهاً ومجارةً وما أتادوا

المفردات : أتادوا : من التؤدة وهي الثأني والتمهل والتثبت في الأمر^(١)

الشرح :

يشير الناظم -رحمه الله- في هذا البيت إلى أن هؤلاء الضالين صاروا على خلاف ما أمرهم به السنة فبدلاً من أن يعفوا للحى ويحفوا الشوارب قاموا بإعفاء الشوارب وحلق اللحية قال رسول الله ﷺ: [خالفوا المخترعين وعضوا اللحية وأحفوا الشوارب]^(٢) وقد أجمع الفقهاء على أن الأمر في هذا الحديث للوجوب وإعفاء اللحية من سنن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يدل على ذلك قوله تعالى على لسان هارون لموسى : ﴿ يَبْتَئِزُّمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾

[٩٤:٥]

النص :

قالوا رقياً فقلنا للحضيض نعم تفضون منه إلى سجين مؤتصد

الشرح :

في هذا البيت يستهزئ الناظم -رحمه الله- بأهل الضلال الذين خرجوا من الإسلام إلى الردة فيقول إن ادعاءهم بأن ما يذهبون إليه من مجارة للغرب وتشبه بهم هو الرقي ولكنه رقي ينزل بهم إلى الحضيض لأنه يقودهم إلى سخط الله وعذابه ويؤدي بهم إلى سجين المؤتصد إشلة إلى قوله تعالى في صفة النار: ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ﴾ [سورة: ٨٠]

النص :

ثقافة من سماء ما ألفوا حضارة من مروج هم لها عمدوا

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- بأن ما يأتي به أهل الضلال ما هو إلا ثقافة سمجة لا قيمة لها، وحضارة استعجلوها من الخارج لها مروجون يدعون الناس إليها ويزينوها لهم حتى يتمكنوا من بث أباطيلهم وانحرافاتهم داخل المجتمع، وقد ساء صنيعهم هذا ولم يوفقوا فيه.

(١) لسان العرب ج ٣ ص ٤٤٣.

(٢) البخاري في كتاب اللبس في باب تقليم الأظافر ج ٥ ص ٢٢٠٩ ح ٥٥٥٣ ومسلم في الطهارة باب خصال الفطرة

قال الله تعالى في مثل هؤلاء : ﴿ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الزمر: ١٨] ولهذا فهم يجهلون في تحقيق ما يرمون إليه بحمة عالية لشعورهم باتفاقهم وتوافقهم في الهدف.

الشرح :

ما بين مستعلن منهم ومستتر ومستبد ومن بالفيسر محتشد

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- بأنه ليس كل دعاة هذه المذاهب الباطلة مكشوفين ومعروفين للناس بل هم منقسمون إلى أقسام عدة : فمنهم المظهر لدعواه ، ومنهم المسر لها ، ومنهم المستبد بها ، ومنهم المستعين عليها بالغير من القوى الأجنبية ، وهذا التنوع في مظاهر الدعوات الهدامة ترجع أسبابه لواقع كل بلد وظروفه الخاصة ، فإذا بلغت الدعوة درجة من القوة في بلد ما أظهرت نفسها ، وإلا أخفتها إلى بلوغ تلك الدرجة ، كما أنها إذا ظفرت ببلد ما ونجحت في توطيد أركانها استبدت على الخلق ، وإلا استعانت بقوى الشر الأجنبية لتحميها وتقف بجانبها ضد شعوبها المقهورة ، وكل هذا مشاهد في كثير من أرجاء البلاد الإسلامية .

الشرح :

لهم إلى دركات الشر أهوية لكن إلى درجات الخير ما صعدوا

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- بأن لأهل المذاهب الباطلة في كل يوم هبوط إلى حضيض الشر والخسران ونزولاً إلى الدرجات السفلى من الخيبة وسوء الحال ، ولكنهم لا يستطيعون يوماً أن يصعدوا درجة واحدة في سلم الخير وفعل الطاعات وذلك لما تحملهم مذاهبهم الباطلة من الفساد والضلال .

النص :

وفي الضلالات والأهواء هم شبه وعن سبيل الهدى والحق قد بلدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - أن أصحاب هذه المذاهب الضالة هم شبه يثيرونها حول الإسلام ليصدوا عن سبيل الله، وذلك لأنهم لا يستطيعون أن يروا نور الحق لبلد مشاعرهم وحول عقولهم.

ومن هذه الشبه ما يزعمونه حول تعدد الزوجات من أنه اجحاف بحق المرأة، وانتقاص من قدرها وما علموا أن الإسلام إنما اباح التعدد مشروطاً بالعدل حماية لحقوق المرأة وصيانة لها، وأيضاً من شبههم التي يثيرونها زعمهم بأن الإسلام ظلم المرأة حيث أمر بقرارها في البيت، ودعوا الى تحريرها وخروجها للعمل جنباً الى جنب مع الرجل في سائر الميادين، وما علموا أن الإسلام عندما أمر بأن تبقى المرأة في بيتها فإنه بذلك يرفع من كرامتها ومنزلتها لتكون الأم الحنون التي تربي الأجيال وهي قارة في بيتها والرجل يسعى لجلب الرزق لها دون أن تتكلف هي بعناء ومشقة العمل كما هو حال المرأة في تلك المجتمعات.

النص :

صم ولو سمعوا بكم ولو نطقوا عمي ولو نظروا بمت بما شهدوا

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم - رحمه الله - بأن دعاة الباطل صم لا يسمعون الحق وإن كلنت لهم أسماع يسمعون بما سواه ، وبكم لا ينطقون الحق ، وإن كانوا يستطيعون النطق بما سواه من الباطل والضلال، وعمي عن إِبصار الحق، وإن كانت لهم أبصار يبصرون بما سوى الحق، وقد وصف الله تعالى أهل الباطل في كتابه الكريم بقوله : ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]، وأيضاً فإن من صفات أهل الباطل أن شهادتهم بمتان وباطل لا حق فيها، وهذه هي حال الكفار في كل زمان ومكان ، وقد فضحهم القرآن الكريم وبين لنا حالهم حتى لا نفتر بما هم فيه، ولنحتبهم ونسلك غير الطريق الذي سلكوه.

النص :

عموا عن الحق صموا عن تدبره عن قوله خرسوا في غيهم سموا

الشرح :

يقول الناظم - رحمه الله - وإن عمى أهل الباطل هو عمى عن نور الحق ، وصممهم صم عن تدبر هذا الحق ، فلا غرو أن خرسوا عن قوله وبيانہ ولبوا في طغيانهم وغيهم.

النص :

كأنهم إذ ترى خشب مسندة وتحسب القوم أيقاظاً وقد رقدوا

الشرح :

يصف الناظم - رحمه الله - في هذا البيت دعاة الباطل بوصف آخر من أوصاف القرآن للمنافقين فهم يسلكون مسلكهم ، إذ يقول الله تعالى في حقهم : ﴿ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ مُسْتَدَةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٤] ثم يضيف الناظم - رحمه الله - وصف آخر لم يفتشبه حالهم بحال أهل الكهف عند نومهم ، مع الفارق الذي ينبغي أن يراعى في هذا التشبيه وهو أن أهل الكهف مؤمنين وهؤلاء منافقون وكفرة.

النص :

باعوا بما الدين طوعاً عن تراض وما بالوا بهذا حيث عند الله قد كسدوا

الشرح :

يقول الناظم - رحمه الله - هنا إن هؤلاء المنافقين باعوا دينهم بعرض زائل من الدنيا برضاهم التام وعن طوعهم واختيارهم ، وهم في كل ذلك لا يعابون عما فعلوا ولا يهتمون بخطره ، ولو انتبهوا لما يفعلون لعلوا أنهم إنما اشتروا مالا يفيدهم شيئاً والله تعالى يقول : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٧٥].

الذکر :

يا غربة الدين والمستنسين به كقابض الجمر مبرا وهو يتقد

الشرح :

في هذا البيت يتحسر الناظم - رحمه الله - على ما آل إليه حال الدين من غربة وشتات ، حيث أصبح المتمسك بدينه في هذا الزمان كالفابض على الجمر المتقد ، وهو يشير بذلك لقول الرسول ﷺ : [بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء] ^(١) والمستمسكين بدينهم هم الذين عناهم النبي ﷺ بقوله : [يأتي على الناس زمان السابر فيصو على دينه كالفابض على الجمر] ^(٢)

النسب :

المقبلين عليه عند غربته والمصلحين إذا ما غيرهم فسدوا

الشرح :

في هذا البيت يصف الناظم - رحمه الله - المتمسكين بدينهم عند غربته فإلهم هم الذين يقبلون على الدين عند انصراف الناس عنه، وهم الذين يصلحون عند فساد الخلق وهو بذلك يشير إلى قول الرسول ﷺ: [بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء] قيل يا رسول الله ومن الغرباء؟ قال: الطين يصلحون [هذا قصد الناس] ^(٣) ولعل الناظم يريد بـ بعض الأئمة الأعلام والمصلحون الذين تمسكوا بدينهم عندما انصرف عنه الناس مثل: الإمام محمد بن عبد الوهاب والشيخ عبد الله القرعاوي وغيرهم.

النفس :

إِنْ أَعْرَضَ النَّاسُ عَنْ تَبَيَّانِهِ نَطَقُوا بِهِ وَإِنْ أَحْجَمُوا عَنْ نَصْرِهِ فَهَدُوا

(١) مسلم في الإيمان باب إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا ص ٨٣ ح ١٤٦.

(⁷) الترمذي في الفتن باب ما جاء لا يذل المؤمن نفسه ج ٩ ص ١١٧ مع الشرح (شرح الإمام ابن العربي المالكي) وعلق عليه الألباني

بقوله صحيح ج ٢ ص. ٢٥٦ صحيح سنن الترمذي كما أورده في السلسلة الصحيحة برقم ح ٩٥٧ ج ٢ ص ٦٨٢.

(۳) سب سے تحریر، قریباً۔

الشرح :

في هذا البيت يذكر الناظم - رحمه الله - صفة أخرى من صفات المتمسكين بدينهم وهي أنهم لا يمنعهم مانع من نصرته الدين وبيان أحكامه وشرائعه عند فساد الناس وإن امتنع غيرهم من ذلك قاموا هم به وتحملوا هذا العبء وحدهم.

النص :

هذا وقد آن نظم العقيد معتصما بالله حسبي عليه جل أعتمد

الشرح :

يختم الناظم - رحمه الله - أبيات المقدمة بهذا البيت إشعاراً منه بنهايتها، وإيداناً بالدخول في نظم العقيدة الذي سماه — (الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة) متوكلاً على الله وحده ، ومعتمداً عليه وحده جل وعلا.

المطلب الرابع

أبواب أمور الدين

النص :

والدين قول بقلب واللسان وأعمد — قال بقلب وبالأركان معتمد

المفردات : الأركان : الجوارح ^(١) معتمد : العمدة ما يعتمد عليه ، واعتمدت على الشيء أي إتكلت عليه وعمود الأمر قوامه الذي لا يستقيم إلا به ^(٢).

الشرح :

يتحدث الناظم - رحمه الله - في هذا البيت عن الدين الذي بعث الله به رسله وأنزل به كُتبه ورضيه لأهل سماواته وأرضه وأمر ألا يعبد إلا به فيقول أن هذا الدين قول وعمل قول بالقلب واللسان وعمل بالقلب واللسان والجوارح.

^(١) انظر لسان العرب ج ١٢ ص ١٨٦.

^(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

فقول القلب هو تصديقه وإيقانه قال تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [١] لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جِزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢﴾ [الزمر: ٢٣-٢٤] قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥] وقال تعالى : ﴿ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ﴾ [الشورى: ١٥] وقال ﷺ في حديث الدرجات العلى : [بلئى والطيبى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين]^(١) وقال أيضا في حديث الشفاعة [يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من الخير]^(٢).

وقول اللسان : هو النطق بالشهادتين ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله والإقرار بلوازمها قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [النجم: ٥٣] . وقال تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٨٦] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [٣] [١٢: ١٧] وقال رسول الله ﷺ : [أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فأذا فعلوا ذلك فمسموا منى حماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله]^(٤).

عمل القلب : هو النية والإخلاص والمحبة والإنقياد والإقبال على الله تعالى والتوكل عليه ولسوازم ذلك وتوابعه قال تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الأنعام: ٥٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ ﴾ [الاسراء: ٩٠] .

وقال تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لِدِينِي ﴾ [الزمر: ١٤] .

^(١) البخاري في بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة وأما مخلوقة ج ٣ ص ١١٨٨ ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها ج ١٧ ص ١٦٧ ح ٢٨٣١ مع الشرح.

^(٢) البخاري في التوحيد باب زيادة الإيمان ونقصانه ج ١ ص ٢٤ ح ٤٤ ومسلم في الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ج ٣ ص ٦٠-٦١ ح ٣٢٥.

^(٣) البخاري في الإيمان باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة ج ١ ص ١٧ ح ٢٥ ومسلم في الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ص ٤٢-٤٣ ح ٢٠.

وقال رسول الله ﷺ: [إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن خاتمة هجرته إلى الله ورسوله هجرته إلى الله ورسوله ومن خاتمة هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها هجرته لما حاجر إليه ^(١)].

وقال ﷺ: قال الله تعالى: [أنا الخزي الشركاء من عمل شرك من عمل عملاً أشرك معي فيه يخزي تركته وشركه] ^(٢).

وعمل اللسان والجوارح: فعمل اللسان مالا يؤدي إلا به كثارة القرآن وسائر الأذكار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء والاستغفار وغير ذلك.

وعمل الجوارح: ما لا يؤدي إلا بما مثل القيام والركوع والسجود والمشي إلى مرضاة الله كتقل الخطى إلى المساجد وإلى الحج والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك ^(٣).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [٢٩:٨]. وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [٢٣:٨]. وقال تعالى: ﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَلِيلًا﴾ [٢٣:٨]. وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلِيلٌ ءَاتَاءَ الْاَلِيلِ سَلْجِدًا وَّقَآئِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِمْ﴾ [٩:٩]. وقال ﷺ [الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق] ^(٤).

وقال ﷺ: [أمركم بالإيمان بالله وحده أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا خمس ما غنمتم] ^(٥).

ومن هنا يتبين لنا أن من قال من أهل السنة أن الإيمان هو التصديق على ظاهر اللغة لم يعنوا بذلك مجرد التصديق وإنما عنوا به التصديق الإذعائي المستلزم للإتياد ظاهراً وباطناً فإبليس

^(١) البخاري في بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ج ١ ص ٣ ح ١ ومسلم في الإمامة باب قوله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنية ص ٧٩٢ ح ١٩٠٧.

^(٢) مسلم في الزهد والرفاق من أشرك في عمله غير الله ص ١١٩٦ ح ٢٩٨٥.

^(٣) معارج القبول ج ١ ص ١٥-٢٠.

^(٤) البخاري في الإيمان باب أمور الإيمان ج ١ ص ١٢-١٣ ومسلم في الإيمان باب عدد شعب الإيمان ص ٤٨ ح ٣٥.

^(٥) البخاري في المغازي باب وفد عبد القيس ج ٤ ص ١٥٨٨ ومسلم في الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله ص ٤٠ ح ١٧.

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَكُنْزُ هَذِهِ إِيْمَانُنَا فَالَّذِينَ
ءَامَنُوا قَرَأَتْهُمْ إِيمَانُنَا ﴾ [النور: ١٢٤].

قال تعالى : ﴿ يَتْلُوهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ﴾ [سجدة: ١٣٦].
فلو لم يكونوا مؤمنين لما قال لهم يا أيها الذين آمنوا وإنما أراد بقوله آمنوا أي داوموا على
إيمانكم وازدادوا إيماناً بالله وطاعته واستكثروا من الأعمال الصالحة التي تزيد إيمانكم، وازدادوا
يقيناً وبصيرة ومعرفة بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.
ومن السنة قال ﷺ ، [ما رأيته من ناقصاته محفل وحين أحضبه للبع الرجل العازم
من إحداهن]^(١).

فهذه الأدلة كلها تدل على زيادة الإيمان وأنه ليس شيئاً ثابتاً جامداً لا يزيد ولا ينقص.

النقص :

وأهله فيه مفضول وفاضله منهم ظلوم وسباق ومقتصد

الشرح :

ثم تحدث الناظم عن تفاضل أهل الإيمان فيه فمادام هذا الإيمان يزيد وينقص فهو إذا
درجات والناس يتفاضلون فيه وهذا هو أساس التفاضل بين الناس عند الله حتى فضل بعض
الأنبياء على بعض في ذلك وجعل التقوى مناط التكرم عنده ولم يسو بين من أنفق قبل الفتح
وقاتل، ومن فعل ذلك بعده ولا بين القاعدين من المؤمنين، ولا بين الذين اقترفوا السيئات وبين
الذين عملوا الصالحات. وفاضل بين المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم، وفاضل بين الداخلين
للجنة فمنهم السابقون ومنهم من يأتي بعدهم. ذلك هو التفاضل بينهم في الإيمان والعمل^(٢).

قال تعالى : ﴿ تِلْكَ أَلْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [النور: ٢٥٣].

وقال تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المائدة: ١١].

(١) البخاري في الخيض باب ترك الخافض المصوم ج ١ ص ١١٦ ح ٢٩٨ وغيره.

(٢) انظر كتاب الإبانة ج ١ ص ١٣٣.

ثم يشير الناظم إلى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ﴾ [٢٢: ٥٤] .

فقد قسم الله سبحانه وتعالى أهل الإيمان في هذه الآية بمقتضى حكمته إلى ثلاث أقسام :

١ - المقصدون : وهم أصحاب اليمين الذين اقتصروا على التزام الواجبات واجتناب المحرمات فلم يزيدوا على ذلك ولم ينقصوا منه .

٢ - السابقون بالخيرات وهم المقربون الذين تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض وتركوا ما لا بأس به خوفاً مما به بأس ومازالوا يتقربون إلى الله تعالى بذلك حتى كان سمعهم الذي يسمعون به وبصرهم الذي يبصرون به كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [من ماضى لي ولما فقد أخذته بالحربة وما تقرب به إلي محبدي بشيء أحب إلي مما افترخته عليّ، وما يزال محبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببتهم غلبت سمعهم الطيب يسمع به وبصره الطيب يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ... الحديث]^(١) .

٣ - الظالمون لأنفسهم وهم عصاة الموحدين فإنهم ظالمون لأنفسهم بارتكابهم المعاصي ولكنه ظلم دون ظلم لا يخرج من الدين ولا يخلد في النار^(٢) .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : بينما أنا نائم رأيت الناس يمشون عليّ وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض عليّ عمر وعليه ثوب مجرّ . قالوا فما أولته يا رسول الله قال : الدين^(٣) . وقال ﷺ : [من رأى منك منكر فليغيره بيده فإن له يستطع فبلسانه فإن لم يستطع

^(١) البخاري في الرقاق باب التواضع ج ٥ ص ٢٣٨٤ - ٢٣٨٥ ح ٦١٣٧ .

^(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٥٦٢ - ٥٦٤ ومعارج القبول ج ٣ ص ١٠٠٨ وطريق المحترمين واسباب السعادت لابن القيم ص ١٣٥ .

^(٣) البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ج ٣ ص ١٣٤٩ - ١٣٥٠ ح ٣٤٨٨ ومسلم في فضائل الصحابة باب فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ص ٢٣٩٠ ح ٢٣٩٠ .

فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ^(١). فهذه الأدلة تدل على تفاضل أهل الإيمان وأنهم ليسوا على درجة واحدة .

الشرح :

وهناك ما سأل الروح الأمين رسول الله عن شرحه والصحب قد شهدوا فكان ذاك الجواب الدين أجمعه فافهمه عقدا صفا ما شابه عقدا

المفردات : العقد : نقيض الحل وهو الشد والربط ^(٢).

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم إلى حديث جبريل عليه السلام عندما سأل الرسول ﷺ عن مراتب الدين فكانت الإجابة من الرسول ﷺ تلك الإجابة الجامعة الواضحة التي لا غموض فيها ولا تعقيد تلك الإجابة التي توضح أن مراتب الدين ثلاث وهي : الإسلام والإيمان والإحسان وهذه المراتب الثلاث يكمل دين الإسلام.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ وأسد ركبته إلى ركبته ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال الرسول ﷺ : [الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحرم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً . قال : صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : فأخبرني عن الإيمان . قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الإحسان . قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : فأخبرني عن الساعة . قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرني عن إماراتها . قال : أن تلد الأمة ربهما وأن ترى العفاة العرافة العالة رعاء الغاء يتطاولون في البنيان . قال : ثم انطلق فلبثت ملياً ثم قال لي : يا محمد أتخبرني عن السائل . قلت : الله

^(١) مسلم في الإيمان باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ص ٥١ ح ٤٩.

^(٢) انظر لسان العرب ج ٣ ص ٢٩٦ - ٢٩٨.

ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم [١].

فكان هذا الحديث الموجز الجامع شامل لدين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده.

المبحث الثالث

(باب الإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته)

المطلب الأول

(أنواع التوحيد)

النص :

بأنه يؤمن فرد واحد أحد ولم يلد ولا ولم يولد هو الصمد
ولا إله ولا رب سواه ولم يكن له كفواً من خلقه أحد

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم مراتب الدين من خلال حديث جبريل عليه السلام السالف الذكر شرع في ترتيب هذه المراتب وبدأها بالحديث عن الإيمان فوضع الركن الأول من أركان الإيمان وهو الإيمان بالله تعالى . معنى الإيمان بالله تعالى :

هو الاعتقاد الجازم بأن الله هو رب كل شيء ومليكه وأنه الخالق الرازق المحيي المميت ، وأنه المستحق لأن ينفرد بالعبودية والذل والخضوع وجميع أنواع العبادة وأنه المتصف بصفات الكمال والمنزه عن كل عيب ونقص^(٢).

وهذا ما أراده الناظم بالبيتين السابقين حيث أشار من خلالهما إلى أقسام التوحيد الثلاثة

وهي:

(١) مسلم في الإيمان باب الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله تعالى ص ٣٦ ح ٨.

(٢) انظر الكواشف الجليلة لمعاني الواسطية ص ٥٣-٥٤.

١- توحيد الألوهية^(١) :

وهو عبادة الله وحده لا شريك له وتجريد محبته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه والرضى به ربا ولها ووليا وأن لا يعمل له عدل في شيء من الأشياء. قال تعالى : ﴿ قُلْ يَتَّبِعُوا آلَ الْغَفُورِ ﴾ ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴾ ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [المائدة: ١٦٠].

وهذا النوع من أنواع التوحيد هو الذي كفر به وجحدته أكثر الخلق ومن أجل هذا التوحيد أرسل الله الرسل وأنزل الكتب قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

٢- توحيد الربوبية^(٢) :

وهو إفراد الله بالخلق والتدبير ، فإفراد الله بالخلق هو أن يعتقد الإنسان أنه لا خالق إلا الله . قال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ [الاعراف: ٥٤]. وهو ما أشار إليه بقوله : ولا رب سواه.

فهذه الجملة تفيد الحصر لتقدم الخير إذ أن تقدم ما حقه التأخير يفيد الحصر وقال تعالى : ﴿ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [طه: ١٣].

فهذه الآية تفيد اختصاص الخلق بالله تعالى. وأما إفراده بالملك فهو أن تعتقد أنه لا يملك الخلق إلا خالفهم كما قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [المرات: ١٨٩]. وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [طه: ١٨٨].

وأما إفراده بالتدبير وهو أن يعتقد الإنسان أنه لا مدبر لهذا الكون إلا الله وحده. قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمَاتِ وَيُخْرِجُ الْمَمَاتِ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ﴿ قَدْ لَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتَى تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

^(١) وهو ما يعرف بالتوحيد القلي القصدي.

^(٢) يعرف كل من توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات بالتوحيد العلمي الخيري أو توحيد المعرفة والإتيات.

وهذا القسم من التوحيد لم يعارض فيه المنشركون الذين بعث فيهم الرسول ﷺ بل كانوا مقرين به. قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝ ﴾ [الزمر: ٢٠] . فهم يقرون بأن الله هو الذي يدير الأمر وهو الذي ييسره ملكوت السماوات والأرض ولم ينكر هذا النوع أحد معلوم من بني آدم، فلم يقل أحد من المخلوقين إن للعالم خالقين متساويين.

فلم يجحد أحد توحيد الربوبية لا على سبيل التعطيل ولا على سبيل التشريك إلا ما حصل من فرعون فإنه أنكر وجود الله وعطل ربوبيته على سبيل المكابرة. قال تعالى : ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ۝ ﴾ [الشعراء: ٢٤] . وقال تعالى : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ۝ ﴾ [القصص: ٢٨] .

وهذه مكابرة منه لأنه يعلم أن الرب غيره . قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُتُوًّا ۝ ﴾ [القصص: ٢٤] . وقال تعالى حكاية عن موسى وهو يناظره : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝ ﴾ [القصص: ٢٤] .

فهو في نفسه مقر بأن الرب هو الله تعالى

وقد أنكر الربوبية على سبيل التشريك : الجحوس حيث قالوا إن للعالم خالقين هما الظلمة والنور ومع ذلك لم يجعلوا هذين الخالقين متساويين ، فهم يقولون بأن النور خير من الظلمة^(١).

٣- توحيد الأسماء والصفات :

وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله نفيًا وإثباتًا فيثبت لله ما أثبتته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل . قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ ﴾ [الحق: ١١] . وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته وسوف يأتي شرحه في الآيات الآتية وهذا النوع من التوحيد هو الذي ضلت فيه بعض الأمة الإسلامية وانقسموا فيه إلى فرق كثيرة فمنهم من سلك مسلك التعطيل، فعطل ونفى الصفات زاعما أنه منزه لله وقد ضل لأن المنزه حقيقة هو الذي ينفي عنه صفات النقص والعيب وينزه كلامه من أن يكون تعمية وتضليلا. فإذا قال بأن الله ليس له

(١) انظر القول المفيد لابن عثيمين ج ١ ص ١١ - ١٥ .

سمع ولا بصر ولا علم ولا قدرة لم ينسره الله بل وصفه بأعيب العيوب ووصم كلامه بالتعمية والتضليل لأن الله يكرر ذلك في كلامه ويثبت (سميع بصير) (عزيز حكيم) (غفور رحيم) فإذا أثبت في كلامه وهو خال منه كان في غاية التعمية والتضليل والقدح في كلام الله عز وجل.

ومنهم من سلك مسلك التمثيل زاعما بأنه محقق لما وصف الله به نفسه وقد ضلوا لأنهم لم يقدروا الله حق قدره إذ وصموه بالعيب والنقص لأنهم جعلوا الكامل من كل وجه كالناقص من كل وجه.

وقد أشار الناظم في هذين البيتين إلى سورة الإخلاص مشيراً بها إلى أنواع التوحيد الثلاثة لاشتغالها عليها نصاً ولزوماً. فهي وإن دلت على توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات نصاً فقد دلت على توحيد الألوهية لزوماً فإن كانت هذه السورة تثبت أن الإله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد نصاً، فإنها تدل على وجوب عبادته وحده لا شريك له لأنه لا يستحق أحد العبادة سواه.

وكل سور القرآن متضمنة لأنواع التوحيد شاهدة به داعية إليه ، فإن القرآن إما خير عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله فهو التوحيد العلمي الخيري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه ، فهو التوحيد الإرادي الطلبي ، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته وأمره ونهيه فهو حقوق التوحيد ومكملاته وإما خير عن أهل التوحيد، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيدهم وإما خير عن أهل الشرك وما فعل بهم وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج من حكم التوحيد فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم^(١).

النــــــــــــــــص :

حي سميع بصير جل مقتدر عدل حكيم عليم قاهر صمد

الشرح :

في هذا البيت شرع الناظم في ذكر بعض أسماء الله الحسنى التي يدل كل اسم منها على الصفة التي اشتق منها ، ومن هذه الأسماء اسمه تعالى الحي. قال تعالى : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ

(١) انظر فيما سبق الفتاوى ج ٣ ص ٣ وما بعدها ، والتحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية لفاط بن فالح آل مهدي ص ٢٩

والقول المفيد ج ١ ص ١٩ وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ١٩-٢٠.

الْقَيُّومُ ﴿ [البقرة: ٢٥٥] . وقال تعالى : ﴿ اَلَمْ يَلَمْ اَلَا هُوَ اَلْحَيُّ اَلْقَيُّومُ ﴾ ﴿ [ال عمران: ١-٢] .
وقال تعالى : ﴿ وَعَنَتِ اَلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ اَلْقَيُّومِ ﴾ ﴿ [١١١: ٥] .

ومعنى الحي الموصوف بالحياة الكاملة الأبدية التي لا يليها موت ولا فناء . لأنها ذاتية له سبحانه وتعالى فهو الحي الذي لم تسبق حياته بالعدم ولم تعقب بالفناء هو الأول فليس قبله شيء وهو الآخر فليس بعده شيء .

قال تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ اِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [الحجرات: ٢٨] . وقال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اَلْحَيِّ اَلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الزمر: ٥٨] .

فحياته مستلزمة لسائر صفات الكمال الذاتية من العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والعزة والكبرياء وغيرها وذلك لأن الحياة تعتبر شرطاً للإتصاف بجميع الكمالات في الذات من العلم والقدرة والسمع . الخ . فإن غير الحي لا يتصف بهذه الصفات فمن كملت حياته كان أكمل في كل صفة تكون الحياة شرطاً لها ^(١) .

سميع بصير : من خلال هذين الإسمين يثبت الناظم لله تعالى صفتا السمع والبصر فالسميع اسم من أسمائه تعالى وهو دال على صفة السمع : والبصير اسم من أسمائه تعالى وهو دال على صفة البصر وهاتان الصفتان من صفات ذاته تعالى . وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين صفة السمع والبصر وكل منها صفة إدراك . قال تعالى : ﴿ اِنَّ اِلَهَكُمْ اَكْبَرُ اَنْ تَدْعُوْا اَلْمَئٰنَتِ اِلٰى اَهْلِهَا وَاِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ اَنْ تَحْكُمُوْا بِالْعَدْلِ اِنَّ اِلَهَكُمْ بِهِ اِنَّ اِلَهَكُمْ سَمِيْعٌ بَصِيْرٌ ﴾ ﴿ [البقرة: ١١] . وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيْعُ الْبَصِيْرُ ﴾ ﴿ [الزمر: ١١] . فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرها وعلنها وكأنها لديه شيء واحد لا ينفى عليه شيء منها مهما خفت بل جميع الأصوات بالنسبة إلى سمعه سواء القريب منها والبعيد السر والعلانية . قال تعالى : ﴿ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ اَلْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاَلْتَّيْلِ وَمَا يَسْمَعُ بِاَلْنَّهَارِ ﴾ ﴿ [الزمر: ١٠] . وقال تعالى :

^(١) انظر شرح القصيدة التوتية للهراس ج ٢ ص ١١٢-١١٣ وشرح أسماء الله الحسنى لسعيد بن علي القحطاني ص ١٥٦-

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِعَ نَحْوَزَكُمَا مِنْهُ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٩].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات) ، فأنزل الله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها وتشتكي إلى الله^(١). وسمعه تعالى نوعان :

أحدهما عام وهو سمعه لجميع الأصوات، الظاهرة والباطنة الخفية والجلية وإحاطته التامة بها : والثاني خاص وهو سمع الإجابة منه للسائلين الداعين والعابدين فيحييهم ويحييهم . ومنه قوله تعالى على لسان أم مريم عليها السلام : ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران: ٣٥]. وقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِ الَّذِي وَقَبَّ لِي عَلَى الْكَبِيرِ إِسْمَاعِيلَ وَاسْتَحَقَّ بِرَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [البقرة: ١٢٩]. ومنه قول المصلي سمع الله لمن حمده، أي استحباب له وقبل منه.

والبصير الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسموات مهما لطفت أو بعدت فلا يؤثر على رؤيته بعد فهو يرى ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء بل ويرى مسالك الغذاء في أمعائها وأربطة مفاصلها وعروقها بعينه التي لا تنام. ويرى سبحانه وتعالى خيانات العين وتقلبات الأحقان فبصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الأشياء جليلها وحقرها ، صغيرها وكبيرها ، كفيفها ولطيفها ، لا يستتر عنه شيء منها .

قال تعالى : ﴿ الَّذِي يَرِنُكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ وَتَقْبَلُكَ فِي السَّجْدِ ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ٢١٨-٢٢٠]. قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [البقرة: ٢١٩]. وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

أي مطلع محيط علمه وسمعه وبصره بجميع الكائنات روى أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية (إن الله كان سميعا بصيرا) فوضع إمامه على أذنه والتي تليها على عينه^(٢).

(١) البخاري في التوحيد باب قول الله تعالى كان الله سميعا بصيرا ج ٦ ص ٢٦٨٩ تعليقا.

(٢) أخرجه أبو داود ج ٤ ص ٢٢٣ ح ٤٧٢٨ وابن حبان ج ١ ص ٤٩٨ ح ٢٦٥ ، والحاكم ج ٢ ص ٢٥٧ ح ٢٩٢٥ وقال هذا

حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه النهي.

ومعنى الحديث أنه سبحانه يسمع ويرى بعين وهو حجة على الجهمية والمعتزلة الذين يجعلون سمعه تعالى علمه بالمسموعات وبصره علمه بالمبصرات فرارا على حد زعمهم من التشبيه وهو تفسير خاطئ فإن كلاً من السمع والبصر معنى زائد على العلم قد يوجد العلم بدونيه فإن الأعمى يعلم بوجود السماء ولا يراها وكذلك الأصم يعلم بوجود الأصوات ولا يسمعه^(١).

عدل : العدل اسم من أسمائه تعالى وهو متضمن لصفة العدالة ، وهو في الأصل مصدر وصف به للمبالغة وأصل العدل والمعادلة المساواة ، يقال هذا عدله وعديله أي نظيره ومساويه. قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ [الأنعام: ١١٥] . ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِهِ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [الحج: ٩٠].

والعدل المنزه عن الظلم والجور في أفعاله وأحكامه، الذي يعطي كل ذي حق حقه. وهو سبحانه موصوف بالعدل في فعله فأفعاله كلها جارية على سنن العدل والاستقامة ليس فيها شائبة جور أصلاً فهي دائرة كلها بين الفضل والرحمة وبين العدل والحكمة، وما ينزله سبحانه وتعالى بالعصاة والمكذبين من أنواع الهلاك والخزي في الدنيا وما أعدّه لهم من العذاب المهيّن في الآخرة، فإنما فعل بهم ما يستحقونه فإنه لا يأخذ إلا بذنب ، ولا يعذب إلا بإقامة حجة وأقواله كلها عدل فهو لا يأمرهم إلا بما فيه مصلحة خالصة أو راجحة ولا ينهاهم إلا عما فيه مضرة خالصة أو راجحة وكذلك حكمه بين عباده يوم الفصل والقضاء ووزنه لأعمالهم عدل لا جور فيه كما قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٧]. فهو سبحانه وتعالى على صراط مستقيم في قوله وفعله وحكمه^(٢).

الحكيم : فهو تعالى الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات ، فالحكيم هو واسع العلم والإطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها واسع الحمد تام القدرة وغزير الرحمة فهو الذي يضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره فلا يتوجه إليه سؤال ولا يقدح في

^(١) انظر شرح القصيدة التوتية ج ٢ ص ٧١-٧٣ معارج القبول ج ١ ص ١٧٩-١٨٢ وشرح أسماء الله الحسنى ص ٨٤-٨٧

والحق الواضح المبين ص ٣٣-٣٦.

^(٢) انظر شرح القصيدة التوتية للهراس ج ٢ ص ١٠٦-١٠٧ والحق الواضح المبين ص ٨٠.

حكيمته مقال. قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ قَتَرَقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝ ﴾ [الأنعام: ١٨] ^(١).

قاهر : القهار اسم من أسماءه سبحانه وتعالى ولم يرد في القرآن الكريم إلا مقرونا باسمه الواحد قال تعالى : ﴿ يَتَصَحَّجِي السَّجْنَاءَ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خِيفَةُ اللَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝ ﴾ [سود: ٣٩]. وقال تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝ ﴾ [الرعد: ١٦]. فدل هذا على توحيده وانفراده بالقهر لجميع الخلق وأنهم جميعا مقهورون تحت سلطانه فهو سبحانه وتعالى الذي قهر جميع الكائنات وذلت له جميع المخلوقات فلا يحدث حادث ولا يسكن ساكن إلا بإذنه وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق قراء إليه عاجزون لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا وقهره تعالى لجميع خلقه مستلزم لكمال حياته وعزته واقتداره إذ لو لا هذه الأوصاف الثلاثة لا يتم له قهر ولا سلطان ^(٢).

السمد : هو الذي تصمد إليه أي تقصده جميع الخلائق في حوائجهم ومسائلهم لكمال غناه وفقرها إليه وهو السيد الذي قد كمل في سؤده والشريف الذي قد كمل في شرفه وهو الدائم الباقي الذي كملت جميع أوصافه من كل الوجوه فلا تشوبها شائبة نقص أصلا فهو العليم السذي كمل في علمه والحليم الذي كمل في حلمه والغني الذي كمل في غناه والعظيم السذي كمل في عظمته وهو الله سبحانه هذه صفة لا تنبغي إلا له ليس له كفاء وليس كمثل شيء قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ﴾ [الإسلام: ١-٤] ^(٣).

^(١) انظر شرح أسماء الله الحسنى ص ٨٨-٩٠ ، وشرح القصيدة النونية للهراس ج ٢ ص ٧٣-٧٤ والحق الواضح المبين ص ٣٦-٣٩.

^(٢) انظر شرح الأسماء الحسنى ص ١٢٨-١٢٩ وشرح القصيدة النونية ج ٢ ص ١٠٢-١٠٣ والحق الواضح المبين ص ٧٦.

^(٣) انظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٦٠٨-٦١٠ ، شرح القصيدة النونية ج ٢ ص ١٠٢ شرح أسماء الله الحسنى ص ١٢٦-١٢٨ ، الحق الواضح المبين ص ٧٥.

المطلب الثاني

(حديث المؤلف عن صفة العلو لله عز وجل)

النص :

هو العلي هو الأعلى هو المتعالي	في كل معنى علو الله نعتقد
قهرنا وقلنا وذاتنا جل خالقنا	ما حل فينا ولا بالخلق متحد
في سبع آي من القرآن صرح باسم	توى على العرش ربي فهو منفرد
ولفظ فوق أتى مع الإقتران بمن	ودوننا لمريد الحق مستند
وفي السماء اتلها في الملك واضحة	وكم حديثا لما يعلو به السند
وتعرج الروح والأمالك صاعدة	أما إلى رهم نحو العلى صعدوا
وهكذا يصعد المقبول من عمل	من العباد لمن إياه قد عبدوا
كذا عروج رسول الله حين سرى	قل لي إلى من له قد كان مصطعد
وحين عطشه في جمع حجته	أشار رأس له نحو العلى ويد
أليس يشهد رب العرش جل على	تبليغه ثم أهل الجمع قد شهدوا
وسن رفع المصلي في تشهده	مباحة لعلو الله يعتقد
وكل داع إلى من رافع يده	إلا إلى من يحيى من عنده المدد
وكم لهذا براهينا مؤيدة	وحين يسممها الجهمي يرتعد

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم جملة من أسماء الله تعالى الدالة على صفاته شرع في هذه الأبيات في ذكر صفة من صفاته بالتفصيل وذلك لكثرة ما وقع حولها من الخلاف بين أهل السنة والجماعة وغيرهم من الفرق الضالة المنحرفة وهي صفة العلو فذكر أسماء الله تعالى الدالة على علوه وهي العلى ، الأعلى ، المتعالي قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [مريم: ٢٥٥] . وقال تعالى :

﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ [الاسم: ١]. وقال تعالى : ﴿ عَلِيمُ الْغُيُوبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى ﴾ [الزمر: ٢٠]. فهذه الأسماء تثبت لله العلو من كل وجه علو القهر والقدر والذات وذلك ما نعتقده ونؤمن به إيماناً جازماً لا يخالطه شك ولا ريب، فنحن نؤمن بعلو الله تعالى وأن له صفة العلو المطلق من كل وجه دون أن نسأل عن كيفية هذا العلو فعلوه تعالى كسائر صفاته تابع لذاته فكما خفيت علينا ذاته ولم نسأل عن كنهها فكذلك صفاته نؤمن بها ولا نسأل عن كنهها ومن هذه الصفات صفة العلو.

١- علو القهر : فهو سبحانه وتعالى الواحد القهار الذي قهر بعزته وعلوه جميع الخلق فنواصيهم بيده ما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع وما لم يشأ لم يكن فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأ الله إيجاداً لم يقدرُوا على ذلك ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئة الله لم يمنعوه وذلك لكمال اقتداره ونفوذ مشيئته وشدة إفتقار المخلوقات إليه من كل وجه.

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [ص: ١٥]. وقال تعالى : ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الزمر: ٢٠].

٢- علو القدر (الشان) : وهو علو صفاته وعظمتها فلا يماثله صفة مخلوق بل لا يستطيع الخلاق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة من صفاته . قال تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠]. وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الحج: ١١].

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ سَعْفُراً أَحَدٌ ﴾ [الإسلام: ١-٤].

فتعالى سبحانه عن جميع النقائص والعيوب المنافية لألوهيته وربوبيته وأسمائه الحسنی وصفاته العلى وتعالى في أحديته عن الشريك والظهير والولي والنصير وتعالى في عظمته وكبريائه وجبروته عن الشفيع عنده إلا بإذنه وتعالى في صمديته عن الصاحبة والولد والوالد والكفء والنظير وتعالى في كمال حياته وقيوميته وقدرته عن الموت والسنة والنوم والتعب والإعياء وتعالى في كمال علمه

عن الغفلة والنسيان وعن عزوب مثقال ذرة عن علمه في الأرض أو في السماء وتعالى في كمال حكيمته عن الخلق عبثاً وعن ترك الخلق سدى بلا أمر ولا نهي ولا بعث ولا جزاء وتعالى في كمال عدله أن يظلم أحداً مثقال ذرة أو أن يهضمه شيء من حسناته وتعالى في كمال غناه عن أن يطعم أو يرزق أو أن يفتقر إلى غيره في شيء ، وتعالى في صفات كماله ونعوت جلاله عن التعطيل والتمثيل .

٣- علو الذات : فهو سبحانه وتعالى موجود بذاته فوق جميع خلقه باثنا عنهم مستتباً على عرشه^(١) ثم يرد الناظم بعد ذلك على أهل الحلول والاتحاد من النجارية^(٢) والجهمية الذين يزعمون أن الله تعالى في كل مكان وأنه عين وجود المخلوقات .

وهم بذلك ينفون علو الله تعالى على خلقه ومباينته لهم يزعمون أنه حال في الأشخاص والأمكنة متحد بهم لدرجة أنهم يجعلونه حالاً في الأماكن النجسة والقذرة وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ثم شرع الناظم بعد ذلك في ذكر بعض الأدلة على ثبوت العلو والفوقية لله تعالى ومن هذه الأدلة :

١- التصريح بالاستواء على العرش :

معنى العرش : هو المخلوق العظيم الذي استوى عليه الله تعالى وهو أعظم مخلوقات الله تعالى وأعلاماً ويعتبر كالسقف لها وهو مقبب وله قوائم^(٣) الدليل على علوه قوله ﷺ : [وإِذَا سَأَلْتَهُ اللَّهُ فَمَا لَهُ الْفَرَحُوسُ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَنْزِيلُ الْأَنْهَارِ]^(٤) والدليل على أن له قوائم ، ما جاء في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء رجل من اليهود إلى رسول الله ﷺ وقد لطم وجهه فقال: يا أبا القاسم ضرب

(١) راجع فيما سبق من علو الله تعالى الفتاوى ج ٢ ص ١٢٣ ، شرح التوبة للهرس ج ٢ ص ٨٦ ، معارج القبول ج ١ ص ١٤٤-١٤٨ .

(٢) النجارية هم أتباع حسين بن محمد النجار يعتقدون أن الله في كل مكان بذاته وأن الإيمان يزيد ولا ينقص وهم يوافقون المعتزلة في مسائل الصفات والقرآن والرواية ويوافقون الجبرية في خلق الأعمال والاستطاعة. أنظر الفرق بين الفرق ص ١٩٦ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٦٨ .

(٣) أنظر شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفى ص ٣٦٦ .

(٤) البخاري في الجهاد باب درجات المجاهدين في سبيل الله ج ٣ ص ١٠٢٨ ح ٢٦٣٧ .

وجهي رجل من أصحابك فقال النبي ﷺ : من، قال رجل من الأنصار قال : أدعوه فدعوه فقال: أضربته قال : سمعته بالسوق يحلف والذي اصطفي موسى على البشر قلت أي خبيث على محمد ﷺ فأخذتني غصبة فضربت وجهه فقال النبي ﷺ : لا تخفوا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان في من صعق أم حوسب بصعقته الأولى^(١).

هذا وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الإستواء على العرش في سبعة مواضع من الكتاب الكريم . قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأنعام: ٥٤]. وقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾ [يس: ٣]. وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الرعد: ٢]. وقال تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]. وقال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأنعام: ٥٩]. وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الحج: ٤]. وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٤].

فالعرش أعلى المخلوقات والله سبحانه وتعالى فوق العرش مستويا عليه بائنا عن خلقه فهل بعد ذلك دليل على علوه وفوقيته .

٢- التصريح بالفوقية : فقد صرح الله تعالى بالفوقية في كتابه الكريم ، قال تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [البقره: ١٠٠]. وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [الأنعام: ١٨] .

(١) البخاري في الخصومات باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود ج ٥ ص ٨٥٠ ح ٢٢٨١ ومسلم في الفضائل باب من فضائل موسى عليه السلام ج ١٥ ص ١٤٠ ح ٢٣٧٤ مع الشرح.

(٢) الصفة الأولى: هي التي صحتها سيدنا موسى بجانب الطور عندما سأل الله تعالى رؤيته. أنظر فتح الباري ج ٦ ص ٤٤٥.

وقد ذكر الرسول ﷺ فوقية الله تعالى ومن ذلك : لما حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في بني قريظة بأن تقتل مقاتلتهم وتسي ذراريهم وتغنم أموالهم قال له النبي ﷺ : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقع^(١). وفي لفظ من فوق سبع سموات.

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كانت زينب رضي الله عنها تفتخر على أزواج النبي ﷺ وتقول : [ذَوِجْنِ أَهْلِيحْنِ وَزَوْجِيهِ رَبِّي مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَواتِ]^(٢) فالتصريح بالفوقية دليل واضح لمن أراد الحق وبحث عنه في إثبات صفة العلو لله تعالى.

٣- التصريح بأنه سبحانه في السماء والمراد بذلك اتصافه تعالى بصفة العلو فقد جاء في كتاب الله الكريم بأن الله سبحانه وتعالى في السماء ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ءَأَمِنتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۖ ﴾ [النمل ١٦-١٧]. وحرف الجر (في) الوارد في هذه الآية بمعنى على كما في قوله تعالى : (لأصلبكنم في جذوع النخل) أي على جذوع النخل .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعته رسول الله ﷺ يقول من اشتكى منكم شيئا أو خطاه أجز له ثلثين : ربنا الله الخبي في السماء فقدس اسمك أمرك في السماء والأرض حما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض انقصر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وطفاء من صفائك على هذا الوجع فيبر^(٣).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : [والراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء الرحمن جنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطع الله]^(٤).

(١) ذكره الذهبي في العلو من حديثه من طريق محمد بن اسحاق ص ٣٢ وقال هذا مرسل وللحديث شاهد عند النسائي في الكبرى...

(٢) البخاري في التوحيد باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم ج ٦ ص ٢٦٩٩ ح ٦٩٨٤.

(٣) أبو داود في الطب باب كيف الرقى ج ٤ ص ٣٨٩٢ والنسائي في عمل اليوم والليلة ح ١٩٣٨ ضيفه الألباني أنظر ضيف سنن أبي داود ص ٣١٤.

(٤) الترمذي في البر والصلة باب ما جاء في رحمة المسلمين ج ٨ ص ١١٠ مع الشرح وقال حديث حسن صحيح وأبو داود في الأدب باب الرحمة ج ٤ ص ٢٨٥ ح ٤٩٤١ وأحمد ج ٢ ص ١٦٠ وعلق عليه الألباني في صحيح الترمذي ج ٢ ص ١٨٠ بقوله صحيح .

٤- التصريح بالعروج والصفود إليه : قال تعالى : ﴿ تَقْرُجُ الْمَلَكُوتَ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [سج:١٤]. وقال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [شورى:١٠]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [من تصدق بعطل تمره من خصمه طيبه - ولا يصعد إليه إلا الطيبه - فإن الله تعالى يتقبلها بيمينه ثم يرببها لسايرها كما يربي أحدكم فلوه ^(١)].

فالتصريح برفع الأعمال إليه دليل على علوه تعالى فأعمال العباد ترفع إلى معبودهم الذي في السماء وهو الله سبحانه وتعالى .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الصبح ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول : كيف تركتكم عبادي . فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون ^(٢)].

فعروج الملائكة والروح إليه دليل على أنها تصعد وترتفع إلى الله تعالى الذي هو في علوه مستويا على عرشه .

٥- التصريح بعروج النبي ﷺ إليه ليلة الإسراء والمعراج فلو لم يكن الله تعالى متصفاً بصفة العلو كما يليق بجلاله وعظمته لما عرج بالرسول ﷺ إليه كما ورد ذلك في حديث الإسراء والمعراج ^(٣) . قلت وإن معظم الفرق التي ضلت في معتقدها ونفت صفة العلو لله سبحانه وتعالى واستواءه على عرشه يحتفلون بليلة الإسراء والمعراج ثم ينكرون العلو فسبحانك ربي هذا هتان عظيم.

٦- إشارة النبي ﷺ إلى العلو في خطبته في حجة الوداع بأصبعه وبرأسه كما في حديث جابر الطويل عند مسلم وفيه : وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا كتاب الله وأنتم تسألون

^(١) البخاري في الزكاة باب لا يقبل الله صدقة من غلول ج ٢ ص ٥١١ ح ١٣٤٤ ومسلم في الزكاة باب قبول الصدقة من الكسب الطيب ص ٣٩١ ح ١٠١٤.

^(٢) البخاري في مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر ج ١ ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ح ٥٣٠ ومسلم في المساجد باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ج ٥ ص ١٣٨ ح ٦٣٢ مع الشرح.

^(٣) البخاري كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء ج ١ ص ١٣٥ ح ٣٤٢.

عني فماذا أنتم قائلون ؟ فقالوا: نشهد قد بلغت وأدبت ونصحت. فقال: بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم اشهد ثلاث مرات^(١) فالرسول يرفعه ليده ورأسه يشهد الله وهو في علوه مستويا على عرشه على تبليغه للرسالة وشهادة الناس له بذلك .

٧- رفع المصلي أصبعه السبابة في التشهد دليل على اعتقاده لعلو الله تعالى علوا يليق بجلاله وعظمته.

٨- أن الإنسان بفطرته يكون قلبه معلقا بجهة العلو حال دعائه الله تعالى فهو يرفع يده في الدعاء، ويكون قلبه معلقا بالعلو لأن فطرته تهديه إلى أن الله تعالى عاليا على عباده باثنا عنهم.

ولهذا قال : براهينا مؤيدة وحين يسمعها الجهني يرتعد . وكما أثبت الناظم هنا صفة العلو لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته بالأدلة النقلية فإن هناك من الأدلة العقلية ما يثبت ذلك لله تعالى ومن ذلك :

أن كل عقل صحيح يدل على وجوب علو الله بذاته فوق خلقه من وجوه.

أن العلو صفة كمال ، والله تعالى وجب له الكمال المطلق من جميع الوجوه ، فلزم ثبوت العلو له تبارك وتعالى .

أن العلو ضد السفل ، والسفل صفة نقص والله تعالى منزّه عن جميع النقائص ، فلزم تنزيهه عن السفل وثبوت ضده له وهو العلو.

إن الله تعالى فطر الخلق كلهم العرب والعجم حتى البهائم على الإيمان به وبعלוه، فما من عبد يتوجه إلى ربه بدعاء أو عبادة إلا وجد من نفسه ضرورة بطلب العلو، وارتفع قلبه إلى السماء لا يلتفت إلى غيره يمينا ولا شمالا، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من اجتالسه الشياطين والأهواء^(٢).

فهذه الأدلة كلها متوفرة على إثبات صفة العلو لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته وهي حجة

^(١) مسلم في الحج باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم ص ٤٨٣-٤٨٥ ح ١٢١٨ البخاري بلفظ اللهم (هل بلغت اللهم هل

بلغت) في الحج باب الخطبة أهم من ج ٢ ص ٦٢٩ ح ١٦٥٢.

^(٢) انظر القواعد الكلية في الأسماء والصفات ص ١٢٥ شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ج ٢ ص ٤٩٧-٤٩٨.

على كل من أنكر علو الله تعالى، أو فسرهُ بمعنى آخر مثل بعض الجهمية والمعتزلة. والحرورية^(١) الذين فسروا قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) أنه استولى وملك وقهر ، وجحدوا أن يكون مستويا على عرشه كما أقر بذلك أهل الحق^(٢). ولا شك أن هذا التفسير باطل ومخالف لما اتفق عليه أهل الحق وقد أبطله شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : والمبطل لتأويل من تأول استوى بمعنى استولى وجوه :

- ١- أن هذا التفسير لم يفسره أحد من السلف من سائر المسلمين من الصحابة والتابعين، فإنه لم يفسره أحد في الكتب الصحيحة عنهم.
- ٢- أن معنى هذه الكلمة مشهور ولهذا لما سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن ومالك بن أنس عن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) قال : (الإستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعه).
- ٣- أنه إذا كان معلوماً في اللغة التي نزل بها القرآن كان معلوماً في القرآن .
- ٤- أنه لو لم يكن معنى الإستواء في الآية معلوماً لم يحتج أن يقول الكيف مجهول لأن نفي العلم لا ينفي إلا ما قد علم أصله كما نقول إنا نقر بالله ونؤمن به ولا نعلم كيف هو .
- ٥- الاستيلاء سواء كان بمعنى القدرة أو القهر أو نحو ذلك هو عام في المخلوقات كالربوبية والعرش وإن كان أعظم المخلوقات ونسبة الربوبية إليه لا تنفي نسبتها إلى غيره كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [الأنعام: ٨٦]. وكما في دعاء الكرب فلو كان استوى بمعنى استولى ، كما هو عام في الموجودات كلها لجاز مع إضافته للعرش أن يقال استوى على السماء وعلى الهواء والبحار والأرض وعليها ودونها ونحوها إذ هو مستو على العرش ، فلما اتفق المسلمون على أنه يقال استوى على العرش ولا يقال استوى على هذه الأشياء مع أنه يقال استولى على العرش والأشياء علم أن معنى استوى خاص بالعرش ليس عاماً كعموم الأشياء.

٦- إنه أخير بخلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش وأخبر أن عرشه

(١) الحرورية: من ألقاب الخوارج، وسعوا بذلك نسبة إلى حروراء موضع بظاهر الكوفة، كان أول تحكيمهم واجتماعهم حين

خالفوا علياً، فقاتلهم بالنهر وان - أنظر معجم البلدان ج ٢ ص ٢٤٥.

(٢) انظر الفتاوى ج ٥ ص ١٤٣.

كان على الماء قبل خلقها وثبت ذلك في صحيح البخاري عن عمران بن الحصين عن النبي ﷺ قال: [كان الله ولا شيء غيره وكان عرشه على الماء ويحتجبه في الحظوة^(١)] . مع أن العرش كان مخلوقاً قبل ذلك فمعلوم أنه مازال مستوياً عليه قبل وبعد فامتنع أن يكون الاستيلاء العام هذا هو الاستيلاء الخاص بزمان كما كان مختصاً بالعرش.

٧- أنه لم يثبت أن لفظ استوى في اللغة بمعنى استولى إذ الذين قالوا ذلك عمدتهم البيت المشهور : قد استوى بشر على العراق من غير سيف أو دم مهوراق ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه وقالوا : إنه بيت مصنوع لا يوجد في اللغة . وقد علم لو أنه احتج بحديث رسول الله ﷺ ، لاحتاج إلى صحته ، فكيف يثبت من الشعر لا يعرف إسناده ، وقد طعن فيه أئمة اللغة .

٨- أنه روى عن جماعة من أهل اللغة أنهم قالوا: لا يجوز استوى بمعنى استولى إلا في حق من كان عاجزاً ثم ظهر ، والله سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء ، والعرش لا يغالبه في حال ، فامتنع أن يكون بمعنى استولى^(٢).

النص :

ونحن نثبت ما الوحيان تثبت	من أن ذا العرش فوق العرش منفرد
يدنو كما شاء ممن شا ويفعل ما	يشا ولا كيف في وصف له يرد
وكل أسمائه الحسنى نقر بها	نما علمنا وما استأثر الصمد
مستيقنين بما دلت عليه ومن	ثلاثة الأوجه اعلم ذكرها يرد
دلت على ذات مولانا مطابقة	به تليق بها الرحمن منفرد
كذا تضمنت المشتق من صفة	نحو العليم بعلم ثم تطرد
كذلك استلزم باقي الصفات كمال	للقدرة استلزم الرحمن والصمد
وكل ما جاء في الوحيين من صفة	لله تثبت بها والنص نعمد
صفات ذات وأفعال ثم ولا	نقول كيف ولا ننفي كمن جحدوا

(١) الذكر : اللوح المحفوظ.

(٢) انظر الفتاوى ج ٥ ص ١٤٤-١٤٩.

(^١) انظر شرح العقيدة الواسطية ج ٢ ص ٤٩٦ و ٥١٣.

والمعية تنقسم إلى ثلاثة أنواع :

١- المعية العامة : وهي تشمل كل بر وفاجر مؤمن وكافر ومثالها قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [الحديد: ٤].

٢- المعية الخاصة : هي خاصة بعباد الله المؤمنين مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [البقره: ١٧٨].

٣- خاصية الخاصة : وهي الخاصة ببعض الأنبياء والرسل وعباد الله الصالحين، مثل قوله تعالى : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [البقره: ١٧٨]. وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [البقره: ١٧٨]. وقد جمع الله سبحانه وتعالى بين علوه وفوقيته ومعيته لخلق في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقره: ١٧٨]. ففي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ إثبات لصفة العلو والفوقية وفي قوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم) إثبات للمعية وإذا جمع الله سبحانه وتعالى لنفسه بين وصفين فإننا نعلم علم اليقين أنهما لا يتناقضان لأنهما لو تناقضا لكان أحدهما يكذب الآخر إذ أن المتناقضين لا يجتمعان ولا يرتفعان ، فلا بد من وجود أحدهما وارتفاع الثاني ولو كان هناك تناقض للزم أن يكون أول الآية مكذبا لآخرها أو العكس.

فالعلو والمعية قد يجتمعان حتى في حق المخلوقات كما تقول العرب : ما زلنا نسير والقمر معنا مع أنه في السماء إلا أنهم يقولون ذلك على سبيل الحقيقة، فلماذا لا نقول أن الله معنا على سبيل الحقيقة وهو في السماء ، وإذا افترضنا أن الجمع بين العلو والمعية ممتنع في حق المخلوقات لما لزم من ذلك امتناعه في حق الله تعالى لأن الله ليس كمثله شيء وليس معنى معيته أنه مختلط بالخلق فإن هذا المعنى فاسد بل إنه مع معيته وقربه من خلقه بائن عنهم ولو كان معنى المعية الإختلاط للزم من ذلك أحد أمرين إما تعدد الخالق أو تجزؤه مع ما في ذلك من كون الأشياء تحيط به وهو سبحانه محيط بالأشياء فهو سبحانه وتعالى مع عباده قريب منهم كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقره: ١٨٦]. وليس معنى دنوه وقربه من عباده أنه مختلط بهم فإن هذا المعنى فاسد كما سبق وأنوضحنا ذلك فهو سبحانه وتعالى

عليّ في دنوه وقريب في علوه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير^(١) ثم يشير الناظم إلى مذهب أهل السنة والجماعة في الإيمان بأسماء الله تعالى وهو الإقرار بما جميعاً ما علمناه منها وما لم نعلم مما استأثر الله سبحانه بعلمه . فيقول : وكل أسمائه الحسنى نقر بها مما علمنا ومما استأثر الصمد . كما قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٨٠] . وقال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيُّمَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٠] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: [ما أحابب أحد قط هم ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيديك ما ضيعتني فيك حكمتك بحول فيك قضاؤك أما لك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وخصاب همي إلا أطينك الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحاً] (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : [إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة وهو وتر والله يحب الوتر] أخرجه في الصحيحين (٣).

(١) انظر القواعد الطيبات في الأسماء والمصنفات لابن عثيمين ، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين والفتاوى ج ٥ ص ١٠٢-١٠٦ .

(٢) رواه أحمد ج ١ ص ٣٩١ . صححه أحمد شاكر في تحقيق المسند ج ٥ ص ٢٦٧ ح ٣٧١٢ والألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ١ ص ٣٣٦ ح ١٩٩ .

(٣) البخاري في الدعوات باب لله عز وجل مائة اسم غير واحد ج ٥ ص ٢٣٥٤ ح ٦٤٧ ، ومسلم في الذكر والدعاء باب أسماء الله تعالى وفضل إحصائها ص ١٠٧٥ ح ٢٦٧٧ .

كما بين أن أسماء الله عز وجل ليست منحصرة في التسعة والتسعين المذكورة في حديث أبي هريرة ولا فيما استخرجه العلماء من القرآن بل ولا فيما علمته الرسل والملائكة وجميع المخلوقين لحديث ابن مسعود السابق ذكره، وهو ما أشار إليه الناظم بقوله : وما استأثر الصمد^(١).

ثم أشار الناظم -رحمه الله- بعد ذلك إلى أن الاسم من أسمائه تعالى له دلالات ثلاث :

مستقينين بما دلت عليه من ثلاثة الأوجه اعلم ذكرها يرد

دلت على ذات مولانا مطابقة به تليق بها الرحمن منفرد

^(١) ومن أسماء الله تعالى ما لا يطلق عليه إلا مقترناً بمقابله فإذا أطلق وحده أوهم نقصاً تعالى الله عن ذلك منها المعطي المانع والضار والنافع والقابض والباسط والمز والمذل والخافض والرافع فلا يطلق على الله تعالى المانع الضار القابض والخافض كلا على انفراده بل لابد من ازدواجها بمقابلهما إذ لم ترد في الوحي إلا كذلك.

ومن ذلك المنتقم لم يأت في القرآن إلا مضافاً إلى ذو كقولته تعالى : (عزيز ذو انتقام) .. آل عمران ٤ أو مقيداً بالمهرمين كقوله تعالى : (إنا من المهرمين منتقمون) السجدة آية ٢٢ . وقد ورد في القرآن الكريم أفعال أطلقها الله تعالى على نفسه على سبيل الجزاء العادل والمقابلة وهي فيما سبقت فيه مدح وكمال لكن لا يجوز أن يشتق له منها أسماء ولا تطلق عليه في غير ما سبقت فيه من الآيات كقوله تعالى : (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) النساء آية ١٤٢ وقوله تعالى : (ومكروا ومكر الله والله خير للماكرين) آل عمران آية ٥٤ . وقوله تعالى : (تسو الله فسيهم) الثوبة آية ٦٧ . وقوله تعالى : (وإذا غلبوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نخشى الله يستهزئون الله يستهزئ بهم) .. البقرة آية ١٤-١٥ . ونحو ذلك فلا يجوز أن يطلق على الله تعالى مخادع ماكر ناسي مستهزئ ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه ولا يقال الله يستهزئ ومخادع ومكسر ويتسمى على سبيل الإطلاق تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقاً ولا ذلك داخل في أسمائه الحسن ومن ظن من الجهال المصنفين في شرح الأسماء الحسن أن من أسمائه تعالى الماكر المخادع المستهزئ الكاذب فقد فاء بأمر عظيم تقشعر منه الجلود وتكاد الأصماح تصم عن سماعه وغر هذا الجاهل أنه سبحانه أطلق على نفسه هذه الأفعال فاشتق منها أسماء وأسماءه تعالى كلها حسن فادخلها في الأسماء الحسن وقرنها بالرحيم اللود الحكيم الكريم وهذا جهل عظيم فإذن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقاً بل تمدح في موضع وتذم في موضع إطلاق أفعالها على الله مطلقاً فلا يقال أنه تعالى بمكسر ومخادع ويستهزئ ويكيد فكذلك بطريق الأولى لا يشتق له منها أسماء يسمى بها بل إذا كان لم يأت في أسمائه الحسن المربد المتكلم ولا الفاعل ولا الصانع لأن مسماها تنقسم إلى ممدوح ومذموم وإما يوصف بالأنواع الممودة منها كالخليم والحكيم والعزير والفعال لما يريد فكيف يكون منها الماكر والمخادع والمستهزئ ثم يلزم هذا المغالط أن يجعل من أسمائه الحسن الداعي والآتي والجاني والذاهب والقادم والرائد والناسي والقاسم والساقط والفضيان والللاعب إلى أضعاف أضعاف ذلك من التي أطلق تعالى على نفسه أفعالها في القرآن ، وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل والمقصود أن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق وقد علم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوقات فكيف من الخالق سبحانه وتعالى . انظر معارج القبول ج ١ ص ١١٧-١٢٠.

كذا تضمنت المشتق من صفة نحو العليم بعلم ثم تطرد
كذلك استلزم باقي الصفات كما للقدرة استلزم الرحمن والصمد

١- دلالة المطابقة : هي دلالة اللفظ على جميع مدلوله وعلى هذا كل اسم دال على المسمى به وهو الله وعلى الصفة المشتق منها الاسم .

٢- دلالة التضمن : فهي دلالة اللفظ على بعض مدلوله، وعلى هذا فدلالة الاسم على الذات وحدها أو على الصفة وحدها دلالة تضمن.

٣- دلالة الإلتزام : فهي دلالة على شيء يفهم لا من لفظ الاسم ولكن من لازمه فلهذا سمي دلالة إلتزام. مثال ذلك : الخالق اسم يدل على ذات الله وعلى صفة الخلق. إذا فباعتبار دلالة على الذات يسمى دلالة مطابقة لأن اللفظ دال على جميع مدلوله ولا شك أننا إذا قلنا الخالق فإننا نفهم خلقا وخالقا.

وباعتبار دلالة على الخالق وحده أو على الخلق وحده يسمى دلالة تضمن لأنه دل على معناه. وباعتبار دلالة على العلم والقدرة يسمى دلالة التزام إذ لا يمكن خلق إلا بعلم وقدرة، ولهذا خلق الله السماوات والأرض قال : ﴿ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢]، وهذا ما أراده الناظم فهو يقول إننا نؤمن بأسماء الله الحسنى ونؤمن بدلالاتها الثلاث السابق ذكرها. وبدأها بدلالة هذه الأسماء على ذات الله تعالى بالمطابقة كما يليق بجلاله وعظمته فكل اسم من هذه الأسماء يدل على الذات المسماة به وهو الله سبحانه وتعالى وعلى الصفة المشتق منها هذا الاسم فمثلا اسم الرحمن يدل على ذات الله سبحانه وتعالى بالمطابقة ويدل على الصفة المشتقة منه وهي الرحمة ثم ذكر أن هذه الأسماء تدل بالتضمن على الصفة المشتق منها هذه الأسماء مثل لذلك بصفة العلم ، فاسم العليم دال على الصفة المشتق منها هذا الاسم وهي صفة العلم . ثم ذكر دلالة اللزوم فيبين أن الاسم من أسمائه تعالى يدل على شيء يفهم لا من لفظ الاسم ولكن من لازمه فاسم الرحمن والصمد يدلان باللزوم على صفة القدرة. ثم يشير الناظم إلى مذهب أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى وهو إثبات كل ما أثبتته الله

تعالى لنفسه أو أثبت له رسوله ﷺ بالاعتماد على نصوص الوحيين من الكتاب والسنة .

ثم أشار الناظم أن صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين : صفات ذات وصفات فعل فالصفات الذاتية اللازمة هي التي لم يزل ولا يزال الله متصفاً بها مثل الحياة والعلم والقدرة والحكمة وما أشبه ذلك . وتنقسم إلى ذاتية معنوية وذاتية خبرية وهي التي مسماهم أبعاد لنا وأجزاء كاليد والوجه والعين فهذه يسميها العلماء ذاتية خبرية لأنها لا تنفصل ولم يسزل الله ولا يزال متصفاً بها . خبرية : لأنها متلقاه بالخبر فالعقل لا يدل على ذلك ، فلولا أن الله أخبرنا أن له يداً ما علمنا بذلك لكنه أخبرنا بذلك بخلاف العلم والسمع والبصر فإن هذا ندركه بعقولنا مع دلالة السمع ، لهذا نقول في مثل هذه الصفات واليد الوجه وما أشبهها أنها ذاتية خبرية ولا نقول أجزاء وأبعاد بل نتحاشى هذا اللفظ ولكن مسماهم لنا أجزاء وأبعاد ولأن الجزء والبعض ما حاز انفصاله عن الكل .

فالرب عز وجل لا يتصور أن شيئاً من هذه الصفات التي وصف بها نفسه كاليد تزول أبداً لأنه موصوف بها أزلاً وأبداً ولهذا نقول أنها أبعاد وأجزاء .

وأما الصفات الفعلية : فهي الصفات التي لها أسباب مقرونة بها ، أي أنها متعلقة بالمشيئة إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها وتعرف بالصفات الطارئة مثل الرضى والمحبة والكراهية والبغض والاستواء على العرش والكلام والإتيان والنجوى ومن هذه الصفات الفعلية ما نوعه ذاتياً مثل صفة الكلام فإن الله لم يزل ولا يزال متكلماً ومنها ما ليس نوعه ذاتياً كالاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا لأن هذا ما صار إلا بعد وجود العرش^(١) .

ثم يقول الناظم إن هذه الصفات سواء كانت صفات ذات أو أفعال فإننا نمرها كما كانت أي نسلّم بها كما ورد بها النص دون أن نسأل عن كيفيةها ولا ننفي شيء منها كمن جحد صفات الله تعالى كلها أو بعضها كالمعتزلة والجهمية .

وهو يشير بقوله (نمر ولا نقول كيف ولا ننفي كمن جحدوا) إلى قول السلف في الصفات (أمروها كما جاءت بلا كيف) وقد روى هذا القول عن مكحول والزهري ومالك بن أنس

^(١) انظر شرح العقيدة الواسطية ج ١ ص ٥٣-٥٤ و ٨٧-٨٨ .

وسفيان الثوري والليث بن سعد والأوزاعي^(١).

وهذه العبارة رد على المعطلة والمشبهة ففي قولهم أمروها كما جاءت رد على المعطلة وفي قولهم بلا كيف رد على المشبهة، وفيها أيضاً دليل على أن السلف كانوا يثبتون لنصوص الصفات المعاني الصحيحة التي تليق بالله ، تدل على ذلك من وجهين:

(١) قولهم أمروها كما جاءت : فإن معناه إبقاء دلالتها على ما جاء به من المعنى ولا ريب أنها جاءت لإثبات المعاني اللاتمة بالله تعالى، ولو كانوا لا يعتقدون لها معنى لقالوا (أمروا لفظها ولا تعرضوا لمعناها) ونحو ذلك .

(٢) قولهم بلا كيف : فإنه ظاهر في إثبات حقيقة المعنى ، لأنهم لو كانوا لا يعتقدون ثبوته ما احتاجوا إلى نفي كيفيته فإن غير الثابت لا وجود له في نفسه فنفي كيفيته من لغو القول^(٢).

وقول الناظم على ما بمولانا يليق كما أراده وعناه الله نعتقد يشير إلى مذهب أهل السنة والجماعة في الإيمان بصفات الله تعالى وإثباتها إثباتاً حقيقياً كما يليق بجلاله وعظمته وفق مراده تعالى وقصده من خلال نصوص الصفات.

ومما سبق نستطيع أن نلخص مذهب أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته وهو ما أشار إليه الناظم في الأبيات السابقة فنقول إن طريقة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته كما يلي :

١- في الإثبات : إثبات ما أثبتته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل .

٢- في النفي نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ مع اعتقادهم ثبوت كمال ضده لله تعالى .

٣- فيما لم يرد فيه نفي ولا إثبات مما تنازع الناس فيه كالجسم والحيز والجهة ونحو ذلك :

(١) انظر كتاب السنة لأبي بكر الخلال، والفتوى الحموية.

(٢) انظر القواعد الطيبات ص ١١٩ - ١٢٠ ، والفتوى الحموية.

فطريقتهم فيه التوقف في لفظه فلا يثبتون ولا ينفون لعدم ورود ذلك وأما معناه فيستفصلون عنه فإن أريد به باطل ينسزه الله عنه ردوه وإن أريد به حق لا يمتنع على الله قبلوه. وهذه الطريقة هي الطريقة الواجبة وهي القول الوسط بين أهل التعطيل وأهل التمثيل. وقد دل على وجوبها العقل والسمع: فأما العقل فوجه دلالاته أن تفصيل القول فيما يجب ويجوز ويمتنع على الله ولا يدرك إلا بالسمع فوجب اتباع السمع في ذلك بإثبات ما أثبتته ونفي ما نفاه والسكرت عما سكنت عنه.

وأما السمع فمن أدلته: قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ١٨٠]. وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ٣٦]. فالآية الأولى دلت على وجوب الإثبات من غير تحريف ولا تعطيل لأنها من الإلحاد. والآية الثانية دلت على وجوب نفي التمثيل. والآية الثالثة دلت على وجوب نفي التكيف وعلى وجوب التوقف فيما لم يرد إثباته أو نفيه.

وكل ما ثبت لله من الصفات فإنها صفات كمال يحمد عليها ويثنى بها عليه وليس فيها نقص بوجه من الوجوه فجميع صفات الكمال ثابتة لله تعالى على أكمل وجه وكل ما نفاه الله عن نفسه فهو صفات نقص تنافي كماله الواجب، فجميع صفات النقص ممتنعة على الله تعالى لوجوب كماله.

وما نفاه الله عن نفسه فالمراد به انتفاء تلك الصفة المنفية وإثبات كمال ضدها وذلك أن النفي لا يدل على كمال حتى يكون متضمناً لصفة ثبوتية يحمد عليها فإن مجرد النفي قد يكون سببه العجز فيكون نقصاً وقد يكون سببه عدم القابلية فلا يقتضي مدحاً.

وإذا تبين هذا نقول: مما نفي الله عن نفسه الظلم، والمراد به انتفاء الظلم عن الله مع ثبوت كمال ضده وهو العدل، ونفي عن نفسه اللغوب وهو التعب والإعياء فالمراد نفي اللغوب مع ثبوت كمال ضده وهو القوة، وهكذا بقية ما نفاه الله عن نفسه.

قلنا إن مذهب أهل السنة والجماعة هو إثبات ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل.

فما معنى كل من : التحريف - التعطيل - التكيف - التمثيل .

١- التحريف : لغة : التغيير^(١)

في الاصطلاح : تغيير النص لفظا ومعنى ، والتغيير اللفظي قد يتغير معه المعنى وقد لا يتغير
فالتحريف له أقسام ثلاثة :

أ - تحريف لفظي يتغير معه المعنى كتحريف بعضهم قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا

﴿ [النساء: ١٦٤] . إلى نصب لفظ الجلالة ليكون التكليم من موسى .

ب- تحريف لفظي لا يتغير معه المعنى ، كفتح الدال من قوله تعالى قال تعالى : ﴿ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ [النساء: ٢٠] . وهذا في الغالب لا يقع إلا من جاهل إذ ليس فيه غرض مقصود

لفاعله عموما .

ج - تحريف معنوي : وهو صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل كتحريف معنى اليدين المضافتين
إلى الله إلى القوة والنعمة ونحو ذلك.

٢- التعطيل : لغة : التفريغ والإخلاء^(٢).

وفي الاصطلاح هنا : إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات أو إنكار بعضها فهو

نوعان :

أ - تعطيل كلي : كتعطيل الجهمية الذين أنكروا الصفات وغلاهم ينكرون الأسماء أيضا.

ب- تعطيل جزئي : كتعطيل بعض الأشعرية الذين أنكروا بعض الصفات دون البعض، وأول من

عرف بالتعطيل من هذه الأمة هو الجعد بن درهم.

(١) انظر لسان العرب ج ٩ ص ٤٣ .

(٢) المرجع السابق ج ٩ ص ٣١٢ .

٣- التكيف : وهو حكاية كيفية الصفة^(١) ، كقول القائل : كيف يد الله أو كيف نزوله إلى السماء الدنيا : كذا وكذا .

٤- التمثيل والتشبيه : التمثيل : إثبات مثل الشيء^(٢) . والتشبيه : إثبات مشابه^(٣) .

أنواع التشبيه :

أ - تشبيه المخلوق بالخالق .

ب - تشبيه الخالق بالمخلوق .

فأما تشبيه المخلوق بالخالق : إثبات شيء للمخلوق مما يختص به الخالق من الأفعال والحقوق والصفات ، فالأول : كفعل من أشرك في الربوبية ممن زعم أن مع الله خالقاً والثاني : كفعل المشركين بأصنامهم حيث زعموا أن لها حقاً في الألوهية فعبدها مع الله . والثالث : كفعل الغلاة في مدح النبي ﷺ أو غيره مثل قول المتنبي^(٤) بمدح (عبد الله بسن يحيى البحرى) :

فكن كما شئت يا من لا شبيه له

وكيف شئت فما خلق يدانيكا

وأما تشبيه الخالق بالمخلوق فمعناه : أن يثبت لله تعالى في ذاته أو صفاته مثل ما يثبت للمخلوق في ذلك ، كقول القائل : إن يدي الله مثل أيدي المخلوقين واستواؤه على عرشه كاستوائهم ، ونحو ذلك^(٥) .

(١) المرجع السابق ج ٩ ص ٣١٢ .

(٢) المرجع السابق ج ١١ ص ٦١٠ .

(٣) المرجع السابق ج ١٣ ص ٥٠٤ .

(٤) هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي المولود سنة ٣٠٣ المتوفى ٣٥٤ من كبار شعراء العربية ادهى النبوة في صباه فلقب بالمتنبي اتصل بسيف الدولة الحمداني وله فيه للدائح السائلة كما اتصل بكافور الاخشيدي فمدحه ثم انقلب عليه فبهناه له ديوان شعر متداول انظر تاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٠٢ وللتنظم لابن الجوزي ج ٧ ص ٢٤ .

(٥) انظر القولها. الطيحات في الأسماء والصفات ص ١٠٤-١٠٩ ، وشرح العقيدة الواسطية ج ١ ص ٦١-٨٢ .

النص :

وفي الشهادة علم القلب مشروط يقينه القصد قبول ليس يفتقد
إخلاصك الصدق فيها مع محبتها كذا الولا واليرا فيها لها عمد
فيه نوالي أولى التقوى ونصرهم وكل أعدائه إلنا هم لعدو

الشرح :

في هذه الآيات يشير الناظم إلى شروط الشهادة (شهادة أن لا إله إلا الله) باعتبارها أهم دعائم الإيمان بالله إذ أن هذه الشهادة هي دليل الدخول في دين الإسلام والإيمان بالله تعالى وهذه الشهادة لا يكفي فيها بمجرد النطق بل لابد من توفر سبعة شروط فيها حتى يتفحق بها وتكون سبباً في دخول الإنسان في التوحيد وخروجه من الشرك ومن ثم تكون سبباً في دخول الجنة وهذه الشروط كما أشار إليها الناظم هي :

١. العلم : وهو العلم بمعناها المراد منها نفيًا وإثباتًا المنافي للجهل بذلك قال تعالى : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [معد: ١٩]. وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٨٦]. أي يعلمون بقلوبهم معنى ما تنطق به ألسنتهم وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩٢]. وفي الصحيح عن عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ [من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة] ^(١).

٢. اليقين : وهو المنافي للشك بأن يكون قائلها مستيقناً مدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن فكيف إذا دخله شك. قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَنَّهْدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [المحجرات: ١٥]. فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا أي لم يشكوا فأما المرتاب فهو من المنافقين والعياذ بالله الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَلْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَجْعِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥].

(١) مسلم في الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً من ٤٤-٤٥ ح ٢٦ .

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ [اخلصد أن لا إله إلا الله وأنبي رسول الله لا يلقي الله بها محبذ غير خالك فهو جيب من الجنة] ^(١) وفيه عنه رضي الله عنه من حديث طويل أن النبي ﷺ بعثه بنعليه فقال : [من لقيته من وراء حائط الحائط يخلصد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فهو جيب من الجنة] ^(٢) فاشتراط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقناً بما قلبه غير شك فيها وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط.

٣. الإنقياد : وهو الإنقياد لما دلت عليه باطناً قال تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ [الزمر: ٥٤]. وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [البقرة: ١٢٥]. وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عُنُقُهُ الْأُمُورِ ﴾ [الحجرات: ٢٢]. العروة الوثقى هي : (لا إله إلا الله ومعنى يسلم وجهه أي ينقاد. وهو محسن أي موحد ومن لم يسلم وجهه إلى الله ولم يك محسناً فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى).

٤. القبول : وهو القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه فلا يرد شيئاً من لوازمها ومقتضاها وقد قص الله علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء من قبلها وانتقامه ممن ردها وأبأها كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾ قُلْ أُولَئِكَ جُنُودُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِنْكُمْ وَجَدْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَاذِبُونَ ﴿ فَاَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَنِيبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الزمر: ٢٢-٢٣-٢٤].

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنْجِي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ١٠٣]. كذلك أخبرنا بما وعد به القابلين لها من ثواب ، وما أعدده لمن ردها من العذاب كما قال تعالى : ﴿ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿ وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مُسْتَوْلُونَ ﴾ [الصافات: ٢٢-٢٤]. إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَيْتَنَا لِشَاعِرٍ مُجْتَوِمٍ ﴿ [الصافات: ٢٥-٢٦]. فجعل الله علة تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول لا إله إلا الله وتكذيبهم من جاء بها فلم ينفوا ما نفته ولم يشتموا ما أثبتته ثم قال سبحانه في شأن من قبلها : ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾

(١) مسلم في باب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً من ٤٥ ح ٢٧ .

(٢) مسلم في باب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً من ٤٧، ٤٦ ح ٣١ .

﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٥٠﴾ فَوَسَّعَهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ أَلْعِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الصافات: ٤٠-٤٣].
 وقال تعالى: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾ [الزلزال: ٨٩]. وفي
 الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: [مثل ما بعثني الله به من الصدق
 والعلم كمثل الغيث الكثير أسابه أرحماً فكان منها بقية قبلت الماء فأنبتت النبات
 والعصبة الكثير وكأنت منها أجاديب فظلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني
 الله به فعليه وعلمه. ومثل من لو يرفع بذلك رأساً ولو يقبل صدقي الله الطي أرحمت به] (١).
 ٥. الإخلاص : وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ
 آلَ الدِّينِ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣]. وقال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البقرة: ٢١٧]. وفي
 الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : [أعبد الناس بغير إخلاص من قال لا إله
 إلا الله خالصاً من قلبه أو بغيره] (٢). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله
 ﷺ يقول: (فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال) : [أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل
 عملاً أشرك معي فيه فإني تركته مخرجاً من عماله] (٣). وعن عتيان بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ
 قال : [إن الله حره على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل] (٤).
 ٦. الصدق : أي الصدق فيها المناهي للكذب وهو أن يقولها صدقاً من قلبه بواطئ قلبه لسانه
 قال تعالى : ﴿ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتَرَكَوْا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٠-١٠١]. وقال تعالى في
 شأن المنافقين الذين قالوها كذباً : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَمُ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٣﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ
 اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [البقرة: ٨-١٠]. وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل

(١) البخاري في العلم باب فضل من علم وعلم ج ١ ص ٤٢ ح ٧٩ .

(٢) البخاري في العلم باب الحرص على الحديث ج ١ ص ٤٩ ح ٩٩ ، وفي الرقاق باب صفة الجنة والنار ج ٥ ص ٢٤٠٢ ح ٦٢٠١ .

(٣) مسلم في الزهد باب من أشرك في عمله غير الله ص ١١٩٦ ح ٢٩٨٥ .

(٤) البخاري في المساجد باب المساجد في البيوت ج ١ ص ١٦٤ ح ٤١٥ ، ومسلم في المساجد باب الرخصة في التخلف
 عن الجماعة بعذر ص ٢٥٨ - ٢٥٩ ح ٣٣ .

رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: [ما من أحد يشك أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار] ^(١). فاشتراط في إنجاء هذه الكلمة من النار أن يقولها صدقاً من قلبه فلا ينفعه مجرد التلفظ بدون مواطاة القلب. وفيهما أيضاً من حديث أنس بن مالك وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما من قصة الأعرابي لما سأل رسول الله ﷺ عن شرائع الإسلام فأخبره ، قال هل علي غيرها قال : لا إلا أن تطوع قال والله لا أزيد عليها ولا أنقص منها فقال رسول الله ﷺ أفلح إن صدق ^(٢) فاشتراط رسول الله ﷺ في فلاحه ودخوله الجنة أن يكون صادقاً .

٧. المحبة : أي الحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها المستلزمين لشروطها وبغض ما ناقض ذلك، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] . وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [آل عمران: ٥٤] . فأخبر الله تعالى أن عباده المؤمنين أشد حبا لله لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحداً كما فعل مدعو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دون الله أنداداً يحبونهم كحبه وعلامة حب العبد لربه تقلص محابه وإن خالفت هواه وموالاته من وإلى الله ورسوله ومعاداة من عاداه واتباع رسول ﷺ واقتفاء أثره وقبول هدايه. ومن هذه المحبة الموالاته في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله كما أشار الناظم إلى ذلك فمحبة هذه الشهادة تقتضي محبة الرسول ﷺ ومحبة المؤمنين وموالاتهم ونصرهم وبغض الكفار ومعاداتهم. قال تعالى في اشتراط محبة الرسول ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٠٠﴾

آل عمران ٣١٥ - ٣٢٢ .

(١) البخاري في العلم باب من حصن بالعلم قوماً دون قوم ج ١ ص ٦٠ ح ١٢٨ .

(٢) البخاري في الإيمان باب الزكاة في الإسلام ج ١ ص ٢٥-٢٦ ح ٤٦ .

وقال تعالى في اشتراط بغض الكفار ومعاداةهم : ﴿وَقَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلْعَاذُ وَالْبَعْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [المائدة: ٥٤]. وقال رسول الله ﷺ [ثلاثة من حسن فيه وجد خلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله] الحديث (١). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [لا يؤمن أحدكم حتى يحب الله ورسوله وأهل بيته من الناس أجمعين] (٢).

هذا وما ينبغي العلم به أن الأحاديث الدالة على أن الشهادتين سبب في دخول الجنة والنجاة من النار لا تناقض بينهما وبين أحاديث الوعيد التي فيها أن من فعل ذنب كذا حرم من عليه الجنة أو لا يدخل الجنة من فعل كذا لإمكان الجمع بين النصوص بأنما جنان كثيرة كما أخبر الرسول ﷺ بذلك وبأن أهل الجنة يتفاوتون في دخول الجنة في السبق وارتفاع المنازل فيكون فاعل هذا الذنب لا يدخل الجنة التي أعدت لمن لم يرتكبه أو لا يدخلها في الوقت الذي يدخل فيه من لم يرتكب ذلك الذنب وكذلك لا تناقض بين الأحاديث التي فيها تحريم أهل هاتين الشهادتين على النار وبين الأحاديث التي فيها إخراجهم منها بعد أن صاروا حمماً لإمكان الجمع بينهما بأن تحريم من يدخلها بذنبه من أهل التوحيد يكون بعد خروجه منها برحمة الله ثم بشفاعة الشافعين ثم يقتسلون في نهر الحياة ثم يدخلون الجنة فحيث قد حرموا عليها فلا تمسهم بعد ذلك أو المراد أنهم يحرمون مطلقاً على النار التي أعدت للكافرين التي لا يخرج منها من دخلها وهي ما عدا الطبقة العليا التي يدخلها بعض عصاة أهل التوحيد ممن شاء الله عقابه وتطهيره بما على قدر ذنبه ثم يخرجون فلا يبقى فيها أحد (٣).

(١) البخاري في الإيمان باب من كره أن يعود في الكفر ج ١ ص ١٦ وفي الأدب باب الحسب في الله ج ٥ ص ٢٢٤٦ ح

٥٦٩٤ ومسلم في الإيمان باب خصال من اتصف من وجد خلاوة الإيمان ص ٤٩ ح ٤٣ .

(٢) البخاري في الإيمان باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ج ١ ص ١٤ ح ١٥ ومسلم في الإيمان باب وجوب محبة الرسول

ﷺ أكثر من الأهل ص ٥٠ ح ٤٤

(٣) انظر معارج القبول ج ١ ص ٣٤١-٣٤٢ .

المطلب الثالث

فصل في الشرك الأكبر

النص :

والشرك جعلك ندا للإله ولم يشارك الله في تخليقنا أحـد
تدعوه ترجوه تخشاه وتقصده لدفع شر ومنه الخير ترتقد
وعلمه بك مع سمع الدعاء وقد رة وسلطان غيب فيه تعتقد

المفردات : الند : المثل والنظير^(١).

ترتقد : الرقد العطاء والصلة ، ومنه ترافد القوم أي أعان بعضهم بعضاً^(٢).

الشرح :

في هذه الآيات يشير الناظم - رحمه الله - إلى الشرك بالله تعالى الذي هو ضد التوحيد، وذلك بعد أن تكلم عن الإيمان بالله تعالى فبين هنا نقيض التوحيد وهو الشرك بالله تعالى ، فتحدث هنا عن نوع من أنواع الشرك في الألوهية وذلك بأن يجعل لله نداً أي مثلاً وشبيهاً نصرف له شيئاً من أنواع العبادة الخاصة بالله تعالى مع علمنا الأكيد بأن الذي خلقنا هو الله سبحانه وتعالى لا شريك له .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (فأما الشرك في الإلهية فهو أن يجعل لله نداً أي مثلاً في عبادته أو محبته أو خوفه أو رجائه أو إنابته، فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، قال تعالى : ﴿ قُلْ لِلدِّينِ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مِمَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وعذا هو الذي قاتل عليه رسول الله ﷺ مشركي العرب لأنهم أشركوا في الإلهية قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ

(١) انظر لسان العرب ج ٣ ص ٤٢٠ .

(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ١٨١ والقاموس المحيط ج ١ ص ٢٩٥ .

حَيَّا لِلَّهِ ﴿ [الزمر: ١١٠] . وقال تعالى : ﴿ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٢٥] . وقال تعالى : ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ صَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١﴾ شَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مَرِيءٍ ﴿٢﴾ أَلَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٣﴾ ﴾ [الزمر: ٢٤-٢٦] . [وقال رسول الله ﷺ لعصيين : كُفُّوا إِلَهًا تَعْبُدُونَ؟ قال : هَتَّةً فِي الْأَرْضِ وَوَاحِدَةً فِي السَّمَاءِ قَالَ فَمَنْ الْإِلَهِ تَعْبُدُونَ وَرَبُّكُمْ؟ قال : الْإِلَهِ فِي السَّمَاءِ . قال : أَلَا تَعْلَمُونَ مَا عَلَّمَكُمْ أَسْمَاءُكُمْ ، فَأَسْمَاءُ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا : اللَّهُمَّ الصِّمِّي رَضِيحِي وَهَيْبِي شَرِّ نَفْسِي (١)] (٢) .

فمن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ويصرفون لهم شيئا من العبادات الخاصة بالله تعالى، سواء كان هؤلاء الأنداد من الإنس أو الجن، أو الملائكة أو الأوثان أو الكواكب، فيقعون بذلك في الشرك الأكبر المخرج من الملة والمخلد لصاحبه في النار.

تدعوه ترجوه تخشاه وتقصده لدفع شر ومنه الخير ترتفد

يذكر الناظم - رحمه الله - هنا جملة من العبادات الخاصة بالله تعالى والتي إذا صرفها الإنسان لغيره فإنه يقع بذلك في الشرك الأكبر المخرج من الملة والمخلد لصاحبه في النار قال تعالى : ﴿ إِنْ أَلَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨] . وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١١٦] . وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحَابٍ ﴾ [الأنعام: ٢٦] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ مِنَ الدِّينِ لَنْ تُشْرِكَ بِي شَيْئًا وَنَبِّئُكَ أَنَّكَ كُنْتَ تَتَّبِعُ الْأَفْهَامَ قَلِيلًا ﴾ [البقرة: ١٣٠] .

(١) الترمذي في أبواب الدعاء باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ ج ١٣ ص ٢٤ مع الشرح وقال حديث غريب وقد روى عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه. أورده اللالكائي في شرح أصول وهو اعتقاد أهل السنة والجماعة قال أحمد سعد الفاسمي حقق الكتاب سند ضعيف فيه شبيب بن شبيب بن عبد الله التميمي المنقري وضعيف كما قال الحافظ بن حجر في التهذيب ج ٤ ص ٢٧٠ طبعة دار الفكر بدون تاريخ.

(٢) الفتاوى ج ١ ص ٩١ .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : [أتى النبي ﷺ رجل فقال : يا رسول الله ما الموجبتان ؟ فقال : من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار] (١).

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي : [يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله عز وجل ؟ قلتم : الله ورسوله أعلم قال : حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله ألا يعذبهم من لا يشرك به شيئاً] (٢) . فالشرك أعظم ذنب عصى الله به ولهذا أحير سبحانه وتعالى أنه لا يغفره ، وأنه لا أضل من فاعله وأنه مخلد في النار أبداً ، لا نصير له ولا حميم ولا شفيع يطاع ، وأنه لو قام لله مقام السارية ليلاً ونهاراً ، ثم أشرك مع الله تعالى غيره لحظة من اللحظات ومات على ذلك فقد حبط عمله بتلك اللحظة التي أشرك فيها (٣) .

ومن هذه العبادات التي صرفها بعض الناس لغير الله تعالى ، فأوقعهم ذلك في الشرك الأكبر .
الدعاء : وهو مخ العبادة ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَخِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٨٠] . وقال تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦] . وفي جامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ليس شيء أكرم على الله من الدعاء (٤) . وفيه من حديث ابن عباس مرفوعاً إذا سألت فاسأل الله (٥) وهو حديث حسن صحيح .

الرجاء : وهو من أنواع العبادة الخاصة بالله تعالى ، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [البقرة: ١٩٠] . وقال تعالى :

(١) مسلم في الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار ص ٩١ ح ٩٢ .

(٢) مسلم في الإيمان الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ص ٤٦ ح ٣٠ .

(٣) انظر معارج القبول ج ١ ص ٣٨٣ .

(٤) الترمذي في الدعوات باب ما جاء في فضل الدعاء ج ١٢ ص ٢٦٦ مع الشرح حسنه الألباني أنظر صحيح سنن الترمذي ج ٢ ص ١٣٨ .

(٥) الترمذي أبواب القنامة باب رقم ٦٠ ج ٩ ص ٣١٩ مع الشرح وقال الترمذي حديث حسن صحيح وصححه الألباني أنظر

صحيح سنن الترمذي ج ٢ ص ٣٠٩ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَابِتِنَا غَافِلُونَ﴾^(١) أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ لِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧-٨]. وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة ، فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة ، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة ، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يئأس من الجنة ، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن النار^(٢).

الخشية : وهي مرادفة للخوف . قال تعالى : ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [التوبة: ٣٠] . وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ [يس: ١١] . وقال تعالى : ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾^(٣) مَن خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [الأنعام: ٢٢-٢٣] . وقال رسول الله ﷺ : إن أحشاكم وأتقاكم لله أنا^(٤) . وقال أيضاً : لا يلج النار من بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع^(٥).

القصد في دفع الشر وجلب الخير :

وذلك بأن يلجأ الإنسان لغير الله تعالى ويعتمد عليه في جلب النافع ودفع الضار ، مع العلم بأنه لا يملك ذلك إلا الله ، قال تعالى : ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الصافات: ١١] . وقال تعالى : ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٦) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس: ١٠٦-١٠٧] . وقال تعالى : ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ

(١) البخاري في الرقاق باب الخوف مع الرجاء ج ٥ ص ٢٣٧٤ ح ٦١٠٤ .

(٢) البخاري في النكاح باب الترغيب في النكاح ج ٥ ص ١٩٤٩ ، ومسلم في الصيام باب أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته ص ٤٢٩ ح ١١٠٨ .

(٣) الترمذي في فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله ج ٧ ص ١٣٠ ح ١٣٠ مع الشرح .

(٤) النسائي في الجهاد باب من عمل في سبيل الله على قدمه ج ٦ ص ١٢ مع الشرح للإمام السيوطي . أحمد ج ٢ ص ٥٠٥ والمحاكم في المستدرک ج ٤ ص ٢٦٠ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

فَلَا مَرْسِلَ لِمَنْ يُعَدِّمُهُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٠﴾ [الزمر: ٢٠]. وقال ﷺ لابن عباس : وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك^(١). فكل هذه العبادات خاصة بالله تعالى وحده لا شريك له ومن صرفها لغيره فقد أشرك بالله شركاً أكبر مخرجاً من الملة ومخلداً لصاحبه في النار.

وعلمه بك مع سماع الدعاء وقد رة وسلطان غيب فيه تعتقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى بعض الأمور التي إذا اعتقدها الإنسان فإنه يقع بذلك في الشرك الأكبر المخرج من الملة والمخلد لصاحبه في النار ، ومن ذلك الاعتقاد بأن الأنداد التي تدعي من دون الله تعلم وتطلع على ما بداخل الإنسان ، وأنها تسمع الدعاء وتجيبه وأن لها القدرة على قضاء الحاجات من جلب المنافع ودفع المضار وأنها تعلم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله . فكل هذه الأمور التي لا يعلمها إلا الله تعالى ولا يقدر عليها غيره ، فمن اعتقدها في غيره فقد أشرك بالله تعالى شركاً أكبر مخرجاً من الملة ومخلداً لصاحبه في النار لأنه بهذا الاعتقاد يثبت لذلك الند من صفات الربوبية ما يرفعه عن درجة العبودية إلى درجة المعبودية ويجعله مستحقاً للعبادة مع الله ، قال تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آعِبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١-٢٢]. وقال تعالى : ﴿وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٤-١٦٥]. وقال تعالى : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ . . . إِلَى قَوْلِهِ : ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٤-١٦٥].

النصوص :

مثل الألى بدعا الأموات قد هتفوا يرجون نجدقم من بعد ما لحدوا
وكم نذروا وقربانا لها صرفوا ظلما ومن أنفس المنقوش كم نقدوا
وكم قبابا عليها زخرفت ولها أغلى النسيج كساء ليس يفتقد
فهم يلوذون في دفع الشرور بها كما لها في قضا الحاجات قد قصدوا
ويعصرفون لها كل العبادة دو ن الله جهرا وللتوحيد قد جحدوا

المفردات :

- ١- هتفوا : هتف والمهتاف الصوت الجاني العالي وقيل الصوت الشديد وقد هتف به هتافا أي صاح به (١).
- ٢- لحدوا : اللحد الشق الذي يكون في جانب القبر موضع الميت لأنه قد أميل عن وسطه إلى جانبه ، وقيل لحدده : دفنه (٢) والمراد من بعد ما لحدوا أي ماتوا ودفنوا في قبورهم .
- ٣- يلوذون : اللوذ بالشيء الاستار والإحتضان به (٣).

الشرح :

في هذه الأبيات يشير الناظم رحمه الله الى كل من أشرك بالله تعالى شركاً أكبر، ويخص بالذكر تلك الأشخاص الذين عبدوا الأصنام والأوثان، وعبدوا القبور، حيث انتشرت عبادة القبور في زمن الناظم فعكف الناس على هذه القبور وطلبوا منها قضاء حاجاتهم وتفريج كرباتهم، وصرفوا لها سائر أنواع العبادات من دون الله تعالى، علماً بأنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن ان يملكون ذلك لغيرهم.

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ

وَنَسْرًا ۚ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ۝ ﴾ [الحج: ٢٣-٢٤].

وكم نذوراً وقربانا لها صرفوا ظلما ومن أنفس المنقوش كم نقدوا

(١) انظر لسان العرب ج ٩ ص ٣٤٤ .

(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ٣٨٨ .

(٣) المرجع السابق ج ٣ ص ٥٠٨ والقاموس المحيط ج ١ ص ٣٥٨ .

الشرح:

في هذا البيت يشير الناظم إلى بعض العبادات الخاصة بالله تعالى والتي صرفها هؤلاء المشركون لآلهتهم التي عبدوها من دون الله تعالى ظلماً وعدواناً على الله تعالى بصرفهم خالص حقه لغيره.

ومن هذه العبادات : النذر : وهو في اللغة : الإيجاب والالتزام^(١) . وفي الاصطلاح : إلزام المكلف نفسه لله شيئاً غير واجب بكل قول يدل عليه^(٢).

وهو في الأصل مكروه، فقد نهي عنه النبي ﷺ وقال : (إنه لا يرد شيئاً ولكنه يستخرج به من البخيل)^(٣).

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا ﴾ [البقرة: ٢٧٠] . وقال تعالى : ﴿ يُؤْفُونَ بِالْأُكُوفِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الأنعام: ٦٥] . وقال رسول الله ﷺ : [من نذر أن يطع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه]^(٤) فالنذر عبادة خاصة بالله تعالى ومن صرفها لغير الله فقد أشرك بالله تعالى شركاً أكبر يخرجها من الملة ومخلداً لصاحبه في النار.

القربان : وهو كل ما يذبح تقريباً لله تعالى ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَنُسَكِيْتُ وَخَيَّيْتُ وَمَتَّيْتُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ لا شريك لله^(٥) . وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [فصل لربك وأنحر^(٦)] [التوبة: ١-٢].

وعن علي رضي الله عنه قال : حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات : لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى محدثاً لعن الله من غير منار الأرض^(٧).

(١) لسان العرب ج ٥ ص ٢٠٠.

(٢) انظر حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع لعبد الرحمن بن محمد النعدي ج ٧ ص ٤٩٦.

(٣) البخاري في الإيمان والنذور باب الوفاء بالنذر ج ٦ ص ٢٤٦٣ ح ٦٣١٥ واللفظ له ومسلم في النذور باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً ص ٦٧٢ ح ١٦٣٩.

(٤) البخاري في الإيمان والنذور باب النذر فيما لا يملك وفي المعصية ج ٦ ص ٢٤٦٤ ح ٦٣٢٢.

(٥) مسلم في الأضاحي باب تحريم الذبح لغير الله ولعن فاعله ص ٨٢٠ ح ١٩٧٨.

فالدبح عبادة خاصة بالله تعالى ومن صرفها لغيره فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج مسن
المللة والمخلد لصاحبه في النار.

فهؤلاء المشركون كما يقول الناظم قد صرفوا عبادتي النذر والدبح وهما خاصتان بالله
تعالى لغيره فيكونون بذلك قد وقعوا في الشرك بالله تعالى وهو ظلم عظيم لأنفسهم . قال
تعالى : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [١٣:٥٨].

وكم قبابا عليها زخرفت ولها أغلى النسيج كساء ليس يفتقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن هؤلاء المشركين قد نصبوا القباب العظيمة المزخرفة
والمغطاة بأغلى الأنسجة على قبور الموتى تعظيماً وتقديساً لهم، مع ما في ذلك مما نهي الله عنه، فقد
روى مسلم عن أبي الهياج رضي الله عنه قال : قال علي رضي الله عنه ألا أبعثك على ما بعثني
عليه رسول الله ﷺ : أن لا تدع ممثالا إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلى سويته^(١) فقد أمر
الرسول ﷺ بتسوية القبور لما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها ، وهو من ذرائع الشرك
ووسائله ، فصرفهم إلى هذا وأمثاله ليس من مصالح الدين ومقاصده وواجباته ولما وقع التساهل
في هذه الأمور وقع المحذور وعظمت الفتنة بأرباب القبور وصارت محطاً لرحال العابدين المعظمين
لها، فصرفوا لها جل العبادة من الدعاء والاستعانة والاستغاثة والتضرع لها والدبح لها والنذور وغير
ذلك من كل شرك محظور^(٢).

فهم يلوذون في دفع الشرور بها كما لها في قضا الحاجات قد قصدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن هؤلاء المشركين يلجأون إلى هؤلاء الموتى في دفع الشرور
عنهم من الموت والمرض والفقر وسائر المصائب والشرور. ويقصدونها أيضاً في جلب المنافع وقضاء
الحاجات لهم من جلب الرزق والولد والصحة وغيرها من المنافع . وهم بذلك يقعون في الشرك
الأكبر لأن جلب المنافع ودفع المضار ليس لأحد سوى الله تعالى . قال تعالى : ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ

(١) مسلم في الجنائز باب الأمر بتسوية القبر ص ٣٧٤ ح ٩٦٩ .

(٢) انظر تفسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص ٧٠٢ .

اللَّهُ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الْقَائِلِينَ ﴿١٠٧﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴿١٠٨﴾ [يوس: ١٠٧-١٠٨]. في هاتين الآيتين تنبيه على أن المدعو لا بد أن يكون مالكا للنفع والضرر حتى يعطى من دعاه أو يبطش بمن عصاه وليس ذلك إلا لله وحده، فتعين أن يكون هو المدعو دون ما سواه. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١٧: ١٧]. لأنه هو سبحانه المتفرد بالملك والقهر والعطاء والمنع، ولازم ذلك إفراده بتوحيد الألوهية لأللهما متلازمان ، وإفراده بسؤال كشف الضر وحلب الخير لأنه لا يكشف الضر إلا هو ولا يجلب الخير إلا هو .

قال تعالى : ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٢: ٢٧].

فتعين أن لا يدعى لذلك إلا هو وبطل دعاء من سواه ممن لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عن غيره، وهذا ضد ما آل عليه عباد القبور ، فهم يعتقدون أن الأولياء والطواغيت ينفعون ويضرون، ويمسسون بالضرر ويكشفونه وأن لهم التصرف المطلق في الملك إما على سبيل الكرامة وهذا فوق شرك العرب، وإما على سبيل الوساطة بينهم وبين الله بالشفاعة وهذا شرك الذين قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [٢٣: ٢٣]. وقال النبي ﷺ لابن عباس : إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم ينفكوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك^(١) فدل ذلك على أن ملك النفع ودفع الضر ليس لأحد سوى الله تعالى ، فمن طلبها من غير الله فقد وقع في الشرك بالله تعالى .

ويصرفون لها كـل العبادات و ن الله جهرا وللوحيد قد جحدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن هؤلاء المشركين يصرفون سائر العبادات الخاصة بالله تعالى -جهرا دون خجل ولا حياء- هؤلاء الموتى الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا

(١) انظر العبودية لابن تيمية ص ٢٣ سبق تخریج الحديث ص ١٢٤ .

ضراً فضلاً عن أن يملكوا ذلك لغيرهم، وهم بذلك ينكرون توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة.
والعبادة كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية هي : طاعة الله بامتثال ما أمر به على السنة الرسل.
وقال أيضاً العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة^(١).

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وقال تعالى:
﴿وَقَضَىٰ رَبِّيَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم ، قال : حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً ، فقلت : يا رسول الله أفلا أبشر الناس ؟ قال : لا تبشرهم فيتكلوا^(٢) فالعبادة يجب أن تصرف لله وحده لا شريك له ، ومن صرفها لغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة والمخلد لصاحبه في النار.

النص :

إن لم تكن هذه الأفعال يا علما شركاً فما الشرك قولوا لي أو ابتعدوا
إن لم تكن هذه شركاً فليس على وجه البسيطة شرك قسط ينتقد

المفردات : البسيطة : البسط نقيض القبض ، والبسيطة الأرض^(٣)

الشرح :

في هذين البيتين شرع الناظم - رحمه الله - في التأكيد على أن هذه الأفعال التي سبق وأن ذكرها شرك بالله تعالى، فهو يقول إن لم تكن هذه الأمور من الشرك فما حقيقة الشرك أيها العلماء وهو هنا يستفهم بأداة الاستفهام (ما) التي يراد بها البحث عن حقيقة الشيء ، ثم يجده يقرر ويؤكد أن هذه الأمور من الشرك ، وأما إن لم تكن من الشرك فليس أصلاً هناك شرك يستحق النقد والإنكار وذلك لعظم ما في هذه الأمور من الشرك الأكبر المخرج من الملة والمخلد لصاحبه في النار.

^(١) انظر كتاب العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٣.

^(٢) سبق ترجمته ص ١٢٤.

^(٣) انظر لسان العرب ج ٧ ص ٢٥٩ والقاموس المحيط ج ٢ ص ٣٥٠.

المبحث الرابع

باب الإيمان بالملائكة

النص :

وبالملائكة الرسل الكرام عبا د الله تؤمن خابوا من لهم عبدوا
من دون ربي تعالى والتساب لمن كانوا له ولهم والمرسلين عدوا
بل هم عباد كرام يعملون بأمر الله ليس له نـــــــد ولا ولد

المفردات : التباب : التباب والخسار والتباب ، الخسران والمهلاك^(١).

الشرح : بعد أن ذكر الناظم الركن الأول من أركان الإيمان وهو الإيمان بالله تعالى شرع هنا في ذكر الركن الثاني من أركان الإيمان وهو الإيمان بالملائكة .

معنى الإيمان بالملائكة : هو التصديق الجازم بأن الله ملائكة موجودين مخلوقين من نور وأنهم كما وصفهم الله عباد مكرمون يسبحون الليل والنهار ولا يفترون وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها^(٢).

وهذا ما أراده الناظم في الآيات السابقة فقد أشار إلى أن الملائكة رسل الله تعالى وأنهم عباد لله يجب علينا الإيمان بوجودهم كما وصفهم الله تعالى بأنهم عباد مكرمون وأنهم السفرة بين الله تعالى ورسله وأنهم يطيعون الله تعالى ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وأنهم خلق من خلق الله خلقهم الله تعالى من نور لعبادته وحده لا شريك له وأنهم ليسوا بناتا لله عز وجل ولا أولاداً ولا شركاء معه ولا أنداداً له تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً . قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْتَفِئُونَ بِالْقَوْلِ ۖ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۝ ﴾ [الأنعام: ٢٦-٢٧] .

فهم الكرام خلقاً وخلقاً وهم الكرام على الله تعالى . وقال الله تعالى ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝ ﴾ [مر: ١٥-١٦] . فهم الطاهرون ذاتاً وصفة وأفعالاً . وقال الله تعالى ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِي وَسَجَّحِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيَّ جَمِيعًا ۝ ﴾ [النساء: ١٧٢] .

(١) القاموس المحيط ج ١ / ص ٣٨ ، ولسان العرب ج ١ / ص ٢٢٦ .

(٢) الكواشف الجليلة لمعاني الواسطية ص ٥٨ .

وقال الله تعالى ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٩-٢٠]

وقال الله تعالى ﴿ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَئِكَ أَجْنَحُ مُمْتَنِي وَتِلْكَ وَرُبُّكَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام: ١٠].

فيجب علينا الإيمان بمولاء الملائكة وعدم اتخاذهم أندادا وشركاء لله تعالى لعبادتهم من دونه لأن ذلك شرك عاقبته الهلاك والخسران المبين.

وقول الناظم : (والتباب لمن كانوا له ولهم والمرسلين عدو) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٩٨].

فالملائكة عباد مكرمون خلقهم الله من نور كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : [خَلَقْتُمُ الْمَلَائِكَةَ مِنْ نُورِ الْعَرْشِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ نَارِ هَارِجٍ مِنْ نَارِ وَخَلَقَ أَحَدَهُمَا مِنْ وَحْشَةٍ لَهُ] (١).

وهم ليسوا أولادا لله تعالى ولا أندادا له قال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِثْلَ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسْتَحْسِرُونَ ﴾ [الصافات: ١٥١-١٦٦].

النص :

منهم أمينٌ لوحى الله يبلغه لرسله وهو جبريل بــــه يفد

المفردات : يفد : وفد فلان على الأمير أي ورد رسولا وأوفدته أنا إلى الأمير أي أرسلته (٢).

الشرح : في هذا البيت وما يليه من الآيات شرع الناظم في ذكر بعض وظائف الملائكة التي هيأهم الله لها ووكلهم بها . فمنهم الموكل بالوحي من الله تعالى إلى رسله عليهم السلام وهو الروح الأمين جبريل عليه السلام قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٩٧] وقال الله تعالى ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿

(١) مسلم في الزهد والرقائق ج ١٨ / ص ٣٣٤ / ح ٢٩٩٧ مع الشرح

(٢) لسان العرب ج ٣ / ص ٤٦٤ - ٤٦٥ .

يَلْسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٠١﴾ [المعارج: ١٠١-١٠٢]. وقال الله تعالى ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]. وقال الله تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿١٠٢﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿١٠٣﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿١٠٤﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿١٠٥﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿١٠٦﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿١٠٧﴾﴾ [النجم: ١-٤]. وهذا في رؤية النبي ﷺ له في الأبطح حين تجلّى له على صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الأفق ثم رآه ليلة المعراج أيضا في السماء كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٠٨﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٠٩﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١١٠﴾﴾ [النجم: ١٥-١٣]. ولم يره ﷺ في صورته إلا هاتين المرتين وبقية الأوقات في صورة رجل^(١).

النص :

وللرياح وقطر والسحاب لم يـ كال بذاك إليه الكل والعدد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن من الملائكة الموكل بالقطر وتصاريفه إلى حيث أمره الله تعالى مع معرفة مقداره وعدده وهو ميكائيل عليه السلام وهو ذو مكانة عالية ومنزلة رفيعة وشرف عند ربه عز وجل وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه ويصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الله تعالى .

النص :

كذلك بالصور إسرائيل وكل وهـ و الآن منتظر أن يأذن الصمد

ومنهم الموكل بالنفخ في الصور وهو إسرائيل عليه السلام ينفخ فيه ثلاث نفخات بأمر الله تعالى الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصبغ والثالثة نفخة القيام لرب العالمين^(٢).

وقول الناظم (وهو الآن منتظر أن يأذن الصمد) فيه إشارة إلى حديث الرسول ﷺ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ حَيْفُكُمْ أَنْعَمَ وَحَاجِبُ الْقُرُونِ قَدْ لَقِيَ الْقُرُونِ وَحَيْنِ جَبْتَهُمْ وَانْتَظَرُ أَنْ يُؤْخِذَ لَهُ قَالُوا: حَيْفُكُمْ نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ قُولُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ج ٤ / ص ٢١٨-٢٢٠.

(٢) سيأتي الحديث عن هذه النفخات في موضعه من المنظومة .

ونعم الوكيل، على الله توفيقنا) ^(١) فهو الآن منتظر أن يأذن الله له بالنزخ في الصور.

وهؤلاء الثلاثة من الملائكة هم الذين ذكرهم النبي ﷺ في دعائه في صلاة الليل (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون إهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم) ^(٢).

النص :

وحاملوا العرش مع من حولهم ذكروا وزائروا بيته المعمور ما افتقدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن من الملائكة حملة عرش الرحمن والكروبيون ^(٣) وهم الذين قال تعالى فيهم : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبُّنَا وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبِعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [٧: ٥٥]. وقال الله تعالى ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ لَمَنِيَّةٌ ﴾ [١٧: ١٧].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: أذن لي أن أحدثكم عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام ^(٤).

(وزائروا بيته المعمور ما افتقدوا) ومنهم زوار البيت المعمور الذي أقسم الله به في كتابه قال تعالى : ﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾ [النور: ٤] كما ثبت ذلك في حديث المعراج وهو يبيت في السماء السابعة بجبال الكعبة في الأرض بحيث لو سقط لوقع عليها حرمة في السماء كحرمة الكعبة في الأرض يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم يعني لا تحول نوبتهم لكثرةهم.

(١) رواه الإمام أحمد ج ٣ / ص ٧ ، والترمذي في صفة القيامة باب ما جاء في شأن الصور ج ٤ / ص ٦٢٠ ح / ٢٤٣١ وقال هذا

حديث حسن. وصححه الألباني أنظر صحيح سنن الترمذي ج ٢ ص ٢٩٢.

(٢) مسلم صلاة المسافرين باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ص ٣٠٥ ح ٧٧٠.

(٣) الكروبيون أقرب الملائكة إلى حملة العرش انظر لسان العرب ج ١ / ٧١٤.

(٤) أبو داود في الرد على الجهمية ج ٤ / ص ٢٣٢ ح / ٤٧٢٧ واستأذنه صحيح.

النص :

والحافظون علينا الكاتبون لما نسعى وفي الحشر إذ يؤتى بهم شهدوا

الشرح :

ومنهم الموكل بحفظ عمل العبد من خير وشر وهم الكرام الكاتبون الذين يحفظون ويكتبون كل ما نعمل من خير أو شر ثم يكونون شهداء علينا يوم القيامة بما أحصوه علينا من الأعمال.

قال تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزمر: ٨٠].

وقال تعالى : ﴿ إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [١٧-١٨] . فالذي عن اليمين يكتب الحسنات والذي عن الشمال يكتب السيئات.

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ ﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠-١١] .

وعن علقمة بن الحارث المزني رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (إن الرجل ليتكلم بالخطمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغته يكتبه الله عز وجل له بما رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالخطمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغته يكتبه الله تعالى عليه بما سخطه إلى يوم يلقاه) وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسا ما لم تعمل به أو تتكلم) (١).

النص :

وآخرون يحفظ العبد قـد وكلوا حتى إذا جاءه المقدور لم يفـدوا

الشرح :

ومنهم الموكل بحفظ العبد في حله وارتحاله وفي نومه ويقظته وفي كل حالاته وهم المعقبات

(١) البعاري في الإيمان والنور باب إذا حثت ناسيا من ١٢٧٢ / ح ٦٦٦٤ ومسلم في الإيمان باب تجاوز الله عن حديث النفس ؟

قال تعالى : ﴿ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِأَلِيلٍ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ۚ لَهُمْ مَعْقِبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِمْ يُحَافِظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ١٠-١١]. وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ قَتَرَقُ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ [الأنعام: ٦١].

قال ابن عباس المعقبات ملك موكل به يوقظه من الجن والإنس والهوام فما منها شيء يأتيه إلا قال له الملك وراءك إلا شيء أذن الله فيه فيصبيه^(١).

وهذا ما أراده الناظم بقوله : (حتى إذا جاءه المقدور لم يفدوا) فهم يحفظونه بأمر الله لهم حتى إذا جاء قدر الله تخلوا عنه فلم يمنعوا عنه ذلك القدر يحفظهم له . وقال ابن كثير في قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾ [الأنعام: ٤٢]. أي بدل الرحمن، بمن سبحانه وتعالى بنعمته على عبده وحفظه لهم بالليل والنهار وكلاءته وحراسته لهم بعينه التي لا تنام. أ. هـ^(٢)

والموت وكل حقا بالوفاء لرو ح العبد قبضا إذا منها خلا الجسد

ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه وقد جاء في بعض الآثار تسمية عزرائيل قال تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّيْكُمْ مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وَسَّكَلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنعام: ١١]. وقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْعَلُونَ ﴾ [النحل: ٦١]. ثم رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٢]. وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْنَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الأنعام: ٩٠]. وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّيْهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّيْهُمْ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَذْخَلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٢٨-٢٩]. وغيرها من الآيات وقد جاء في الأحاديث أن أعوانه يأتون العبد بحسب عمله إن كان محسنا ففي أحسن هيئة وأجمل صورة وأعظم بشارة وإن كان مسيئا ففي أشنع هيئة وأقبح منظر بأغلظ وعيد ثم يسوقون الروح حتى إذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت ولا يدعوها في يده بل يضعونها

(١) ابن كثير ج ٢ / ٥٢٢ .

(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ١٨٨ .

في أكفان وحنوط يليق بها كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ ٤٠. إلى قوله ﴿فَسَبَّحَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ٤١ [الروحة: ٨٣-٩١].

النص ومنكر ونكير وكلاهما ل العبد في القبر عما كان يعتقد .
ومنهم الموكل بفتنة القبر وهما منكر ونكير فيسلان الإنسان عما كان يعتقد .

كما جاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعاله أتاه سلطان فيقعدانه فيقولان له ما أحببت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول أحمد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً وأما المنافق والخافر فيقال له ما أحببت تقول في هذا الرجل فيقول لا أحري أحببت أقول ما يقول الناس فيقال لا حريبت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين) (١).

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (إذا أقيع المؤمن في قبره أتته ثم خصم أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله: (يثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت) (٢).

النص: كذلك رضوان في أعوانه خزنوا لجنة الخلد بشرى من بها وعدوا الشرح: ومنهم خزنة الجنة ومقدمهم رضوان عليه السلام قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]. وقال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٦٦﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الزمر: ٢٣-٢٤].

ثم يقول الناظم (بشرى من بها وعدوا) من البشارة وهي الخير السار، أي بالعظم البشارة

(١) البخاري في الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر ص ٢٦٧ ح ١٣٧٤ ، ومسلم في الجنة وصلة نعيمها وأهلها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار ص ١١٥٠ ح ٢٨٧٠ .

(٢) البخاري في الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر ص ٢٦٦ ح ١٣٦٩ ، ومسلم في الجنة وصلة نعيمها وأهلها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار ص ١١٥١ ح ١٨٧١ .

لهم بدخولهم الجنة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (سك: ٣٠).

النص:

كذا زبانية النيران يقدمهم في شأنا مالك بالفيظ يتقد

الشرح: ومنهم خزنة جهنم عيادا بالله منها وهم الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر ومقدمهم مالك عليه السلام (بالفيظ يتقد) كناية عن شدة الغضب قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ (الزمر: ٢١).

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْمًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودًا النَّاسُ وَالْأَجِبَارُ ۖ عَلَيْهَا مَلَكٌ كَبِيرٌ ۖ عَلَيْهِمْ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (السم: ٦٠). وعن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: (يؤتى بهجته يومئذ لها سبعون ألفه زهاء مع كل زهاء سبعون ألفه ملك يجرونها) (١).

النص:

وآخرون فسياحون حيث أتوا مجالس الذكر حفوا من بها قعدوا

الشرح: ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تنادوا لهموا إلى حاجتكم، فيحفوهم بأجنتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم عز وجل وهو أعلم بهم منهم: (ما يقول عبادي؟) قالوا يسبحونك ويكبرونك ويمجدونك ويمجدونك) وقلل ﷺ: (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وحققتهم الملائكة ونظفتهم الرحمة وطردهم الله من محنته) (٢).

النص:

وغيرهم من جنود ليس يعلمها إلا العليم الخبير الواحد الأحد

الشرح: في هذا البيت يشير الناظم إلى كثرة عدد الملائكة وأنه لا يعلم عددهم إلا الله قال تعالى:

(١) مسلم باب في شدة حر نار جهنم ص ١١٤١ ح ٢٨٤٢.

(٢) مسلم في الذكر باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ص ١٠٨٢ ح ٢٦٩٩.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ [النور: ٢١].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (إني أرى ما لا تدرون وأسمع ما لا تسمعون أطلت السماء وحق لما أن أنزل ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد ، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولما تلذذتم بالنساء على الفراشات ولخرجتم إلى السعادات تجارون إلى الله تعالى) (١).

المبحث الخامس

باب الإيمان بكتب الله المنزلة

النص :

وكتبه بالهدى والحق منزلة نورا وذكرى وبشرى للذين هتدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى الركن الثالث من أركان الإيمان وهو الإيمان بكتب الله المنزلة فيقول إن هذه الكتب السماوية منزلة من عند الله تعالى بالهدى والحق فهي تحمل في طياتها هداية البشر إلى طريق الخير والرشاد الذي فيه خيرا الدنيا والآخرة إن هم آمنوا بها وصدقوها كما أن كل ما تضمنته حق لا باطل فيه، ذلك أنها منزلة من لدن حكيم خبير، كما أن هذه الكتب هي النور الذي ينير للبشرية طريقها وهي السبيل لتذكرهم بالله والرجوع بهم إلى دين الله الحق كما أنها تحمل لهم البشارة بالفوز في الدنيا والآخرة إن هم اعتدوا بهداها وآمنوا بها، قال تعالى : ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا إِلَّا بِإِذْنِهِمْ وَاسْمِعِيلَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

(١) رواه أحمد ج ٥ / ص ١٧٣ ، والترمذي في الزهد باب قول النبي ﷺ لو تعلمون ما أعلم ج ٤ / ص ٥٥٦ ح ٢٣١٢ وقال هذا حديث حسن غريب ، وابن ماجه في الزهد باب الحزن والبكاء ج ٢ / ص ١٤٠٢ ح ٤١٩٠ ، والحاكم في المستدرک ج ٢ / ص ٥١٠ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبي .

﴿ ٥٦ ﴾ [النساء: ١٢٦].

معنى الإيمان بالكتب السماوية :

وعلى الوجه الذي أراد^(١).

يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴿[الأمراء: ١٤٥].﴾

رَسُولًا فَيُوحِي بِأَذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ ﴿٧٠﴾ [التورى: ٥١] (٧٠).

كيفية الإيمان بالكتب السماوية :

سبق وأن ذكرنا أنه يجب علينا الإيمان بالكتب السماوية جملة وتفصيلاً، وذلك تفصيلاً فيما فصل ، وإجمالاً فيما أجمال، ذلك أن الله تعالى قد سمى من كتبه التوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، والزبور على داود والقرآن على محمد وذكر صحف إبراهيم وموسى تفصيلاً فيجب

(١) انظر الكواشف الجلية لمعاني الواسطية ص ٦٠ ، ومعارج القبول ج ٢ / ص ٦٧٢ .

(۲) انظر تقسيم ابن كثير ج ۲ / ص ۲۶۵ .

علينا الإيمان بما على هذا التفصيل الذي أخبرنا به الله تعالى، قال تعالى : ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

وذكر أنه أنزل على رسله كتباً مجملة لم يفصلها لنا فيجب علينا الإيمان بما مجملة قال تعالى : ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [التورى: ١٥٠].
وقال تعالى : ﴿وَالرُّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]. فيجب علينا الإيمان بكل ما أنزل الله من الكتب إجمالاً فيما أجهل وتفصيلاً فيما فصل^(١).

النص : ثم القرآن كلام الله ليس كما قال الذين على الإلحاد قد مردوا جمعد وجههم وبشر ثم شيعتهم ألا فبعدا لهم بعدا وقد بعدوا
المفردات : مردوا : المارد العاتي ، وهو الذي استكبر وتجاوز الحد^(٢) والمراد أنهم استكبروا وتجاوزوا الحد في الإلحاد.
الشرح : بعد أن تحدث الناظم في البيت السابق عن الكتب السماوية جملة شرع هنا في الحديث عن خاتم هذه الكتب وأعظمها عند الله تعالى وهو القرآن الكريم، الذي نزل به السروح الأمين على سيدنا محمد ﷺ بلسان عربي مبين قال تعالى : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٢﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿٣﴾﴾ [التعراء: ١٩٣-١٩٥]. فذكر أن القرآن الكريم كلام الله تعالى وليس كما يزعم أهل الإلحاد الذين تجاوزوا الحد في استكبارهم وعنادهم ، كالجمعد بن درهم^(٣)، والجمهم بن صفوان^(٤)،

(١) انظر فيما سبق الكواشف الجلية لمعاني الواسطية ص ٦٠-٦٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٢٤-٤٢٦ معارج القبول ج ٢ / ص ٦٧١-٦٧٥ ، الإيمان أركانه حقيقته ونواقضه للدكتور محمد نعيم بس ص ٦٥-٦٦ ، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد للدكتور صالح بن فوزان الفوزان ص ١٤٩-١٥١ .

(٢) انظر لسان العرب ج ٣ / ص ٤٠٠ وج ١٥ / ص ٢٧ .

(٣) هو الجمعد بن درهم من الموالى مبتدع له أخبار في الزندقة قال عنه الذهبي : (عداده في التابعين مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتعبد إبراهيم خليله ولم يكلم موسى تكليماً فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر) وقتله خالد القسري يوم النحر سنة ١١٨هـ في السياق حيث قال أبها الناس ضحوا فإن مضج بالجمعد بن درهم . انظر : لسان الميزان ج ٢ / ص ١٠٥ ، وميزان الاعتدال ج ١ / ص ١٨٥ ، والكامل لابن الأثير ج ٥ / ص ١٦٠ ، والأعلام ج ٢ / ص ١٢٠ .

(٤) سبق التعريف به في المقدمة ص ٥٠ .

وبشر المريسي^(١) ومن سار على نهجهم واتبعهم في منهجهم الضال الذي يزعمون فيه أن القرآن الكريم مخلوق، لكن قبل الحديث عن القرآن الكريم وبيان أنه كلام الله منزه عن مخلوق والسرور على أهل الزيغ والإلحاد ينبغي لنا أولاً أن نبين أن الله تعالى متصف بصفة الكلام كما ينبغي للجلالة وعظمته .

مذهب أهل السنة والجماعة في كلام الله تعالى :

هو الاعتقاد الجازم بأن الله متكلم بكلام قلم النوع حادث الاتحاد^(٢)، وأنه لم يزل يتكلم إذا شاء بما شاء وأنه يتكلم بكلام يسمعه من شاء من خلقه، سمعه منه موسى والأبوان^(٣) بلا واسطة ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه يكلم المؤمنين ويكلمونه في الآخرة . وقد دل القرآن الكريم والسنة النبوية والمعقول وكلام السلف على أنه سبحانه يتكلم بمشيئته، كما دل على أن كلامه صفة قائمة بذاته وهو صفة ذات وفعل^(٤).

الأدلة المثبتة لصفة الكلام :

أولاً : من القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ تِلْكَ أَلْرُسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤].

وقال تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَلَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩].

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

العنكبوت: ٢٠.

(١) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن المريسي ، أبو عبد الرحمن فقيه معزلي ، عارف بالفلسفة ، يرمي بالزندقة وهو رأس الطائفة المريسية القائلة بالارحاء وإليه نسبتها ، وهو من أهل بغداد عاش فيها سبعين عاماً توفي سنة ٢١٨ هـ . انظر وفيات

الأعيان لابن خلكان ج ١/ص ٩١ ، وتاريخ بغداد ج ٧/ص ٥٦ ، وميزان الاعتدال ج ١/ص ١٥٠ ، والأعلام ج ٢/ص ٥٥ .

(٢) أي أن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قلباً . شرح الطحاوية ص ١٧٤ .

(٣) وهما آدم وحواء .

(٤) انظر الكواشف الجلية لمعاني الواسطية ص ٣٦٣-٣٦٤ .

ثانياً : من أدلة السنة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (احتج آدم وموسى فقال له موسى ، أئنت الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة . فقال له آدم أئنت موسى الذي احطأ لك الله برسالاته وبكلامه ثم تلومني على أمر قدر عليّ قبل أن أخلق) فقال رسول الله ﷺ (فخرج آدم موسى) مرتين^(١).

ثالثاً : من الأدلة العقلية :

١. أن الكلام صفة كمال وضدها صفة نقص وهي البكم والخرص وهذه الصفة تعتبر عيباً في المخلوق العاجز الضعيف فكيف يوصف بها من له الكمال المطلق من كل وجه، كما أن الله تعالى هو واهب الكمال للكاملين فكيف يهب للعبد ما هو عاجز عن الاتصاف به من صفات الكمال، والله المثل الأعلى والكمال من جميع الوجوه فحيث نفينا عنه كل نقص وعيب فهو إذن المتصف بكمال ضد ذلك فلما كان ضد الكلام نقصاً نزهناه عنه وأثبتنا له كمال ضده وهو الكلام الذي لا نظير له كسائر صفاته تعالى، ولقد قرر القرآن الكريم هذا المعقول أحسن تقرير فقال تعالى في العجل الذي اتخذ قوم موسى إلهاً يعبدونه من دون الله : ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُخَلِّقُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨] وقال تعالى : ﴿أَفَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [٨٩: ٥]. فعاب الله تعالى العجل بكونه قد سلب صفة الكلام فدل ذلك على أن سلبها صفة نقص لا تليق بالإله المعبود وما كان ليعيب إلههم الباطل بما هو عيب فيه تعالى وتقدس عن ذلك.

٢. إن العباد لا غنى لهم عن إرسال الرسل وإنزال الكتب لأن أحوال الدنيا والآخرة لا تستقيم إلا بذلك بل إن الحكمة من خلقهم تنتفي بدون ذلك ويعيش الناس في الدنيا عيش البهائم بغير تكليف فلا أمر ولا نهي ، فلما كانوا لا غنى لهم عن ذلك أرسل الله الرسل وأنزل عليهم الكتب إذ لو تركهم لعقولهم لضلوا، وليس للرسول معنى إلا تبليغ الرسالة والرسالة إنما هي وحي الله الذي يوحى إلى رسله ووحىه إنما هو كلامه ومنه كتبه المنزلة على رسله^(٢).

(١) البعاري كتاب الأنبياء باب وفاة موسى وذكره بعده ج ٤ / ص ١٢٥١ / ح ٣٤٠٩ ، ومسلم في القدر باب حجاج آدم وموسى

عليهما السلام ص ١٠٦٣ - ١٠٦٤ ح ٢٦٥٢ .

(٢) انظر المقيدة السننية في كلام رب البرية لعبد الله بن يوسف الجديع ص ٦٦-٧٨ .

رابعاً : أقوال السلف :

عن عائشة رضي الله عنها قالت - في قصة الإفك - : (والله ما كنت أظن أن الله ينزل براءتي وحيا يتلى ، ولشأني في نفسي أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى . . .)^(١)
مذهب أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم :

إن القرآن الكريم كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، ومعنى منه بدأ : أي أنه هو المتكلم به لم يخلقه في غيره كما قالت الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة، وغيرهم من أنه بدأ من بعض المخلوقات كالشجرة التي كلم الله من عندها سيدنا موسى عليه السلام وأنه سبحانه لم يقم به كلام، ومعنى إليه يعود : أنه يرفع في آخر الزمان فلا يبقى منه حرف في المصاحف ولا آية في القلوب^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

(والذي اتفق عليه السلف والأئمة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود وإنما قال السلف منه بدأ لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون أنه خلق الكلام في الحلق، فقال السلف منه بدأ أي هو المتكلم به فمعه بدأ لا من بعض المخلوقات كما قال تعالى : ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [الزمر: ١]. وقال تعالى : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ [الصافات: ١٣]. وقال تعالى : ﴿ وَبَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [سورة: ٦]. وقال تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ [الحجرات: ١٠٢].

ومعنى قولهم إليه يعود : أنه يرفع من الصدور والمصاحف فلا يبقى في الصدور منه آية ، ولا منه حرف كما جاء في عدة آثار^(٣).

(١) البحاري في الشهادات باب تعديل النساء بعضهن بعضاً ج ٢ / ص ٩٤٢ م ح ٢٥١٨ .

(٢) انظر لوامع الأنوار البهية ج ١ / ص ١٣٣ ، والفتاوي ج ١٢ / ص ٣٧-٣٨ ، وشرح الطحاوية ص ١٧٤-١٧٧ .

(٣) انظر الفتاوي ج ٦ / ص ٥٢٨-٥٢٩ .

قال الإمام الطحاوي^(١) :

(وأن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً ، وأنزله على رسوله وحياً ، وصدقته المؤمنين على ذلك حقاً ، وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر ، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال : ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرًا﴾ [الشع:٢٦] . فلما أوعده الله بسقر لمن قال : ﴿إِن هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [الشع:٢٥] . علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ، ولا يشبه قول البشر^(٢) .

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم وهو المذهب الحق الذي ينبغي لكل مسلم الإيمان به والسير على هداية .

وقد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال :

- (١) أن كلام الله هو ما يفيض عن النفوس من المعاني إما من العقل أو من غيره ، وهذا قول الصابئة والمتفلسفة .
- (٢) أنه مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه ، وهذا قول المعتزلة .
- (٣) أنه معنى واحد قائم بذات الله ، هو الأمر والنهي ، والخير والاستخبار ، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً ، وإن عبر عنه بالعبرية كان تورا ، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه .
- (٤) أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل وهذا قول طائفة من أهل الكلام .
- (٥) أنه حروف وأصوات لكن تكلم الله بعد أن لم يكن متكلماً وهذا قول الكرامية .
- (٦) أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته وهذا يقوله صاحب المعتز^(٣) ويميل إليه الرازي^(٤) في المطالب العالية .

^(١) الإمام الطحاوي : هو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي الحنفي (٢٣٩ - ٣٢١هـ) فقيه ومحدث ومؤرخ ، من كتبه : العقيدة الطحاوية والمختصر في الفقه . انظر تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٢٨ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٢٨ .

^(٢) انظر شرح الطحاوية ص ١٧٢ .

^(٣) هو أبو البركات هبة الله بن ملكا الطيب الفيلسوف ، كان يهودياً وأسلم ، وكتابه هو المعتز في الحكمة ، وتوفي سنة نيف وخمسين وخمسمائة ، انظر سير أعلام النبلاء ج ٢ / ٤١٩ .

^(٤) هو العلامة الكبير ذو الفنون فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن القرشي البكري الطبرستاني ، الأصولي المفسر ، كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين ، ولد سنة ٥٤٤ هـ واشتغل على أبيه ضياء الدين الخطيب الرازي وانتشرت تواليفه في البلاد شرقاً وغرباً ، وكان يتوقد ذكاء وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظامم وانحرافات عن السنة ، والله يعفو عنه فإنه توفي على طريقة حميدة والله يتولى السرار توفي بمهرة سنة ٦٠٦ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ج ٢١ / ص ٥٠٠-٥٠١ .

- (٧) أن كلامه يتضمن معناً قائماً بذاته هو ما خلقه في غيره وهذا قول أبي منصور الماتريدي^(١).
- (٨) أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات وهذا قول أبي المعالي ومن تبعه .
- (٩) أنه تعالى لم يزل متكلاً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وهو يتكلم به بصوت يسمع وأن نوع الكلام قدم وإن لم يكن الصوت المعين قديماً وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة^(٢).

ولا شك أن مذهب أهل السنة والجماعة هو المذهب الحق في هذه المسألة والذي ينبغي لكل مسلم أن يتبعه ويسير على نهجه .

أدلة القائلين بخلق القرآن الكريم والرد عليها :
الدليل الأول :

قولهم بأن القرآن شيء ، وقد استدلوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر: ١٦] . ولفظ كل يدل على العموم ، فالقرآن داخل في عموم ما خلق الله تعالى من الأشياء .

الرد عليهم :

إن صيغة كل وما يشابهها من صيغ العموم ، عموم كل منها هو بحسبه ، قال تعالى في ربح عاد : ﴿ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٢٥] . فالتدمير إنما كان بأمره تعالى ، وأمره تعالى هو كلامه ، وقد دلت الآية على أن مساكنهم لم تدمر ، فدل ذلك على أن عموم كل كان في حق الكفار المستحقين للوعيد لا كل شيء حتى ما سواهم من الجماد وغيره .

وقال تعالى عن بلقيس : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل: ٢٣] .

ومعلوم أنها لم توت ملك سليمان ولا غير أرضها من الأرض .

(١) هو محمد بن محمد الماتريدي نسبة إلى قرية من قرى سمرقند ، إمام المتكلمين صاحب التصانيف في الفقه والأصول والمقائيد والتفسير ، توفي سنة ٣٣٣هـ . انظر الفوائد البهية ل محمد بن عبد الحى اللكوي ص ١٩٥ ، والأعلام ج ٧ / ص ١٩ .

(٢) انظر شرح الطحاوية ص ١٧٣-١٧٤ ، والكواشف الجلية ص ٣٩٧-٤٠٠ ، والعقيدة السلفية في كلام رب القرية لعبد الله بن يوسف ص ٢٧٥-٢٨٢ ، ومعارج القبول ج ١ / ص ٣٩٧ .

وقد اثبت الله تعالى أن له نفسا حيث قلل : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عََلِمُ الْغُيُوبِ ﴾ [البقرة: ١٧٦] وقال : ﴿ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [طه: ٤١] ، وقال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥ والانباء: ٣٥] ، فهل تدخل نفس الله تعالى في هذا العموم ؟

إن الأنفس التي تموت إنما هي الأنفس المخلوقة ، وأما الخالق تعالى بصفاته فهو حي لا يموت . فدللت هذه النصوص على أن عموم (كل) إنما هو بحسب الموضع الذي وردت فيه ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر: ٦٢] . فالله تعالى شيء وصفته شيء قال تعالى : ﴿ قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْتَبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ ﴾ [الأنعام: ١٠١] . والمخلوق شيء والله تعالى هو الخالق ، وليس بمخلوق وصفاته تابعة لذاته فليست مخلوقة والقرآن كلامه ، وكلامه صفته وصفته غير مخلوقة ، فالله شيء غير مخلوق وصفته شيء غير مخلوقة والمخلوق من وقع عليه فعل الخلق ، وهو كل شيء سوى الله تعالى وصفته .

كما أن هؤلاء المعتزلة والجهمية ، أدخلوا صفة الله تعالى في عموم كل في هذه الآية وأخرجوا أفعال العباد من هذا العموم ، فكذبوا القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦] ، وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر: ٦٢] ، فكذبوا على الله رب العالمين وألحدوا في آياته ، وصرفوا الآية عما هي له واحتجوا بها على ما ليست له .

الدليل الثاني :

قولهم بأن القرآن مجعول : مستدلين على ذلك بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزمر: ٣] . والجعل : الخلق .

الرد عليهم :

إن لفظ جعل يأتي بمعنى خلق وبغيره ، وهو لا يأتي بمعنى خلق إلا إذا تعدى إلى مفعول واحد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [الأنعام: ١٠] . وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأنعام: ١٨٩] . فجعل هنا بمعنى خلق .

وقد يتعدى إلى مفعول واحد ولا يكون بمعنى خلق كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ [الاعراف: ١٠٠ والرعد: ٢٣] . وقوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الحج: ٥٠] . فمن الواضح أن جعل ليست بمعنى خلق في هاتين الآيتين .

أما إذا تعدى إلى مفعولين فلا يكون بمعنى خلق بأي حال ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الفرج: ٦٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [الأنبياء: ٧٣] .

وكذلك منه قوله تعالى : إنا جعلناه قراءنا عربيا فالفعل الأول الضمير، والمفعول الثاني قراءنا والمعنى : قلناه قراءنا عربياً ، أو بيناه .

فيظل بذلك استدلال المعتزلة بفضل الله تعالى ^(١) .

الدليل الثالث :

قولهم بأن القرآن محدث ، مستدلين على ذلك بقوله تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَقْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ [الفرج: ٥٠] . وقالوا بأن معنى المحدث : المخلوق .

الرد عليهم :

إن قوله تعالى : (محدث) هي في الأصل من الحدوث وهو كون الشيء بعد أن لم يكن، والقرآن الكريم حين كان ينزل كان كلما نزل منه شيء كان جديداً على الناس لأنهم لم يكونوا علموه من قبل، فهو محدث بالنسبة للناس ، فقد قال تعالى : (ما يأتيهم) فهو محدث إليهم حين يأتيهم ، ومنه قول النبي ﷺ : (إن الله يحدث لنبية ما شاء ، وإن مما أحدث لنبية : أن لا تتكلموا في الصلاة) ^(٢) .

وأمر الله تعالى هو قوله وكلامه ، وهو غير مخلوق ، وإنما هو محدث بالنسبة للعباد أي جديد عليهم لم يكونوا علموه من قبل، فليس المحدث هنا هو المخلوق كما يزعم أهل الباطل .

^(١) أنظر العقيدة السلفية ص ٢٨٥ - ٢٨٧

^(٢) أحمد ج ١ / ص ٣٧٧ ، ٤٣٥ ، ٤٦٣ ، وأبو داود ح ٩٢٤ ، والنسائي ج ٣ / ص ١٩ صححه الألباني أنظر صحيح سنن أبي داود

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (المحدث في الآفة لفس هو المخلوق الذي يقوله الجهمي، ولكنه الذي أنزل جديداً ، فإن الله كان ينزل القرآن شيئاً بعد شيء ، فالمنزل أولاً هو قدم بالنسبة للمنزل آخراً ، وكل ما تقدم على غيره فهو قدم في لغة العرب) (١).

الدليل الرابع :

قولهم بأن الله جعل أمره مقدوراً ، حيث قال : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨] وأمر الله كلامه ، والمقدور المخلوق .

الرد عليهم :

إن لفظ الأمر إذا أضيف إلى الله تعالى يأتي على تفسيرين :

الأول : يراد به المصدر ، كقوله تعالى : ﴿ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ [الأمر: ٥٤] . وهذا يجمع على أوامر .
الثاني : يراد به المفعول الذي هو المأمور المقدر كقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨] . فالأمر في هذه الآفة هو المأمور ، وهذا يجمع على (أمر) وهو مخلوق .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (ففي قوله : (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) المراد به المأمور به المقصور وهذا مخلوق ، وأما في قوله : ﴿ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا ﴾ [الأنفال: ٥٠] . فأمره كلامه إذ لم ينزل إلينا الأفعال التي أمرنا بها ، وإنما أنزل القرآن ، وهذا كقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ أَنْ تَوْدُّوا الْأَثَمَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨] . فهذا الأمر هو كلامه) (٢).

فليس الأمر إذا على ما قالت الجهمية والمعتزلة من اختصاصه بالمفعول المقدر (٣).

الدليل الخامس :

قولهم بأن الله سمى عيسى عليه السلام كلمته فقال : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْنَاهُ آفَاقًا إِلَى مَرْيَمَ ﴾ [النساء: ١٧١] ، وقال : ﴿ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران: ٤٥]

(١) انظر الفتاوى ج ١٢ / ص ٥٢٢ .

(٢) انظر الفتاوى ج ٨ / ص ٤١٢ .

(٣) المقابلة السلفية ص ٢٩١-٢٩٢ .

وعيسى عليه السلام مخلوق فالكلمة مخلوقة :

الرد عليهم :

إن عيسى عليه السلام مخلوق خلقه الله بأمره حين قال له (كن) كما قال تعالى : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝ ﴾ [آل عمران: ٤٧]. وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝ ﴾ [آل عمران: ٥٩]. فكان عيسى عليه السلام بكلمة الله تعالى وقوله (كن) فالكلمة (كن) لا عين عيسى ، والمكون بها هو عين عيسى عليه السلام^(١).

الدليل السادس :

قوله تعالى : ﴿ نُودِيَ مِنَ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الحجر: ٣٠]. فقد استدلووا بهذه الآية على أن القرآن الكريم مخلوق وأن الله خلقه في الشجرة ، فسمعه موسى منها الرد عليهم :

لقد قال الله تعالى قبل هذه الآية : (فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن) .

والنداء هو : الكلام من بعد ، فسمع موسى عليه السلام النداء من حافة الواد ، ثم قال تعالى : (في البقعة المباركة من الشجرة) أي أن النداء كان في البقعة المباركة من عند الشجرة ، كما تقول : سمعت كلام زيد من البيت ، فيكون من البيت لا ابتداء الغاية لا أن البيت هو المتكلم ، فلماذا تجاهلتم ما قبل هذه الآية وما بعدها .

كما أنه لو كان الكلام مخلوقا في الشجرة لكانت الشجرة هي القائلة : ﴿ أَن يَمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ ﴾ [الحجر: ٣٠] ، وهل قال إني أنا الله رب العالمين غير الله تعالى ؟ وهل يعقل أن تكون الشجرة هي المتكلمة بهذا الكلام ؟ فأي غباء وأي سخف هذا ؟^(٢) .

الدليل السابع :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ﴾ [الحاقة: ٤٠ والكهف: ١٩].

(١) العقيدة السلفية ص ٢٩٢-٢٩٣ .

(٢) شرح الطحاوية ص ١٨٠-١٨٣ .

حيث قالوا بأن هذه الآية تدل على أن الرسول هو الذي أحدث هذا القول من عنده، وهذا الرسول إما سيدنا جبريل عليه السلام أو سيدنا محمد ﷺ .

الرد عليهم :

من المعروف أن الرسول هو المبلغ عن مرسله ما أرسله به ، وليس هو من أنشأ الكلام من عنده، والله سبحانه وتعالى لم يقل إنه قول ملك أو نبي ، فعلم من ذلك أنه بلغه عن مرسله به ، لا أنه أنشأه من جهة نفسه .

وأيضاً فالرسول في إحدى الآيتين سيدنا جبريل عليه السلام وفي الأخرى سيدنا محمد ﷺ ، فإضافته إلى كل منهما تبين أن الإضافة للتبليغ ، إذ لو أحدثه أحدهما لامتنع أن يحدثه الآخر .

مما سبق يتضح لنا بطلان هذه الأدلة وأن الذين استدلوها بها إنما استدلوها بها في غير مواضعها التي وضعت لها وحرفوا كلام الله تعالى عن مواضعه بما يوافق مذهبهم الباطل^(١) .

النص :

تكلم الله رب العالمين به قولاً وأنزله وحياً به الرشد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن القرآن الكريم كلام الله تعالى حروفه ومعانيه وهو قول الله تعالى ليس قول غيره وأن الله تعالى أنزله وحياً على سيدنا محمد ﷺ . والذي نزل به هو سيدنا جبريل عليه السلام فكل من الرسول ﷺ وجبريل عليه السلام مبلغ عن ربه وليس أحدهما من أنشأ هذا الكلام من عنده بل هو كلام الله تعالى حروفه ومعانيه تكلم به تعالى وأنزله وحياً فيه الرشد والخير والفلاح لمن اتبعه .

والناظم رحمه الله يشير بذلك إلى مذهب أهل السنة والجماعة في كلام الله وهو أن كلامه تعالى مؤلف من حروف إن شاء جعلها عربية وإن شاء جعلها عبرانية وإن شاء جعلها غير ذلك فهو المتكلم بحروف التوراة والإنجيل وغيرها من كلامه ، وكلامه تعالى بصوت وهو كسائر صفاته فكما أنها لا تشبه صفات المخلوقين فصوته تعالى لا يشبه أصواتهم وقياس الخالق على المخلوق تشبيه والله تعالى ليس كمثله شيء في ذاته وجميع صفاته .

(١) شرح الطحاوية ص ١٨٣-١٨٥ ولوامع الأنوار البهية ص ١٣٧ .

وهو بذلك يرد على أهل البدع والأهواء ممن قالوا بخلاف ذلك إذ زعموا أن كلام الله يجب ألا يكون حروفا حتى لا يشبه كلام المخلوقين متجاهلين أن الاتفاق في أصل الحقيقة ليس بتشبيه، كما أن اتفاق البصر في أنه إدراك المبصرات ، والسمع في أنه إدراك المسموعات ، والعلم في أنه إدراك المعلومات ، ليس بتشبيه كذلك ، ويلزمهم إن نفوا هذه الصفة لكونه تشبيها أن ينفوا سائر الصفات من الوجود والحياة والعلم . . . الخ.

وزعموا أيضا أن الحروف تحتاج إلى مخارج وأدوات ، فالجواب عن ذلك أن احتياجها لذلك في حقا لا يوجب ذلك في كلام الله تعالى ، فضلا عن أن بعض المخلوقات لم تحتاج إلى مخارج في كلامها كالأيدي والأرجل والجلود التي تتكلم يوم القيامة فكيف بالله تعالى، وقولهم هذا هو عين التشبيه الذي يفرون منه^(١).

فكونه مؤلف من حروف ظاهر لا يحتاج إلى استدلال إذ أن كل أحد يعلم أن (قل هو الله أحد) مثلا آية وهي أربع كلمات كل كلمة مؤلفة من حرفين أو أكثر وهي كلمات عربية وحروف عربية ، وكذلك فكل من يقرأ (الم - المر - كهيعص . . . الخ لا يخطر بباله غير أنها حروف وليس لها تسمية إلا هذه).

ومع ذلك نجد بعض أهل البدع ينازع في إطلاق لفظ (الحرف) ويقول إن إطلاقه يحتاج إلى دليل وذلك نوع من المكابرة التي هي سمة أهل البدع، إضافة إلى أنه نوع من الجهل والغباء إذ أن ألفاظ القرآن الكريم مكونة من حروف ولا يخطر ببال أحد أن لها تسمية غير الحروف. والأدلة على ذلك كثيرة منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما جبريل قائم عند النبي ﷺ سمع نقيضا من فوقه فرفع صوته فقال: (هذا باب من السماء فتح اليوم ، فنزل منه ملك فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض له ينزل قط إلا اليوم فضل وقال : (أبهر بنورين أوتيتهما له يؤتتهما نبي قبلك . فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته)^(٢).

وأما كلامه تعالى بصوت فقد قامت الدلائل القواطع على إثباته منها :

(١) تكليمه تعالى موسى عليه السلام قال تعالى : ﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾ [١٢:٥] فدل هذا

(١) انظر لوامع الأنوار البهية ج ١ / ص ١٣٨-١٣٩ .

(٢) مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ص ٣١٥ ح ٨٠٦ .

على أنه سمع كلام الله ، ولا يسمع إلا الصوت والله تعالى قد خاطبنا باللسان العربي المبين الذي نفهمه وليس هناك سماع يحدث من غير صوت ، وكلام الله تعالى لموسى عليه السلام إنما هو كلام مسموع بالأذان ^(١).

(٢) إخباره تعالى عن ندائه لموسى عليه السلام ولعباده يوم القيامة، قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۖ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۚ ﴾ [الزمر: ١٥-١٦].
وقال تعالى : ﴿ وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيبًا ۚ ﴾ [مريم: ٥٢].
وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ۚ ﴾ [الهمم: ١٥].
وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَتَنْ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ۚ ﴾ [الهمم: ٦٢-٦٤].

قال شيخ الإسلام : (والنداء في لغة العرب : هو صوت رفيع ، ولا يطلق النداء على ما ليس بصوت لا حقيقة ولا مجازاً) .

فدل هذا على أنه تعالى نادى موسى عليه السلام بصوت يسمعه منه ، وينادي عباده يوم القيامة بصوت يسمعون منه .

النــــــــــــــــص :

تتلوه ونسمعه نراه نكتبه	خطا وحفظه بالقلب نعتقد
وكل أفعالنا مخلوقة وكذا	آلاتنا الرق والأقلام والمسدد
وليس مخلوقاً القرآن حيث تلى	أو خط فهو كلام الله مسترد

الشرح : في هذه الآيات يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن تلاوتنا للقرآن وسماعنا له من غيرنا ، وكتابنا له وحفظنا له كل ذلك يكون مع اعتقادنا التام بأنه كلام الله تعالى منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ، وكل الأفعال التي نقوم بها من حفظ وتلاوة وسماع وكتابة إنما هي مخلوقة ، وكذلك آلات الكتابة من الأقلام والأوراق والمداد فهي أيضاً مخلوقة لله تعالى ، أما القرآن الذي تتلوه ونسمعه ونكتبه بأفعالنا فليس بمخلوق لله تعالى بل هو كلام الله وكلام الله صفة من صفاته وكل صفاته تعالى أزلية وليس شيء منها مخلوق ، تعالى الله عن ذلك وتعالى أن يكون ذاته محلاً

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ج ٢ / ص ٩٣ .

للمحادثات فأعمال العباد مخلوقة والقرآن حيثما تصرف وأين كتب وحيث تلى فهو كلام الله تعالى منسزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ، فالصوت للقارئ لكن المتلو المؤدي بذلك الصوت هو قول الباري سبحانه وتعالى (١).

قال شيخ الإسلام : (فإن القرآن كلام الله تعالى تكلم به بلفظه ومعناه ، بصوت نفسه ، فإذا قرأه القراء قرعوه بصوت أنفسهم فإذا قال القارئ (الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم) كان هذا الكلام المسموع منه كلام الله لا كلام نفسه ، وكان هو قراءة بصوت نفسه لا بصوت الله فالكلام كلام الباري والصوت صوت القارئ) (٢).

وقال أيضاً : (فمن قال إن حروف المعجم كلها مخلوقة وأن كلام الله تعالى مخلوق فقد قال قولاً مخالفاً للمعقول الصحيح، والمنقول الصحيح، ومن قال نفس أصوات العباد أو مدادهم أو شيئاً من ذلك قدم فقد خالف أيضاً أقوال السلف وكان فساد قولهم ظاهراً لكل أحد وكان مبتدعاً قولاً لم يقله أحد من أئمة المسلمين ولا قاله طائفة كبيرة من طوائف المسلمين بل الأئمة الأربعة وجمهور أصحابهم يرون من ذلك ومن قال إن الحرف المعين أو الكلمة المعينة قديمة العين فقد ابتدع قولاً باطلاً في الشرع والعقل).

ومن قال إن جنس الحروف التي تكلم الله بها في القرآن وغيره ليست مخلوقة وأن الكلام العربي الذي تكلم به ليس مخلوقاً والحروف المنتظمة منه جزء منه ولازمة له وقد تكلم بها فلا تكون مخلوقة فقد أصاب (٣).

النــــــــــــــــص :

والواقفون فشر نخلة وكذا لفظية ساء ما راموا وما قصدوا

الشرح :

يشير الناظم -رحمه الله- إلى فرقتين من الفرق التي ضلت في مسألة القرآن الكريم وهما : الواقعة واللفظية .

فأما الواقعة فهم الذين يتوقفون في القرآن الكريم فلا يقولون إنه مخلوق أو غير مخلوق بل يقولون هو كلام الله ويتوقفون .

(١) انظر معارج القبول ج ١ / ص ٢٨٩ - ٢٩٠ ، وشرح الطحاوية ص ١٩٠-١٩٥ .

(٢) انظر الفتاوى ج ١٢ / ص ٥٣ .

(٣) انظر الفتاوى ج ١٢ / ص ٥٤-٥٥ .

ومن المعلوم أن السلف الصالح كانوا يقولون القرآن كلام الله وهم في غنى عن أن يقولوا إنه ليس مخلوق لعلمهم أن صفات الله تابعة لذاته غير مخلوقة ، ولكن لما ظهرت البدعة القائلة بخلق القرآن عقل أهل السنة خطرهما فردوها وابطلوها بقولهم القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، غير أن فرقة الواقعة تورعوا عن القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق خوفا من الوقوع في البدعة، وهو ورع مبني على جهل لأن هذه المسألة كانت حديثة على أذهانهم فوقعوا بذلك في البدعة التي فروا منها .
فلما وقع الناس في هذه البدعة وعظم خطرهما وجب إظهار الحق في هذه المسألة وهو ما فعله أئمة أهل السنة بقولهم : (القرآن كلام الله منزل غير مخلوق).

وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله^(١) : (هل لهم رخصة أن يقول الرجل: القرآن كلام الله تعالى ثم يسكت؟ فقال ولم يسكت؟ لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت، ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا لأي شيء لا يتكلمون؟).

قال الحافظ أبو بكر الآجري^(٢) : (معنى قول أحمد بن حنبل في هذا المعنى، يقول: لم يختلف أهل الإيمان أن القرآن كلام الله عز وجل فلما جاء جهم فأحدث الكفر بقوله : (إن القرآن مخلوق، لم يسع العلماء إلا الرد عليه بأن القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق بلا شك ولا توقف فيه ، فمن لم يقل غير مخلوق سمي واقفيا شاكا في دينه^(٣)).

وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله : (وقضى السلف الصالح رحمهم الله على الطائفة الواقعة وهم القائلون لا نقول القرآن مخلوق ولا غير مخلوق بأن من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي ومن لم يحسن الكلام منهم بل علم أنه كان جاهلا جهلا بسيطا فهو تقام عليه الحجة بالبيان والبرهان ، فإن تاب وآمن أنه كلام الله تعالى ، وإلا فهو شر من الجهمية^(٤)).

(١) الإمام أحمد بن حنبل : هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي ثم البغدادي، المولود ١٦٤هـ - المتوفي ٢٤١هـ، علم الأعلام وإمام أهل السنة، وصاحب المذهب الفقهي المعروف، وقف سدا منيعا في وجه المعتزلة أيام المهنة، وأبلى بلاء حسنا، حتى نصر الله السنة على يديه، من كتبه المسند والزهد، وفضائل الصحابة. أنظر تاريخ بغداد ج ٤ ص ١٢هـ - وتهذيب الكمال ج ١ ص ٤٣٧ وسير أعلام النبلاء ج ١١ ص ١٧٧.

(٢) الحافظ أبو بكر الآجري: هو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي المتوفي سنة ٣٦٠هـ فقيه ومحدث صاحب تصانيف، من كتبه الشريعة، وغرر النرد والشرائح وأخبار عمر بن عبد العزيز. أنظر تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤٣، والمتنظم لابن الجوزي ج ٧ ص ٥٥.

(٣) أنظر الشريعة للآجري ص (٨٧).

(٤) أنظر معارج القبول ج ١ / ص ٢٨٠.

وأما اللفظية فهم القائلون ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة ، وينقسمون إلى قسمين :

(١) لفظية نافية : وهم القائلون : (ألفاظنا بالقرآن مخلوقة) ويريدون بذلك أن القرآن العربي مخلوق وأن جبريل إنما نزل بقرآن مخلوق ، فعندهم أن القرآن الذي يتلوه الناس بألسنتهم وأصواتهم مخلوق ليس منزلاً من الله تعالى وليس هو الذي تكلم به .

ولا شك أن هذه العقيدة باطلة لأنها منافية لما تقرره النصوص الشرعية ، ولما أثبتته أهل السنة والجماعة في كلام الله تعالى ، والذي سبق وأن بيناه.

(٢) لفظية مثبتة : وهم القائلون : (ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة) ويريدون بهذا الإطلاق اللفظ الذي هو كلام الله المؤلف من الحروف العربية ويريدون به أيضاً الرد على اللفظية النافية القائلون: (ألفاظنا بالقرآن مخلوقة) .

ولكنهم حين أطلقوا هذه المقالة - مع صحة مرادهم - جاء من بعدهم أقوام وافقوهم في إطلاق اللفظ وأدخلوا في ذلك فعل العبد وحركته وصوته ، وبما أوقعهم في ذلك إطلاقهم القول بأن التلاوة هي المتلو ، والقرآن هو المقروء وقد بينا فساد هذا الإطلاق .
وقد منع الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إطلاق مثل هذا اللفظ : (ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة) لأمرين :

الأول : أنه لفظ مبتدع لم يتكلم فيه السلف .

الثاني : لما يجره من الوقوع في المحذور ، كما جر بعض من جاء بعد من أتباع هذه المقالة فمنهم من توقف: هل يدخل في اللفظ صوت العبد وحركته ؟ أم لا ؟ وتجراً آخرون وأدخلوا فعل العبد وحركته وصوته (١) .

وبهذا يتضح لنا بطلان مذهب كلا الفريقين .

وقول الناظم - رحمه الله تعالى : (ساء ما راموا وما قصدوا) يريد به إبطال قول كلا الطائفتين كما فعل أهل السنة والجماعة .

(١) انظر العقيدة السلفية ص ٢٤٨ .

المبحث السادس

باب الإيمان بالرسول عليهم السلام

النص :

والرسول حق بلا تفريق بينهموا وكلهم للصراط المستقيم هدوا

الشرح :

في هذا البيت وما بعده يشير الناظم -رحمه الله- إلى الركن الرابع من أركان الإيمان وهو الإيمان بالرسول عليهم السلام .

والراجح في تعريف الرسول والنبي هو ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب النبوات .

إن الرسول والنبي كلاهما أوحى إليهما وأمر بالتبليغ فإن كان المرسل إلى قوم كافرين فهو نبي ورسول مثل نوح ولوط وهود وصالح عليهم السلام .

وإن كان النبي مرسلًا إلى قوم مؤمنين فهو نبي مثل أنبياء بني إسرائيل حيث كانت شريعتهم كلها التوراة المنزلة إلى موسى عليه السلام^(١) فكل من النبي والرسول يوحى إليه لكن النبي قد يعث في قوم مؤمنين بشرائع سابقة كأنبيا بني إسرائيل، يأمرهم بشريعة التوراة، وقد يوحى إلى أحدهم وحي خاص في قضية معينة، وأما الرسل فإنهم يعثون في قوم كفار يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، فهم يرسلون إلى مخالفين فيكذبهم بعضهم.

معنى الإيمان بالرسول :

هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دونه .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّلَاطَ ﴾ [النمل: ٢٦]. وأن جميعهم صادقون بارون راشدون ، كرام برره، أتقياء أمناء ، هداة مهتدون، وبالإبراهيم الظاهرة والآيات الباهرة مؤيدون ، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به لم يكتبوا منه حرفا ولم يغيروه ولم يزيدوا فيه ، من عند أنفسهم حرفا ولم ينقصوه وأنهم كلهم كانوا على الحق المبين

(١) من كتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله . بتصرف ٢٨١ - ٢٨٤ .

والهدى المستبين^(١).

قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ ^(٢) ﴾ [الاحزاب: ٨٢].

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ^(٣) ﴾ [التور: ٥٤].

يجب علينا الإيمان بمن سمى الله في كتابه الكريم من رسله عليهم السلام والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلا سواهم لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله الذي أرسلهم .

قال تعالى : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ [النساء: ١٦٤].

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [الأنعام: ٧٨].

كما يجب علينا عدم التفريق بينهم ذلك أن الإيمان برسل الله عز وجل متلازم من كفر بواحد منهم فقد كفر بالله وبجميع الرسل عليهم السلام^(٤).

قال تعالى : ﴿ ءَامِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ^(٥) ﴾

[البقرة: ٢٨٥]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ يُرِيدُونَ أَنْ يَفْرِقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ يُرِيدُونَ أَنْ يُتَّخَذَ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ^(٦) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ^(٧) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ^(٨) ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٢].

فيجب علينا الإيمان برسل الله جميعا تفصيلا فيما فصل وإجمالا فيما أجمل.

(وللصراط المستقيم هداى).

أي أن هؤلاء الرسل هداة مهتدون فقد هداهم الله تعالى إلى صراطه المستقيم ووفقهم لاتباع الحق، فقد هداهم الله تعالى هداية التوفيق والتسديد والتشيت ، وهم بذلك مهتدون للحق.

(١) انظر شرح الطحاوي ج ٢ ص ٦٧٧ .

(٢) المرجع السابق ج ٢ / ص ٦٧٨ .

وهم هداة أي أنهم يهدون الناس هداية الدعوة والدلالة والإرشاد إلى سبيل الهدى كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٥٢] .

أما هداية التوفيق والتسديد والتثبيت فليست إلا بيد الله تعالى فهو مقلب القلوب ومصرف الأمور ليس للملك مقرب ولا نبي مرسل التصرف في شيء منها فضلاً عما دونهما .

قال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٧٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القمر: ٥٦] .

النص :

وبالخوارق والإعجاز أيدهم ربي علي الحق ما خانوا وما فندوا

المفردات : فندوا : كذبوا (١) .

الشرح :

يشير الناظم - رحمه الله - في هذا البيت إلى أن الله تعالى قد أيد رسله بالمعجزات الباهرة، الخارقة لعادات البشر والتي تدل على صدقهم فيما يخبرون الناس به ، وأنهم ليسوا خائنين ولا كاذبين .

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الحج: ٧٨] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (المعجزة تعم كل خارق للعادة في اللغة، وفي عرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره - ويسمونها الآيات- لكن كثير من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما ، فيجعل المعجزة للنبي والكرامة للولي، وجمعهما الأمر الخارق للعادة (٢) .

النص :

وفضل الله بعض المرسلين علي بعض بما شاء في الدنيا وما وعدوا

(١) انظر لسان العرب ج ٢ / ص ٣٣٩ .

(٢) انظر التناوي ج ١١ / ص ٣١١ .

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن الله تعالى قد فضل بعض النبيين على بعض، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [الإسراء: ٥٥]. وقال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [الأنعام: ١١٠].

والمراد بتفضيل بعضهم على بعض : (أن الله جعل لبعضهم من مزايا الكمال فوق ما جعله للآخر فكان الأكثر مزايا فاضلا والآخر مفضولا) (١).

فأفضل الأنبياء والرسل هم أولوا العزم وهم : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ﷺ . وقد ذكرهم الله تعالى في قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب: ٧].

وقوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [البقرة: ١٣].

وأفضل أولي العزم سيدنا محمد ﷺ والأدلة على ذلك كثيرة منها قول الرسول ﷺ : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مضجع) (٢).

وقوله ﷺ (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم) (٣).

ولا تعارض بين هذه الأدلة وبين قول الرسول ﷺ : (لا تفضلوني على موسى) (٤).

إذ أن المراد بهذا النهي النهي عن تفضيل رسول بعينه ، كان نقول: موسى أفضل من عيسى ، وكذلك إذا كان التفضيل على وجه الفخر أو الحمية أو العصبية ، وإذا كان على وجه الانتقاص بالمفضول والتقليل من شأنه (٥).

(١) انظر فتح القدير ج ١ / ص ٣٤٤ .

(٢) مسلم في الفضائل باب تفضيل سيدنا محمد على جميع الخلائق ص ٦٣٥ ح ٢٢٧٨ .

(٣) مسلم في الفضائل باب فضل نسب النبي ﷺ ص ٦٣٥ ح ٢٢٧٦ .

(٤) سبق تخريجه ص ١٠١ .

(٥) شرح الطحاوية ص ١٥٩ - ١٦٠ .

وقد أيد الله سبحانه وتعالى سيدنا محمدا ﷺ بالكثير من المعجزات التي تدل على صدق نبوته ، وكان أعظم هذه المعجزات القرآن الكريم الذي تحدى الله سبحانه وتعالى الكفار أن يأتوا ولو بآية واحدة من مثله فلم يستطيعوا .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٥٠ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ٥١ ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤] .

فقد تحدى الله سبحانه وتعالى الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، أو بعشر سور من مثله ، أو بسورة واحدة من مثله فما استطاع أحد منهم منذ بعث الله سيدنا محمد ﷺ إلى عصرنا هذا وإلى الأبد أن يأتي بكتاب مثله أو بمثل سورة منه على الرغم من وجود أعداء كثيرين للرسول ﷺ ولدين الإسلام في عصور التاريخ المختلفة لكنهم وقفوا عاجزين أمام هذه المعجزة الباهرة ، والخالدة على مر العصور .

النتيجة :

من ذاك أعطى لإبراهيم خلاته كذا لأحمد لم يشركهما أحد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى بعض الأمور التي فضل الله بها بعض الأنبياء على بعض ، ومن تلك الأمور أن الله قد خص سيدنا إبراهيم وسيدنا محمدا ﷺ بأعلى مراتب المحبة وهي الخلة فكلاهما خليل الرحمن ، كما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : (إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا لِحُمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) ^(١) .

وقال ﷺ : (لَوْ كُنْتُ مَخْطُوعًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُهُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، وَلَكِنَّهُ أَخِيٌّ وَصَاحِبِيٌّ ، وَقَدْ اتَّخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَاحِبَهُ خَلِيلًا) ^(٢) .

ومع ذلك الدليلين يبطل قول من قال الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد ﷺ ، فالحجة قد ثبتت لغير الرسول ﷺ كما قال تعالى : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ٥٢ ﴾ [آل عمران: ٧٦] .

(١) مسلم في المساجد باب النبي من بناء المساجد على القبور من ٢١٤ ح ٥٣٢ .

(٢) مسلم في الفضائل باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه من ٩٧١ ح ٢٣٨٣ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [الاحزاب: ٢٢]

بل إن الخلطة خاصة بهما والمحبة عامة (١).

النــــــــــــــــص :

وكلم الله موسى دون واسطة حقاً وخط له التوراة فاعتمدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى بعض الأمور التي خص الله بها سيدنا موسى عليه السلام على سائر الرسل، فيذكر من هذه الأمور تكليم الله تعالى له دون واسطة من وراء حجاب وذلك حينما كلمه الله تعالى في طور سيناء دون واسطة قال تعالى : ﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى الْآثَارِ مُهْدًى ﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِمُوسَى ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْأَمْلَسِ لَدَايَ ﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿ [١٠: ١-١٣].

وقال تعالى : ﴿ قَالَ بِمُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الاعراف: ١٤٤].

وقال تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [الاسراء: ١٦٤].

وقول الناظم رحمه الله (حقاً) يريد به الرد على من أنكر كلام الله تعالى وزعم أن الله خلق الكلام في غيره. كما سبق تفصيل ذلك في باب الإيمان بالكتب السماوية.

ثم يذكر الناظم -رحمه الله- أن من الأمور التي اختص بها سيدنا موسى عليه السلام أن الله تعالى أنزل عليه التوراة عند جبل الطور فيها المواعظ وتفصيل كل شيء وهي هدى ورحمة لمن آمن بها واتبعها .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الاحزاب: ٥٣].

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَفْلَكْنَا الْفُرُوقَ الْأُولَى بِصَافِرٍ لِلنَّاسِ وَهَدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الصافات: ١٢].

ومن معجزات سيدنا موسى عليه السلام أنه كان يدخل يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء،

ويلقي عصاه على الأرض فتحول إلى حية تأكل كل ما يصنعه السحرة، قال تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَمْشِي بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِلُ أُخْرَى ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةٌ أُخْرَى ﴿ [١٧: ٥-٢٢].

النص :

وكان عيسى بإذن الله يرى من علات سوء ويحيى الميت قد فقدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى بعض الأمور التي فضل الله بها سيدنا عيسى عليه السلام فيذكر منها أنه يشفي من بعض الأمراض ويحيى الموتى بإذن الله . قال تعالى : ﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخْبِئُ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَكْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

فهذه الآية تبين لنا بعض معجزات سيدنا عيسى عليه السلام والتي منها :

- (١) أنه يخلق من الطين كهية الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله .
- (٢) أنه يبرئ الأكمة وهو الذي يولد أعمى على أصح الأقوال^(١) والأبرص والبرص مرض يصيب الجلد فيغير لونه.
- (٣) أنه يحيى الموتى بإذن الله .
- (٤) أنه يخبر الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم .

وكل هذه المعجزات تكون بأمر الله تعالى الذي إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون.

قال ابن كثير رحمه الله : (قال كثير من العلماء بعث الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر، وتعظيم السحرة فبعثه الله بمعجزة

بهرت الأبصار وحيرت كل سحر فلما استيقنوا أنها من عند العزيز الجبار انقادوا للإسلام وصاروا من عباد الله الأبرار ، وأما عيسى عليه السلام فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فحاشاهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيدا من الذي شرع الشريعة فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمة والأبرص ، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد، وكذلك محمد ﷺ بعث في زمان الفصحاء والبلغاء وتجاريد الشعراء ، فأنابهم بكتاب من الله عز وجل فلو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو بعشر سـور مثله أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وما ذاك إلا أنه كلام الرب عز وجل لا يشبه كلام الخلق أبدا^(١).

النــــــــــــــــص :

والكل في دعوة التوحيد ما اختلفوا أما الفروع ففيها النسخ قد تجد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن الرسل جميعا قد اتفقوا في أصل دعوتهم وهو الدعوة إلى توحيد الله ، وعبادته وحده لا شريك له .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّلَاطَاتِ ﴾ [النحل: ٣٦] .

فالرسل جميعا إنما بعثهم الله لتحقيق أصل واحد وهو (توحيد الله تعالى بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ونفي ما يضاد ذلك أو ينافي كماله).

فما من رسول إلا وكانت هذه دعوته للناس .

وأما فروع الشرائع من الحلال والحرام والأوامر والنواهي فلها تختلف من رسول لآخر فإله تعالى ينسخ بعض الشرائع ببعض فيفرض على هؤلاء ما لا يفرض على هؤلاء ويخفف على هؤلاء ما

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٧٣ ، والبداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ٨٤ .

شدد على أولئك ويحرم على أمة ما يحل للأخرى وبالعكس ، لحكمة بالغة وغاية محمودة قضاهـا
الله عز وجل .

الـص :

إلا شـريعتنا الفـرا فليس لها من ناسخ ما رمى في أرضه أحمد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن شريعة سيدنا محمد ﷺ هي الشريعة الوحيدة
التي لم تنسخ بسواها من الشرائع ولن تنسخ أبدا ما بقي واستقر على الأرض جبل أحد (وهو
كناية عن بقاء هذه الشريعة إلى الأبد) ، ذلك أنها خاتمة الشرائع ، وأنها كاملة شاملة لكل ما
يصلح للبشر ويصلح حياتهم في كل زمان ومكان ، فهي خاتمة الرسالات ، وهي المشتملة على
كل خير في أمر الدنيا والآخرة إلى قيام الساعة .

الـص :

إذ كان أحمد ختم المرسلين فمن بعده رام وحيا كاذب فند

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن سيدنا محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين
وان كل من يدعي النبوة بعده فهو ضعيف العقل كاذب في قوله ورأيه .
قال تعالى : ﴿ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب: ٥٠] .

وقد أطلق الناظم -رحمه الله- على سيدنا محمد ﷺ اسماً من أسمائه وهو أحمد، حيث أن الرسول
ﷺ له أكثر من اسم كما ورد ذلك في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ
بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [الصف: ٦] في الصحيحين ، قال
رسول الله ﷺ : (إن لي اسماً، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي يمحو الله بهي الخضر ،
وأنا الماهر الذي يمهز الناس على قضيي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي) (١) .

(١) البحاري في الملقب باب ما جاء في أسماء الرسول ﷺ ج ٣ / ص ١٢٩٩ / ح ٣٣٣٩ ، ومسلم في الفضائل باب في أسمائه ﷺ
ص ٩٥٧ - ٩٥٨ ح ٢٣٥٤ .

فكان الناظم في هذا البيت يشير إلى هذا المعنى الذي يدل على أن للرسول ﷺ أكثر من اسم ، ويدل على أن الرسول ﷺ خاتم الأنبياء والرسل عليهم السلام فلا نبي بعده .
ومن الأدلة أيضاً على أن الرسول ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل عليهم السلام قوله ﷺ (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحصنه وأجملته إلا موضع لبنة من زاوية ، فأخذ الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا أضطه اللبنة ؟ فإنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)^(١).

وكل من يدعي النبوة بعده ﷺ فهو كاذب فيما يدعيه ومن الأدلة على ذلك قوله ﷺ : (وإنه سيخون من أمتي خطابون ثلاثون خلعهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي)^(٢).

النص :

وكان بعثته للخلق قاطبة وشرعه شامل لم يعده أحد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى عموم بعثة الرسول ﷺ للخلق جميعاً من الإنس والجن ، وشمولها لكل شئون الحياة ، فيقول إن بعثة الرسول ﷺ كانت عامة للخلق جميعاً من الإنس والجن والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا حَفَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبا: ٢٨].

وقال تعالى على لسان الجن : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الْإِرْشَادِ فَثَامَتْنَا بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝ ﴾ [الجن: ١-٢].

وقال ﷺ : (أعطيت خمساً : أعطيت خمساً له يعطى من أحد قبلي : نسوته بالرجم مميصة خمر ، وجعلته لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأما رجل من أمتي أدرجته الصلاة فيسكن وكان النبي يبعثه إلى قومه خاصة وبعثته إلى الناس كافة ، وأعطيت الشفاعة)^(٣).

(١) البحاري في المنقب باب خاتم النبيين ﷺ ج ٣ / ص ١٣٠٠ / ح ٣٣٤٢ ، ومسلم في الفضائل باب كونه ﷺ خاتم النبيين ص ٩٣٨-٩٣٩ ح ٢٢٨٦ .

(٢) أحمد ج ٥ / ص ٢٧٨ ، وأبو داود في أول كتاب الفتن والملاحم ح ٤٢٥٢ صححه أحمد شاكر أنظر شرح المسند ج ٨ ص ١٨٦ ح ٥٩٨٥ وصححه الألباني أنظر صحيح سنن أبي داود ج ٣ ص ٩ .

(٣) البحاري في باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) ج ١ ص ٦٨ ح ٤٢٧ .

وقول الناظم -رحمه الله- (وشرعه شامل لم يعده أحد):

يشير به إلى شمول شريعة سيدنا محمد ﷺ وكما لها ، ووفائها بحاجة البشرية في جميع شئون الحياة الدينية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية . . . الخ فلم تترك شأنًا من شؤون الحياة إلا وضحته وبيته للناس، بما يصلحهم ويصلح لهم في كل زمان ومكان ، فقد أكمل الله تعالى هذه الشريعة الدين وأتم بها الشرائع.

قال تعالى : ﴿ آتَيْنَاكَ أَكْمَلَتُ لَكَ دِينَكَ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكَ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [آل عمران: ٣].

ولما تتميز به هذه الشريعة من الشمول والكمال فإنه ليس لأحد تجاوزها أو الخروج عن أحكامها بحثًا عن الأفضل لأن الخير كل الخير في اتباعها ، فعلى جميع الخلق أن يؤمنوا بهذه الشريعة ويتبعوها، ومن تجاوزها وخرج عنها فهو كافر كما قال رسول الله ﷺ : (والطغي نفس معصية بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسل به إلا حان من أصحاب النار)^(١).

النص :

ولم يسغ أحدا عنها الخروج ولو كان النبيون أحياء لها قصدا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن هذه الشريعة الكاملة الشاملة ليس لأحد أن يخرج عن حدودها وأحكامها وحلالها وحرامها ، وأوامرها ونواهيها ، بل إن الأنبياء أنفسهم الذين أرسلهم الله تعالى بشرائع مماثلة لو كانوا أحياء لقصدوا هذه الشريعة وآمنوا بها واتبعوها، كما سيحدث ذلك في آخر الزمان عند نزول سيدنا عيسى عليه السلام فإنه سوف يتبع هذه الشريعة ، حيث ينزل حكما بشريعة الإسلام ولا يأتي بشريعة جديدة^(٢) إذ لم تترك هذه الشريعة شيئا جديداً يحتاج للبيان والإيضاح^(٣).

(١) مسلم في الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ص ٨٥ ح ١٥٣ .

(٢) سيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن أشراف الساعة .

(٣) أنظر : أصول الدين الإسلامي للشيخ محمد بن إبراهيم التويجري ص ٤٣-٤٥ ، والإيمان أركانه وحقيقته ونواقضه ص ٧١-٩٣ ، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ١٥٣-١١٩١ ، النبوات لابن تيمية ص ٢٨١-٢٨٤ معارج القبول ج ٢ / ص ٦٧٥ - ٦٨٠ .

المبحث السابع باب الإيمان باليوم الآخر

النص :

واليوم الآخر حُشِقَ لِمَ سَاعَتِهِ بِمُنْتَهَى عِلْمِهَا الرَّحْمَنُ مُفْرَدٌ

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى الركن الخامس من أركان الإيمان وهو الإيمان باليوم الآخر، فيذكر أن هذا اليوم هو حق وهو واقع لا محالة، وأن الناس يعيشون في ذلك اليوم بين يدي الله تعالى لملاقاة حسابهم. قال تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَلَاتِكُمْ يَا آدَمُ الْأَذَى كَأَلَدَى يُنْفِقُ مَا لَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَقْرَانٍ عَلَيْهِ ثَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَخَهُمَا صِلْدًا لَّهُ يَفْتَدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢١٨﴾﴾ [٢١٨: البقرة].

ثم يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن موعد هذا اليوم وساعته من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله . قال تعالى : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴿٥٩﴾﴾ [٥٩: المائدة]. وقال تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ نَقُلْتُ فِي السَّمَواتِ وَالْأَرْضِ لَا نَأْتِيكُم بِالسَّاعَةِ يُسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيفٌ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَشْكُرَ النَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [٦٠: المائدة].

وقال تعالى : ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦١﴾﴾ [٦١: المائدة].

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلا من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله متى الساعة قائمة؟ قال (ويلك وما المحدث لما؟) قال ما المحدث لما إلا أنبيي أحبب الله ورسوله، قال إنك مع من أحببته، فقلنا ومن خطبك؟ قال نعم فنخرجنا يومئذ فربما خديدا فمر بلاء للمغيرة وكمان من أهراقبي، فقال إن آخر هذا فلن يدركه المزمع حتى تقوم الساعة^(١).

مما سبق يتضح لنا أن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان وأن ذلك اليوم وساعته من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله تعالى .

(١) البخاري في الأدب باب ما جاء في قول الرجل ويلك ، ج ٥ / ص ٢٢٨٢ / ح ٥٨١٥ .

(٢) ومعنى لن يدركه المزمع حتى تقوم الساعة : المراد به ساعة ألك القوم الذين كانوا موجودين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت، أو المراد به تقرب وقت قيام الساعة، لا تحديد وقتها لأن ذلك لا يعلمه إلا الله. أنظر فتح الباري

النفس :

والموت حق ومن جاءت منيته بأي حتف فبالمقدور مفقود
ما إن له عنه من مستأخر أبدا كلا ولا عنه من مستقدم يبعد
كل إلى أجل يجري على قدر ما لا مري عن قضاء الله ملتحدا

حتف : الحتف الموت (١)

ملتحد : الملتحد الملحق ، لأن اللاجئ يميل إليه (٢)

الشرح :

في هذه الأبيات يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن من الأمور الداخلية في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالموت الذي هو مصير كل إنسان، وهو أول منازل الانتقال إلى الآخرة، فالموت حق وهو محتتم على كل من كان في الدنيا ، من أهل السماوات والأرض من الأنس والجن والملائكة وغيرهم من المخلوقات.

وقال تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٢٨].

وقال تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۖ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

فالموت حق وهو مصير كل حي، ومن جاء وقت وفاته أو ساعة موته بأي حتف أي بأي شكل من أشكال الموت سواء مات على فراشه أو مجاهدا في سبيل الله ، أو غرقا، أو حرقا، أو بأي شكل من الأشكال فإنه يموت بأجله وتنتهي حياته ، ويفقده الناس بهذا القدر المقدور الذي قدره الله سبحانه وتعالى ، وفي نفس الوقت الذي حدده الله تعالى لوفاته ، لا يتأخر عنه لحظة ولا يتقدم عنه لحظة، قال تعالى : ﴿ أَهِنَّا نَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨].

قال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤].

وقال تعالى : ﴿ وَلَنُؤَخِّرَنَّهُ أَفْجَاءً نَّفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الشعراء: ١١].

(١) انظر لسان العرب ج ٩ / ص ٣٨ .

(٢) المرجع السابق ج ٣ / ص ٣٨٩ والقاموس المحيط ج ١ / ص ٣٣٥ .

فهذا المصير وهذا الأجل المحترم واقع لا محالة وهو قضاء وقدر من الله تعالى ليس لمخلوق أن يفسر منه، وهو واقع لا محالة وليس لأحد ملجأ منه .

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يَرُدُّ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يَرُدُّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا ﴾ [المراد: ١٤٥] .

عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قالته أم حبيبة رضي الله عنها، اللهم أمتعني بزوجه رسول الله ﷺ ، وبأخي أبي سفيان ، وبأخي معاوية، فقال لما رسول الله ﷺ (قد سألت الله لأجل محروبة، وأيام معدودة . وأرزاق مقسومة، لن يجعل شيئاً قبل حله أو يؤخر شيئاً من حله ولو كنت سألت الله أن يعطيك من عطائه في النار أو عطائه في القبر كان خيراً لك) ^(١) .

النقص :

وفتنة القبر حق والمذاب به لكافر ونعيم للأولى سعدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى أن فتنة القبر وعذابه ونعيمه حق، وأنهما من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله والتي يجب علينا الإيمان بها .

قال الإمام الطحاوي : ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين وبعذاب القبر لمن كان له أهلا، وعن سؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ، ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النيران ^(٢) فالقبر حق ، وفتنة القبر وعذابه واقع لا محالة ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى لذلك في كتابه الكريم ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ [النحل: ٩٣] .

(١) مسلم في القدر باب بيان أن الأقدار والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر ، من ١٠٦٨ / ح ٢٦٦٣ .

(٢) انظر شرح الطحاوية ص ٥٧٢ .

قال: {والملائكة باسطوا أيديهم} أي إليهم بالضرب والنكال حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم (أخرجوا أنفسكم)^(١).

ذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والسلاسل والأغلال والجحيم والحميم وغضب الرحمن الرحيم، فتفرق روحه في جسده وتعصى وتأبى الخروج، فتضرمهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين {أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق} . ووجه الدلالة من هذه الآية ، أنه إذا كان يفعل به هذا وهو محتضر بين ظهراني أهله كبيرهم وصغيرهم وذكرهم وأنثاهم وهم لا يرون شيئاً من ذلك ولا يسمعون شيئاً من ذلك التقرير والتوبيخ ولا يدرون بشيء من ذلك الضرب، غير أنهم يرون مجرد احتضاره وسياق نفسه ، لا يعلمون بشيء مما يقاسي من الشدائد فلأن يفعل به في قبره ذلك وأعظم منه ولا يعلمه من كشف عنه أولى وأظهر لأنهم لم يطلعوا على ما يناله بين أظهرهم فكيف وقد انتقل إلى عالم غير عالمهم ودار غير دارهم^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۖ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۗ﴾ [٤٦: ٤٥-٤٦] .

فهذه الآية واضحة في ثبوت عذاب القبر فإن الحق تبارك وتعالى قد قرر أن آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا وهذا قبل يوم القيامة لأنه قال بعد ذلك ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب.

قال القرطبي^(٣): (الجمهور على أن هذا العرض في البرزخ وهو حجة في تثبيت عذاب القبر)^(٤)

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ٧ ص ٤١-٤٢.

(٢) انظر معارج القبول ج ٢ / ص ٧١٨.

(٣) القرطبي: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري المالكي الأندلسي، المتوفى سنة ٦٧١ هـ، فقيه مفسر، رحل إلى مصر ومات بها، من كتبه الجامع لأحكام القرآن، والوجيز في فضائل الكتاب العزيز، والتذكار في أفضل الأذكار، انظر الديباج للنهـب لأبن فرحون ص ٣١٧، وشدرات الذهب ج ٥ ص ٣٣٥.

(٤) انظر تفسير القرطبي ج ١٥ / ص ٢٠٨.

ومن الإرشادات القرآنية الواضحة الدالة على فتنه القبر وعذابه قوله تعالى :

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [البقرة: ١٢٧] .

أما نصوص السنة في إثبات عذاب القبر فقد بلغت مبلغ التواتر إذ رواها أئمة السنة وحملوا الحديث ونقاده (وأهل الجرح والتعديل) عن الجهم الغفيري والجمع الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ ففي الحديث الذي يرويه البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال (إِذَا أَمْعَدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أَتَى ثَمَّ مُحَمَّدٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (يُثَبِّتُ اللَّهُ الطَّيِّبِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ) ^(١).

ومن ذلك الحديث الذي يرويه أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (العبد إذا وضع في قبره وتولى وأصحابه أحبابه، حتى أنه ليرى نيراناً من نار جهنم، فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ ؟ فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له انظر إلى مقعدك من النار أبعدك الله به مقعداً من الجنة ، قال النبي ﷺ فيراهما جميعاً، وأما المنافق والكافر فيقول لا أحري ، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال لا حريته ولا قلوبته، ثم يضرب بمطرقة من حديد بين أذنيه فيصبح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين) ^(٢).

النــــــــــــــــص :

وللقيامه آيات إذا وجبت فليس من توبة تجدي وتلتحد

المفردات : وجبت : وجب الشيء يجب وجوباً إذا ثبت ولزم . والمراد إذا ثبت ولزم وقوع القيامه ^(٣).

(١) البخاري في الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر، ج ١ / ٤٦١ / ح ١٣٠٣ .

(٢) البخاري في الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر ج ١ / ٤٦٢ / ح ١٣٠٨ .

(٣) لسان العرب ج ١ ص ٧٩٣ والقاموس المحيط ج ١ ص ١٦٣ .

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن قيام الساعة تسبقه علامات تدل على قرب وقوعه، وأنه إذا ثبت ولزم قيام الساعة فإن التوبة عند ذلك لا تجدي ولا تنفع، ولا تعصم صاحبها من العذاب ، لأنها تكون قد تأخرت عن وقتها ، وجاءت بعد فوات الأوان ، عند ذلك يندم الإنسان ولا ينفعه الندم .

هذا وقد أشار الرسول ﷺ إلى أشراط الساعة في كثير من الأحاديث ، ومن تلك الأحاديث: ما رواه الإمام مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: (أطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتخاخر فقال: ما تتخاخرون؟ قالوا نذكر الساعة . قال إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والحابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، وبأجوج وماجوج، وثلاثة خسوف: خسوف بالمشرق، وخسوف بالمغرب، وخسوف بجزيرة العرب . وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم) ^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (بادروا بالأعمال ستا : طلوع الشمس من مغربها ، أو الدخان ، أو الدجال ، أو الدابة ، أو خاصة أحدكم أو أمر العامة) ^(٢).
النــــــــــــــــص :

من ذاك أن تستبين الشمس طالعة من حيث مغربها واخلف قد شهدوا

المفردات : تستبين:استبان الشيء أي ظهر ووضح ^(٣)

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن من تلك العلامات التي تسبق قيام الساعة: طلوع الشمس من مغربها ، حيث تظهر الشمس واضحة جلية من المغرب ويراهها الناس جميعا . وهذا هو الزمن الذي لا تقبل فيه التوبة ولا ينفع الكافر الإيمان . فطلوع الشمس من مغربها من علامات الساعة الكبرى وهو ثابت بالكتاب والسنة .

(١) مسلم في الفتن باب الآيات التي تكون قبل الساعة ، ص ١١٦٣ ح ٢٩٠١

(٢) مسلم في الفتن باب بقية من أحاديث الدجال ص ١١٨٤ ح ٢٩٤٧ .

(٣) انظر لسان العرب ج ١٣ / ص ٦٧ ، والقاموس المحيط ج ٤ / ص ٢٠٤ .

قال تعالى : ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [١٥٨:م].

قال الطبري بعد ذكره لأقوال المفسرين في هذه الآية : والأولى بالصواب ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال : ذلك حين تطلع الشمس من مغربها (١). وقال الشوكاني : فإذا ثبت رفع هذا التفسير النبوي من وجه صحيح لا قاذح فيه فهو واجب التقدم بحتم الأخذ به (٢).

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (لا تقوّم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت طلعت الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو حسبت في إيمانها خيرا) (٣).

وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس أتدري أين تذهب؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال : فإذا تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [٣٨:م] (٤).

فإذا طلعت الشمس من مغربها فإنه لا يقبل الإيمان ممن لم يكن قد آمن من قبل، كما لا تقبل توبة العاصي وذلك لأن طلوع الشمس من مغربها آية عظيمة يراها كل من كان في ذلك الزمان فتكشف لهم الحقائق ويشاهدون من الأحوال ما يلوي أعناقهم إلى الإقرار والتصديق بالله وآياته وحكمه في ذلك حكم من عاين بأس الله كما قال الله تعالى : ﴿قَلَّمَ بِكَ نَفْعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسًا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [٨٥:م].

(١) انظر تفسير الطبري ج ٥ / ص ٤١٠ .

(٢) انظر فتح القدير ج ٢ / ص ١٨٨ .

(٣) البعاري في الرقاق باب طلوع الشمس من مغربها ج ٥ ص ٢٣٨٦ / ح ٦١٤١ ، ومسلم في الإيمان باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ص ٨٦ ح ١٥٧ .

(٤) البعاري في بدء الخلق باب صفة الشمس والقمر ص ٨٧ ح ١٥٩ ، ومسلم في الإيمان باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ، ج ٢ / ص ٥٥٤ / ح ٢٥٠ .

قال القرطبي :

قال العلماء (وإنما لا ينفع نفساً إيمانها عند طلوع الشمس من مغربها لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تحمد معه كل شهوة، من شهوات النفس، وتفتر كل قوى من قوى البدن فيصير الناس كلهم - لإيقانهم بدنو القيامة - في حال من حضره الموت في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم وبطلانها من أبدانهم فمن تاب في مثل هذه الحال لم تقبل توبته كما لا تقبل توبة من حضره الموت^(١)).

وقال ﷺ : إن الله يسقط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويسقط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها^(٢).

فجعل رسول الله ﷺ غاية قبول التوبة هو طلوع الشمس من مغربها. فإذا طلعت الشمس من مغربها انقطع قبول التوبة إلى قيام الساعة .

وقال ابن كثير^(٣) (إذا أنشأ الكافر إيماناً يومئذ لا يقبل منه، فأما من كان مؤمناً قبل ذلك ، فإن كان مصلحاً في عمله فهو بخير عظيم ، وإن لم يكن مصلحاً فأحدث توبة حينئذ لم تقبل منه توبة^(٤)).

وقال الحافظ ابن حجر^(٥) : (إذا طلعت الشمس من المغرب أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد ذلك، وإن ذلك لا يختص بيوم الطلوع، بل يمتد إلى يوم القيامة ، وأن طلوع الشمس من مغربها أول

(١) انظر التذكرة ج ٢ / ص ٤٤٤ ، وتفسير القرطبي ج ٧ / ص ١٤٦ .

(٢) مسلم في التوبة باب قبول التوبة عن الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة ، ص ١١٠٤ ح ٢٧٥٩ .

(٣) الإمام ابن كثير : هو عماد الدين أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، القرشي، البصري، ثم الدمشقي، فقيه ومحدث ومفسر ومؤرخ، لازم شيخ الإسلام ابن تيمية وسمع منه، من كتبه تفسير القرآن العظيم، وجامع المسانيد والسنن، والبداهة والنهاية، أنظر: الدرر الكامنة لابن حجر ج ٣ ص ٣٧٣. والبدر الطالع للشوكاني ج ١ ص ١٥٣، وشذرات الذهب ج ٦ ص ٢٣١.

(٤) ابن كثير ج ٢ / ص ٢٠٣.

(٥) الحافظ ابن حجر : هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي، بن محمود بن أحمد، الكتاني العسقلاني، ثم المصري الشافعي (٧٧٣-٨٥٢هـ) أمير المؤمنين في الحديث في زمانه، من كتبه فتح الباري شرح صحيح البخاري، وتذهيب التهذيب وتقريب التهذيب، أنظر: طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٥٢.

الإنذار بقيام الساعة^(١).

وأما قول رسول الله ﷺ (إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما كانت صاحبتهما فالثانية على إثرها قريباً)^(٢).

فإنه يدل على أن طلوع الشمس من مغربها يكون قبل خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وخروج بأجوج ومأجوج، إلا أن العلماء قد جمعوا بين هذه النصوص وبينوا أن طلوع الشمس من مغربها يكون أول العلامات الدالة على تغير العالم العلوي أما خروج الدجال فهو أول العلامات الدالة على تغير العالم السفلي وكذلك فإن طلوع الشمس من مغربها أول العلامات الغير مألوفة أما خروج الدجال فأمر مألوف والغير مألوف هو ما يأتي به من خوارق العادات.

ولذلك قال الحافظ بن حجر رحمه الله (يترجح من مجموعة الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة لتغير أحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة لتغير أحوال العالم العلوي وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب)^(٣).

النــــــــــــــــص :

كذلك دابة الأرض تكلمهم جهرا وتفرق بالتميز من تجمد

المفردات : تكلمهم : الكلم : الجرح^(٤).

تفرق : الفرق : تفرق ما بين الشيئين حين يتفرقان وهو الفصل بين الشيئين^(٥).

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى علامة أخرى من علامات الساعة الكبرى وهي خروج الدابة فيقول إن من علامات الساعة الكبرى خروج دابة الأرض على صورة مخالفة لما ألفه

(١) انظر فتح الباري ج ١١ / ص ٣٥٥ .

(٢) مسلم في الفتن باب في خروج الدجال ومكته في الأرض / ص ١١٨٠-١١٨١ ح ٢٩٤١ .

(٣) فتح الباري ج ١١ / ص ٣٥٣ .

(٤) انظر لسان العرب ج ١٢ / ص ٥٢٤ ٥٢٥ .

(٥) انظر لسان العرب ج ١٠ / ص ٣٠١ ، والقاموس المحيط ج ٣ / ص ٢٧٤ .

البشر من الدواب، إذ تخاطب هذه الدابة الناس وتكلمهم ، وتميز بين الكافر والمؤمن ، تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة بتميز الكافر من المؤمن .

وعروج هذه الآية العظيمة كغيرها من الآيات ثابت بالكتاب والسنة .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الزل: ٨٢] .

وهذه الآية الكريمة جاء فيها ذكر خروج الدابة ، وإن ذلك يكون عند فساد الناس ، وتركهم أوامر الله ، وتبديلهم الكلام الحق ، فيخرج الله لهم دابة من الأرض وتكلمهم على ذلك^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (لأن الله إذا خرج من لا ينفذ نفسه إيمانها له تحصن أمته من قبل أو تحصنت في إيمانها خيراً، طلوع الشمس من مغربها ، والدجال وحابة الأرض)^(٢).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد ، سمعت رسول الله ﷺ يقول (إن أول آياته خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الطامة على الناس جميعاً، وأيضاً حادثة قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريباً)^(٣).

فالدابة تخرج على الناس ضحى في وقت طلوع الشمس من مغربها. وخروج الدابة ضحى وأيهما كانت قبل صاحبها فالأخرى على إثرها قريباً. وهي من العلامات الكبرى التي لا تجدي التوبة بعدها وعمل هذه الدابة عند خروجها أنه تسم الكافر والمؤمن ، فأما المؤمن فإنها تجلو وجهه حتى يشرق ويكون ذلك علامة إيمانه.

وأما الكافر فإنها تخطمه على أنفه علامة على كفره والعياذ بالله وهو معنى قول الناظم-رحمه الله- تكلمهم أي تسمهم بتلك العلامة التي يفرق بها بين المؤمن والكافر . وقد جاء في الآية الكريمة قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الزل: ٨٢]. وقد اختلفت أقوال المفسرين في معنى التكليم الوارد في هذه الآية ، فمنهم

(١) ابن كثير ج ٣ / ص ٣٨٦ .

(٢) مسلم في الإيمان باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ص/ ٨٧ ح ١٥٨ .

(٣) سبق ترجمته ص ١٧٧ .

من قال :

١- إن المراد تكلمهم كلاماً أي مخاطبتهم مخاطبة ، ويدل على هذا قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه "تنبهم" .

٢- أن المراد تجرحهم ، ويؤيد هذا قراءة "تكلمهم" بفتح التاء وسكون الكاف من الكلم وهو الجرح ، وهذه القراءة مروية عن ابن عباس رضي الله عنه أي تسمهم وسمّاً^(١) .

وهذا القول يشهد له حديث أبي إمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (تخرج الدابة فتصم^(٢) الناس على خراطيمهم^(٣) ثم يصمرون فيكم حتى يخترق الرجل الدابة فيقال ممن اختبرته فيقول اختبرته من أحد المخطئين^(٤))^(٥) .

الأقوال في ماهية الدابة : قد اختلفت الآراء في ماهية الدابة اختلافاً بينا ، وحاول أصحاب الأهواء تأويل النصوص بما يوافق معتقدهم وأهوائهم ، ف قيل بأنها الثعبان الذي كان في بئر الكعبة ، وقيل بأنها الجاسة الموجودة في بحر القلزم ، وقيل بأنها فصيلة ناقة صالح ، وقيل بأنها الجراثيم وغير ذلك . والذي يجب الإيمان به أن الله تعالى سيخرج للناس في آخر الزمان دابة من الأرض تكلمهم فيكون تكليمها لهم آية لهم دالة على أنهم مستحقون للعيد بتكذيبهم بآيات الله ، فإذا خرجت الدابة فهم الناس وعلموا أنها الخارقة المنبئة باقتراب الساعة ، وقد كانوا قبل ذلك لا يؤمنون بآيات الله ولا يصدقون باليوم الموعود^(٦) .

(١) انظر تفسير القرطبي ج ١ / ص ٢٢٧ ، وابن كثير ج ٣ / ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، وفتح الباري ج ٤ / ص ١٥٢ .

(٢) تسم : تعلم بعلامة ما .

(٣) خراطيمهم : أنوفهم والخراطيم هو الأنف ، أنظر لسان العرب ج ١٢ ص ١٧٣ .

(٤) المعظم : المعلم أنه المرجع السابق ج ١٢ ص ١٨٧ .

(٥) مسند أحمد ج ٥ ص ٢٦٨ . صحيحه الألباني أنظر السلسلة الصحيحة ج ١ ص ٥٧٦ ح ٣٢٢ .

(٦) أنظر اشراط الساعة ص ٤٠٧-٤١٣ .

قال أحمد شاكر رحمه الله^(١) .

(والآية صريحة بالقول العربي أنها "دابة" ومعنى الدابة في لغة العرب معروف واضح، لا يحتاج إلى تأويل ، ووردت أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها بخروج هذه الدابة وأنها تخرج في آخر الزمان، ووردت آثار أخرى في صفتها لم تنسب لرسول الله ﷺ المبلغ عن ربه والمبين آيات كتابه، فلا علينا أن ندعه .

ولكن بعض أهل عصرنا من المنتسبين للإسلام الذين فشا فيهم المنكر من القول، والباطل من الرأي الذين لا يريدون أن يؤمنوا بالغيب ويريدون أن يقفوا عند حدود المادة التي رسمها لهم معلموهم وقدوهم ملحدوا أوروبا الوثنيون الإباحيون ، المتحللون من كل خلق ودين هؤلاء لا يستطيعون أن يؤمنوا بما تؤمن به ، ولا يستطيعون أن ينكروا إنكاراً صريحاً فيجمعون^(٢) ويماورون ويداورون ثم يتأولون فيخرجون بالكلام عن معناه الوضعي الصحيح للألفاظ في لغة العرب ، يجعلونه أشبه بالرموز لما قر في أنفسهم من الإنكار الذي يطنونه^(٣) .

النص :

نزول عيسى لدجال فيقاته وفتح سد عباد ما لهم عدد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى ثلاث علامات من علامات الساعة الكبرى وهي :

(١) نزول سيدنا عيسى عليه السلام

(٢) خروج الدجال .

(٣) خروج ياجوج وماجوج .

وبما أن سيدنا عيسى عليه السلام ينزل لقتل المسيح الدجال لذلك سوف أبدأ بالحديث عن فتنة المسيح الدجال .

^(١) أحمد شاكر: هو أحمد محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر المصري، المولود (١٣٠٩ - ١٣٧٧هـ) من علماء الحديث والتفسير في العصر الحديث، ألف وحقق كثيراً من كتب التراث، منها مسند الإمام أحمد، ولم يتمه، ورسالة الإمام الشافعي، أنظر الأعلام ج ١ ص ٢٥٣ .

^(٢) الجمجمة هو أن لا يبين كلامه انظر ترتيب القاموس المحيط ج ١ / ص ٥٣٣ .

^(٣) انظر شرح أحمد شاكر لمسند الإمام أحمد بن حنبل ج ١٥ / ص ٨٢ .

١- فتنة المسيح الدجال :

الدجال من الدجل وهو الكذب ، والدجال الكذاب الموه ، والدجال هو المسيح الكذاب ودجله هو سحره وكذبه ^(١).

إن فتنة المسيح الدجال آية كبرى من آيات الساعة الكبرى ، المؤذنة بقيامها ، وهي تختلف عن باقي الآيات الأخرى إذ أن جميع الآيات تدعو إلى الإيمان بالله تعالى ، أما فتنة الدجال فإنما الآية الوحيدة التي تدعو للكفر بالله تعالى ذلك أن فتنة المسيح الدجال هي إدعاؤه للربوبية والألوهية مع ما يجريه الله تعالى على يديه من خوارق العادات التي لا يقدر عليها إلا الله فتنة وامتحان للناس فهل من فتنة أعظم من هذه الفتنة .

روى مسلم عن حميد بن هلال عن رهط منهم أبو الدهماء وأبو قتادة قالوا : (كنا نمر على هشام بن عامر نأتي عمران بن حصين فقال ذات يوم إنكم لتجاوزون إلى رجال ما كانوا بأحضر لرسول الله مني ، سمعت رسول الله ﷺ يقول (ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق الخبيث من الدجال) ^(٢) .

ومن تلك الخوارق التي يجريها الله على يديه :

١- أنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبث .

فمن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : (حضر رسول الله ﷺ الدجال طائفة نخدة وفيه قال رسول الله ﷺ (فيأتي على قوم - أي الدجال - فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبث ... الحديث) ^(٣) .

٢- إنه يجيء معه مثل الجنة والنار

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ما أحدث به نبي قومه ، إنه أعمور ، وإنه يجيء بمثال الجنة والنار ، فالتي يقول إنما الجنة هي النار وإنني أنظركم به كما أنظر به نوع قومه) ^(٤) .

(١) انظر لسان العرب ج ١١ / ص ٢٣٦ .

(٢) مسلم في الفتن وأشراف الساعة ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ص ١١٨٤ ح ٢٩٤٦ .

(٣) مسلم في الفتن باب ذكر الدجال ج ١٨ / ص ٢٧٧ ح ٢٩٣٧ مع الشرح .

(٤) البخاري في الأنبياء باب قول الله عز وجل (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه) ج ٣ / ص ١٢١٥ ح ٣١٦٠ . ومسلم في

أشراف الساعة باب ذكر الدجال وصفته وما معه / ص ١١٧٧ ح ٢٩٣٦ .

٣- سرعة انتقاله في الأرض :

ففي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه الطويل قال قتلنا يا رسول الله وما إسرائيل في الأرض ؟ قال : حالغيث استعبرته الريح^(١).

٤- قتله للشباب المؤمن ثم إحياءه :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله ﷺ حديثاً طويلاً عن الدجال فكان مما حدثنا به أنه قال يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينتهي إلى بعض السباخ التي بالمدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس - أو من خير الناس - فيقول أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنه رسول الله ﷺ حديثه فيقول الدجال أرايتم إن قتلت هذا ثم أحيتته هل تشكون في الأمر فيقولون لا فيقتله ثم يحيه فيقول له حين يحيه والله ما كنت قط أشد بصيرة مني اليوم ف يريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه^(٢).

هذه هي فنة المسيح الدجال التي يفتن بها الناس عند خروجه، وما تلك الخوارق التي يظهرها الله تعالى بقدرته وإرادته على يد الدجال إلا قضاء وقدرًا من عند الله تعالى، ولو شاء الله لما قدرها ولما وقعت ، ولما خلق الدجال أصلاً، إلا أن وقوعها دليل على قضاء الله وقدره لا محالة وفق قدرته وإرادته، وفي حديث الدجال رد على القدرية الذين يقولون لا قدر ، ذلك أن الله قدر منذ الأزل خروج الدجال وفتنة الناس به فهو واقع لا محالة .

(١) مسلم كتاب الفتن باب ذكر الدجال وصفته وما معه من ١١٧٧ ح ٢٩٣٧ .

(٢) البخاري في الفتن باب لا يدخل الدجال المدينة ج ٦ / ص ٢٦٠٨ / ح ٦٧١٣ ، ومسلم في الفتن وأشراف الساعة باب

صفة الدجال وتحریم المدينة وقلته للمؤمن وإحياءه من ١١٧٨ ح ٢٩٣٨ .

كذبه في دعوى الألوهية :

المسيح الدجال يدعي الألوهية يوهم الناس أنه هو الإله الحق، وذلك بما يجريه الله تعالى على يديه من الخوارق التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى، إلا أن صفات الدجال تدل على كذبه في هذا الإدعاء، ذلك أن الإله الحق يتصف بكل كمال ويتنزه عن كل نقص وعيب، أما المسيح الدجال ففيه من صفات النقص والعيب ما ينافي كمال الألوهية التي يدعيها، ومن تلك الصفات :

(١) أنه أعور :

والله تعالى ليس بأعور ، قال رسول الله ﷺ (إن الله ليس بأعور ، إلا إن المصيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طائفة) ^(١) . فالعور صفة نقص يتنزه عنه الله تعالى ، بل إنما صفة نقص في المخلوق فكيف بالخالق جل وعلا فلو كان المسيح الدجال صادقا في دعوى الألوهية لاستطاع أن يزيل ذلك النقص والعيب الموجود في عينه

(٢) أنه مكتوب بين عينيه كافر ، وهذه العلامة يراها المؤمنون دون غيرهم ممن طمس الله على بصائرهم.

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ (ما من نبي إلا وقد أنظر أمته الأمور الضالكة إلا إنه أعور وإن ربكم عز وجل ليس بأعور. مكتوب بين عينيه ك . ف . د .)

في رواية أخرى قال (الدجال مصعق العين مكتوب بين عينيه حاضر ثم تمسحها له . ا . ف . د . يقرؤه حل مسلم) ^(٢) . فلو كان صادقا في دعواه لما كتبت هذه العبارة أصلا بين عينيه إلا أن الله جعلها علامة بينة وواضحة لأهل الإيمان تدل على كذبه وبطلان دعوته. والصحيح الذي عليه المحققون كما يذكر ذلك الإمام النووي رحمه الله أن هذه الكتابة على ظاهرها وأما كتابة حقيقة جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله ، ويظهره الله لكل مسلم كاتب وغير كاتب ويخفيه عن أراد شقاوته وفتنته) ^(٣) .

(١) أخرجه البخاري ص ٦٦٣ ح ٣٤٣٨ .

(٢) البخاري في الفن باب ذكر الدجال ج ٦ / ص ٢٦٠٨ / ح ٦٧١٢ ، ومسلم في الفن باب ذكر الدجال وصفته وما

معه ص ١١٧٥ ح ٢٩٢٣ .

(٣) انظر شرح مسلم للنووي ج ١٨ ص ٢٧٦-٢٧٥ .

٣) أنه لا يدخل مكة والمدينة :

جاء في حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن الدجال قال : (فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان عليّ كلتا هما كلما أردت أن أدخل واحدة - أو واحدا - منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها وأن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها^(١)).

فلو كان صادقا في دعواه للألوهية لما حيل بينه وبين دخول مكة والمدينة لأن الإله لا يعجزه شيء.

٤) أنه لا يستطيع أن يقتل الشاب المؤمن مرة أخرى :

إذ يحول الله بينه وبين ذلك إظهارا لكذبه كما في حديث أبي سعيد الخدري السابق الذكر.

فلو كان صادقا في دعواه لما حيل بينه وبين قتل ذلك الشاب الذي أعلن كذبه أمام الناس وتجرأ على الوقوف في وجهه والتصدي له وهو رب العالمين كما يزعم كيف يعجز عن التخلص من هذا الشاب؟

كل هذه الأمور تدل على كذبه في دعوى الألوهية وقد أخبرنا بها الرسول ﷺ بالنصوص والأدلة الثابتة لتعرفه بها عند خروجه ونتقي فتنه وشره .

وفي هذه النصوص الثابتة رد على المنكرين للدجال القائلين بأنه رمز للخرافة من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة^(٢) . ومن أنكر وجوده من المعاصرين وزعم أنه رمز للدجل والخرافة محمد عبده في تفسير المنار^(٣).

فالنصوص السابقة رد على كل من أنكر وجود الدجال وزعم أنه رمز للدجل والخرافة .

سبل الوقاية من فتنة المسيح الدجال :

سبق وأن ذكرنا أن فتنة الدجال من أعظم الفتن خطراً على الناس . وقد حذر جميع

(١) البخاري في الفتن باب ذكر الدجال ج ٦ ص ٢٦٠٨ ح ٦٧١٢ .

(٢) انظر شرح مسلم للنووي ج ١٨ / ص ٢٧٢ - ٢٧٤ .

(٣) انظر تفسير المنار ج ٣ / ص ٣١٧ .

الأنبياء أقوامهم من هذه الفتنه ، وخص رسول الله ﷺ أمته بمزيد من التحذير وبين لهم الكثير من صفاته ، وأرشدهم إلى ما يعصمهم من هذه الفتنه وقيهم شرها وخطرهما ، ومن تلك الإرشادات التي أرشدنا إليها رسول الله ﷺ ما يأتي :

١- التمسك بالإسلام ، والتسلح بالإيمان ومعرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته الحسنی ، التي ليس لأحد أن يشاركه فيها ، فنعلم أن الدجال بشر يأكل ويشرب وينام ، وأن الله تعالى منزه عن كل ذلك ، وأن الدجال أعور ، والله ليس بأعور ، إذ من المحال أن يكون واهب الكمال للخلق عاريا منه ، وأنه لا أحد يرى ربه حتى يموت فالدجال يراه الناس عند خروجه مؤمنهم وكافرهم. فالإيمان الصادق بالله ، ومعرفته وصفاته حق المعرفة تجنبنا الوقوع في فتنه الدجال.

٢- التعوذ من فتنه الدجال وخاصة في الصلاة ، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة : (اللهم إني أحمو بك من محاذيب القبر وأحمو بك من فتنه المصيح الدجال ... الحديث) (١).

٣- حفظ آيات من سورة الكهف : فقد أمر النبي ﷺ بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال ، وفي بعض الروايات خواتيمها وذلك بقراءة عشر آيات من أولها أو آخرها ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما رواه مسلم من حديث النواس بن سمعان الطويل وفيه قوله ﷺ (من أحركه فليقرأ عليه فواتح سورة الضميمة) (٢).

وروى مسلم أيضا عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (من حفظ عشر آيات من أول سورة الضميمة محسو من الدجال) أي من فتنته ، قال مسلم قال طيبة من آخر الضميمة . وقال حماد من أول الضميمة) (٣).

٤- الفرار من الدجال والابتعاد عنه عند خروجه والأفضل سكنى مكة والمدينة لأنه لا يدخلها

(١) البخاري في صفة الصلاة باب الدعاء قبل السلام ج ١ ص ٢٨٦ ح ٧٨٩ ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة

باب التعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم ص ٢٤٣ ح ٥٧٩ .

(٢) سبق تخريجه ص ١٨١ .

(٣) مسلم في صلاة المسافرين باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ٣١٦ ح ٨٠٩ .

حتى لا يفتن الإنسان بما يجريه الله على يديه من الخوارق فتنة واختبارا للناس^(١).

هلاك الدجال :

يكون هلاك الدجال في بلاد الشام ويقتله عيسى بن مريم عليه السلام كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (يخرج الدجال في امتي .. فأكفر الحديث وفيه .. فيبعثه الله عيسى بن مريم عليه السلام فيمطره بن مسعود فيطلبه فيمطره)^(٢).

وعن مجمع بن سارية الأنصاري رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (يقتل ابن مريم الدجال ببابه له)^(٣) (٤).

ويقتله لعنه الله تنتهي فتنة العظيمة ويتخلص الناس من شره وأذاه^(٥).

نزول عيسى عليه السلام :

قبل الحديث عن نزول سيدنا عيسى عليه السلام ينبغي لنا الحديث عن رفعه كما صرح بذلك في القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْ مَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿٢٠﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٢١﴾ ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨].

فهاتان الآيتان تدلان على أن سيدنا عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب كما يزعم اليهود والنصارى وإنما رفعه الله إليه والذي قتل وصلب هو أحد حوارى سيدنا عيسى عليه السلام ألقى

(١) انظر أشراف الساعة ص / ٣٢٥ - ٣٣٠ ، وكتاب فقد جاء أشرافها ص ٣٨١ - ٣٨٥ .

(٢) مسلم كتاب الفتن وأشراف الساعة باب خروج الدجال ومكته في الأرض ونزل عيسى وقلبه إياه ، ص ١١٨٠ ح ٢٩٤٠ .

(٣) باب لد : موضع بالشام وقيل بفلسطين ، أنظر لسان العرب ج ٣ ص ٣٩١ .

(٤) مسند أحمد ج ٣ / ٤٢٠ ، والترمذي في الفتن باب ما جاء في قتل عيسى بن مريم الدجال ، ج ٩ / ص ٩٨ مع الشرح صححه الألباني أنظر صحيح سنن الترمذي ج ٢ ص ٢٥١ .

(٥) انظر أشراف الساعة ص / ٣٣٣ - ٣٣٥ ، وكتاب فقد جاء أشرافها ص / ٣٦٨ - ٣٦٩ .

الله شبهه عليه فقتل وصلب، أما سيدنا عيسى عليه السلام فإنه رفع حيا لم يقتل ولم يصلب، وقيل هو الذي دل اليهود على مكان عيسى عليه السلام وظن اليهود والنصارى أن المصلوب هو سيدنا عيسى عليه السلام ولم يكونوا متيقنين من ذلك كما جاء في قوله تعالى (وما قتلوه يقينا) والحق الذي عليه علماء السلف أن سيدنا عيسى عليه السلام رفع حيا إلى السماء وأنه سوف ينزل في آخر الزمان ويقتل الدجال ثم يموت .

وكما دل القرآن الكريم على رفع سيدنا عيسى عليه السلام فقد دل على نزوله في آخر الزمان. قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَتَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ

شَهِيدًا ۝ ﴾ [النساء: ١٥٩] .

فهذه الآية تدل على أن أهل الكتاب الموجودين وقت نزول عيسى سيؤمنون بعيسى عليه السلام آخر الزمان وذلك عند نزوله وقبل موته، وهذا هو الراجح من أقوال العلماء^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في جوابه على سؤال وجه إليه عن وفاة عيسى عليه السلام ورفعه : (الحمد لله عيسى عليه السلام حي وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : (ينزل فينزع ابن مريم حكما محمدا وإماما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية). وثبت في الصحيح أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق وأنه يقتل الدجال ومن فارقت روحه جسده لم ينزل جسده من السماء ، وإذا أحيي فإنه يقوم من قبره)^(٢).

وكما دل القرآن على نزوله في آخر الزمان فقد دلت السنة أيضاً على ذلك بالأحاديث المتواترة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (والطير تضيي بيده ليوشكن أن ينزل فينزع ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ... الحديث)^(٣).

وقد أجمعت أمة محمد ﷺ على نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان ولم يخالف في ذلك أحد

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ١ / ص ٢٧٦ .

(٢) الفتاوى ج ٤ / ص ٣٢ - ٣٢٣ .

(٣) البعاري في الأنبياء باب نزول عيسى عليه السلام ج ٣ / ص ١٢٧٢ / ح ٣٢٦٤ ، ومسلم في الإيمان باب عيسى بن مريم حكما بشريعة نبينا محمد ﷺ ج ٢ / ص ٥٤٨ - ٥٤٩ / ح ١١٥٥ مع الشرح .

إلا الملاحدة والفلاسفة ممن لا يعتد بخلافهم ، وقد انعقد الإجماع على أنه ينزل ويحكم بشريعة الإسلام وليس بشريعة مستقلة وإن كانت النبوة قائمة به وهو متصف بما إلا أنه يحكم بشريعة الإسلام كما أخبرنا رسول الله ﷺ بذلك فيكسر الصليب إبطالا لما يزعمه النصارى من تعظيمه، ويقتل الخنزير لأنه محرم في شريعة الإسلام والمختار من مذهب الجمهور أن المسلم إذا وجد خنزيرا في بلاد الكفار وتمكن من قتله ففكأن عيسى عليه السلام عندما يقتل الخنزير يؤيد هذا المذهب. ويضع الجزيرة أي لا يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام لا يقبل الجزية مع أنها من شريعة الإسلام ذلك أن مشروعتها مقيدة بنزول سيدنا عيسى عليه السلام وليس هو الناسخ لها في ذلك الوقت وإنما الناسخ لها هو سيدنا محمد ﷺ بهذا الحديث . وما فعل سيدنا عيسى عليه السلام لهذه الأمور في آخر الزمان إلا دليلا على حكمه بشريعة الإسلام وتنفيذه لما أخبر به رسول الله ﷺ (١).

قال القاضي عياض^(٢) رحمه الله تعالى : (نزول عيسى عليه السلام وقلته الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك وليس في العقل ولا في الشرع ما يطله فوجب إثباته ، وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى: (وخاتم النبيين) ويقولون ﷺ (لا نبي بعدي) وإجماع المسلمين على أنه لا نبي بعد نبينا محمد ﷺ وأن شريعته موبدة إلى يوم القيامة لا تنسخ وهذا استدلال فاسد لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبيا بشرع ينسخ شرعنا ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء من هذا بل صحت هذه الأحاديث هنا وغيرها أنه ينزل حكما مقسطا حكم بشرعنا ويحيي من أمور شرعنا ما هجره الناس^(٣)).

ومن المعاصرين المنكرين لنزول سيدنا عيسى عليه السلام محمد عبده^(٤) وعمود شلتوت^(٥) حيث أنكرا نزول سيدنا عيسى عليه السلام وردا الأحاديث الواردة في نزوله لزعمهما بأنها أحاديث

(١) انظر فتح الباري ج ٦ ص ٤٩٢ - ٤٩٤ ، وشرح النووي لمسلم ج ٢ ص ٤٤٨ - ٤٥٠ .

(٢) القاضي عياض: هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى الحنصلي المالكي، (٤٩٦-٥٥٤هـ) محدث وفقه ومؤرخ ولغوي، من كتبه الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وترتيب المآثر ومشارك الأنوار، والإلماع. انظر الديباج المذهب ص ٣٦٨، وشنرات الذهب ج ٤ ص ١٣٨.

(٣) شرح النووي لمسلم ج ١٨ ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

(٤) محمد عبده بن حسن خير الله (١٢٦٦-١٣٧٣هـ) مفتي الديار المصرية في أيامه أصدر مع صديقه جمال الدين الأفغاني حريصة العروة الوثقى من كتبه التفسير ولم يتمه ورسالة التوحيد وشرح لهج البلاغة أنظر الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٢٥٢.

(٥) هو محمد شلتوت (١٣١٠-١٣٨٣هـ) من علماء مصر في العصر الحديث ترقى في المناصب العلمية حتى تولى منصب شيخ الجامع الأزهر، من كتبه الإسلام عقيدة وشريعة وتوجيهات الإسلام أنظر الأعلام للزركلي ج ٧ ص ١٧٣.

آحاد لا تقوم بها حجة^(١) ، وقولهم هذا باطل وحجتهم واهية ذلك أن خير الآحاد من الأمور المسلم بقبولها والأخذ بها عند جمهور المسلمين وإذا قلنا بعدم حجيّتها فإننا نرد كثيرا من أحاديث رسول الله ﷺ ويكون ما قاله ﷺ عبثا لا معنى له مع العلم بأن أحاديث نزول سيدنا عيسى عليه السلام ليست من الآحاد بل هي متواترة كما ذكر ذلك ابن كثير وغيره^(٢).

فنزول سيدنا عيسى عليه السلام في آخر الزمان إماما عدلا وحكما مقسطا من الأمور المسلم بها في دين الإسلام لما ثبت في ذلك من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية^(٣).

٣) خروج يأجوج ومأجوج :

يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان عند الأكثر منعا من الصرف للعلمية والعجمة ، وقيل بل عريان واختلف في اشتقاقهما فقيل : من أجيح النار وهو التهامها ، وقيل من الأجه بالتشديد وهي الاختلاط وشدة الحر.

وقيل من الأج وهو سرعة العدو ، وقيل من الأحاج وهو الماء الشديد الملوحة ، ويكون التقدير في يأجوج يفعل وفي مأجوج مفعول .

ويجوز أن يكون فاعولا في كليهما ، هذا إن كانا عريان ، أما إن كانا أعجميان فلا اشتقاق لهما من العربية ، ويؤيد الاشتقاق وقول من جعله مأج إذ اضطرب قوله تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ ﴾ [الكهف: ٩٩]^(٤).

وأصل يأجوج ومأجوج من البشر من ذرية آدم وحواء عليهما السلام والدليل على ذلك ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى (يا آدء فيقول لبيك ومعديك والخير فيى يديك، فيقول : أخرج بعث النار، قال، وما بعث النار؟ قال من كل أمة تسعمائة وتسعة وتسعين ، فعنده يذهب الصغير وتضع كل طائفة حمل

(١) أنظر تفسير المنار ج ٣ ص ٣١٧ وكتاب الفتاوى لمحمد شلتوت ص ٥٩-٩٦.

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٩ - ٨٢.

(٣) للاستفادة انظر فيما سبق : أشرطة الساعة ص ٣٣٧-٣٦٣ ، وصحيح أشرطة الساعة ص / ٢٤٧-٢٦٥ ، وكتاب قصد

جاء أشراتها.

(٤) انظر فتح الباري ج ١٣ / ص ١٠٦ ، ولسان العرب ج ٢ ص ٢٠٦-٢٠٧.

عملما وتري الناس سحاري وما هم بسحاري ولكن عطاب الله حديد، قالوا وأينما طلك الواحد؟ قال ابشروا إن منكم رجلا ومن يأجوج وماجوج القوم^(١).

وخروجهما في آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى، وهو ثابت في الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الب: ٩١].

وقال تعالى في سياق قصة ذي القرنين ﴿قَالُوا يَنْذِ الْأَثَرَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَنَرَحْنَا بِعَظْمِهِمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الب: ٩٢-٩٩].

وعن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش أن رسول الله ﷺ دخل عليهما يوما فزما يقول لا إله إلا الله . ويل للعرب من هو قد اقترب من فتح اليوم من ردم يأجوج وماجوج مثل هذه (وخلق بأصبعه الإبلاء والتي تليها) قالت (يندم بنته جحش أفنملك وفيها الصالحون؟ قال نعم إذا كثر الخبيث)^(٢).

ومن حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله تعالى يوحى إلى عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال أن قد أخرجت عبادة لي لا يطان لأحد بهتالهم فحذر عبادتي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون ... الحديث)^(٣).

(١) البخاري في الأنبياء باب قصة يأجوج وماجوج / ص ٦٤٠ / ح ٣٣٤٨ .

(٢) البخاري في الأنبياء باب قصة يأجوج وماجوج / ص ٦٣٩ - ٦٤٠ ح ٣٣٤٦ ، ومسلم في الفتن وأشراف الساعة باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج وماجوج ص ١١٥٤ ج ٢٨٨٠ .

(٣) سبق شرحه ص ١٨١ .

ويكون خروجهم في آخر الزمان بعد نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال قبيحه الله ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم : ارجعوا فسنحفره غدا فيعيده الله أشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فسنحفره غداً إن شاء الله واستنوا فيعودون إليه وهو كهيته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون الماء ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع عليها الدم فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء^(١) .

قال الحافظ بن حجر في الفتح قال ابن العربي: (في هذا الحديث ثلاث آيات : الأولى : أن الله منعهم أن يوالوا الحفر ليلاً ونهاراً ، الثانية : منعهم أن يحاولوا الرقي على السد بسلم أو آلة فلم يلبثهم ذلك ولا علمهم إياه ، الثالثة : أن الله صدهم عن أن يقولوا إن شاء الله حتى يجيء الوقت المحدد)^(٢) .

ويخرج يأجوج ومأجوج يقع الناس في بلاء عظيم وذلك لأن يأجوج ومأجوج ينتشرون في الأرض ويأكلون خيراتها ويشربون المياه الموجودة بها ويحاصرون الناس فيتحصنون في حصونهم ويقع عليهم من البلاء ما الله به عليم بسبب هذا الحصار عند ذلك يتضرع نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله تعالى ليكشف عنهم ما حل بهم من البلاء العظيم فيستجيب الله لهم ويرسل على يأجوج ومأجوج أضعف خلقه الدود فيصبحون موتى كموت نفس واحدة لا يسمع لهم حس فتمتليء الأرض من ننتهم فيؤذون الناس بنتهم أشد من حياتهم فيتضرع نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله مرة أخرى فيرسل الله طيراً تحملهم وتطرحهم في الأرض ثم يرسل مطراً تغسل آثارهم ثم يأمر الله الأرض لترد بركتها وتنبت ثمرها فيعم الرخاء وتطرح البركة فيعيش عيسى بن مريم وأصحابه في عيش رغيد ففي حديث النواس بن سمعان الطويل قال : قال رسول الله ﷺ : (. . .) ويحاصر عيسى بن مريم وأصحابه حتى يكون رأس النور لأحدهم خير من مائة دينار .

(١) أحمد في المسند ج ٢ / ص ٥١٠-٥١١ ، والترمذي في التفسير باب سورة الكهف ج ١٢ / ص ١٠-١١ مع الشرح ،

والحاكم في المستدرک ج ٤ / ص ٤٨٨ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٢) انظر فتح الباري ج ١٣ / ص ١٠٩ .

لأحدكم اليوم فرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه فيرسل الله عليهم النصف^(١) في رقابهم فيصبحون فرسى^(٢) كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم^(٣) وتنتهم فرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله تعالى فيرسل الله طيرا كأعناق البخت^(٤) فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله . . . (٥).

النص :

كذا الدخان وريح وهي مرسله لقبض أنفس من للدين يعتقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى علامتين من علامات الساعة الكبرى وهما :

أولاً : الدخان :

ظهور الدخان في آخر الزمان من علامات الساعة الكبرى التي دل عليها الكتاب والسنة .

أدلة ظهوره :

أولاً من الكتاب : قال تعالى : ﴿فَأَرْقُبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۖ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠-١١].

والمعنى انتظر يا محمد بمولاء الكفار يوم تأتي السماء بدخان مبين واضح يغشى الناس ويعمهم عند ذلك يقال لهم هذا عذاب أليم تقرعوا وتوبخوا لهم أو يقول بعضهم لبعض ذلك^(٦). ثانياً : من السنة : روى مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال (بادرُوا بالأعمال سِئاً

(١) النصف : حود صغير يكون في أنوف الأهل والغنم . النهاية في غريب الحديث ج ٥ / ص ٨٧ .

(٢) فرسى : جمع فرس وهو القنبل، المرجع السابق ج ٣ / ص ٢٢٨ .

(٣) زهمهم : الزهم : الريح المتتنة والكرهية .

(٤) البخت : الإبل الخرسانية وهي جمال طوال الأعناق . المرجع السابق ج ١ / ص ١٠١ .

(٥) راجع فيما سبق : أشراط الساعة ص ٣٦٥ - ٣٧٩ ، وصحيح أشراط الساعة ص ٢٦٧-٢٧٩ ، وكتاب فقه جاء أشراطها ص ٤١٩-٤٣١ .

(٦) انظر تفسير القرطبي ج ١٦ / ص ٨٧-٨٨ ، وتفسير الطبري ج ١١ / ص ٢٢٤-٢٢٥ ، وابن كثير ج ٤ / ص ١٥١ .

الدجال والدخان . . . الحديث^(١) . وغيره من الأحاديث التي سبق ذكرها في أشراف الساعة .
وقد اختلف العلماء في الدخان هل وقع أم هو من الآيات المنتظرة ، وكان لهم في ذلك رأيان
الرأي الأول: أن هذا الدخان هو ما حل بقریش من الشدة والجوع بعد دعاء النبي ﷺ عليهم
عندما لم يستجيبوا له فكانوا يرون ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان من شدة الجوع، وهذا
هو رأي عبد الله بن مسعود ووافقه جماعة من السلف وهو اختيار ابن جرير قال عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه (خمس قد مضين: الزام^(٢) ، والروم ، والبطشة ، والقمر ، والدخان)^(٣) .
ولما حدث رجل من كنده عن الدخان وقال : (إنه يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين
وأبصارهم غضب ابن مسعود رضي الله عنه وقال من علم فليقل ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فإن
من العلم أن يقول لما لا يعلم لا أعلم فإن الله قال ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] وإن قریشا أبطئوا عن الإسلام فدعا عليهم النبي ﷺ فقال اللهم أعني
عليهم بسبع كسيع يوسف، فأخذهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام ويرى الرجل ما
بين السماء والأرض كهيئة الدخان)^(٤) .

الرأي الثاني :

إن هذا الدخان من الآيات المنتظرة التي لم تقع وأنه سوف يقع قرب قيام الساعة وإلى هذا القول
ذهب ابن عباس وبعض الصحابة والتابعين فقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن عبد الله بن أبي
مليكة قال غدت على ابن عباس رضي الله عنهما ذات يوم فقال : (ما نمت الليلة حتى أصبحت
قلت ولم ؟ قال قالوا طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون الدخان قد طرق فما نمت حتى
أصبحت)^(٥) . وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن وهكذا قول من وافقه

(١) سبق تخريجه ص ١٧٤ .

(٢) الزام: هو ما جاء في قوله تعالى: (فقد كذبتم سوف يكون لزاما) الفرقان ٧٧. أي يكون عذابا لأزما يهلككم نتيجة
تكذيبكم وهو ما وقع لكفار قریش في بدر من القتل والأسر.

(٣) البخاري في التفسير باب فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ، ج ٤ / ص ١٨٢٣ ح ٤٥٤٣ ، ومسلم في صفات
المنافقين وأحكامهم باب الدخان ص ١١٢٦ ح ٢٧٩٨ .

(٤) البخاري في التفسير تفسير سورة الروم ج ٤ / ص ١٧٩١ - ١٧٩٢ ح ٤٤٩٦ ، وباب (يفشى الناس هذا عذاب اليم)
ج ٤ / ص ١٨٢٣ ح ٤٥٤٤ ، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار باب الدخان ص ١١٢٥ ح ٢٧٩٨ .

(٥) انظر تفسير الطبري ج ١١ / ص ٢٢٤-٢٤٥ ، وابن كثير ج ٤ / ١٥٠ .

من الصحابة والتابعين أجمعين مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرها . . . مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن قال الله تعالى : (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) أي بين واضح يراه كل أحد على أن ما فسر به ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد^(١).

وقد جمع بعض العلماء بين هذه الآثار بأنهما دخانان ظهر أحدهما وبقي الآخر وهو الذي سيقع في آخر الزمان فأما الذي وقع فهو الذي كان يراه كفار قريش كهية الدخان وهذا الدخان غير الدخان الحقيقي الذي يكون عند ظهور الآيات التي هي من أشراط الساعة الكبرى .

وهذا هو الصواب والله أعلم . قال القرطبي : (قال : مجاهد : كان ابن مسعود يقول هما دخانان قد مضى أحدهما والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكام وأما الكافر تنقب مسامعه)^(٢).

وقال ابن جرير : (وبعد فإنه غير منكر أن يكون أحل بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد توعدهم ويكون محلا فيما يستأنف بعد بآخرين دخانا على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ عندنا كذلك لأن الأخبار عن رسول الله ﷺ قد تظاهرت بأن ذلك كائن فإن كان ما روى عنه عبد الله بن مسعود فكلا الخبرين الذين روى عن رسول الله ﷺ صحيح)^(٣).

ثانيا : الريح التي تقبض أرواح الناس :

هذه الريح التي تقبض أرواح المؤمنين علامة من علامات الساعة الكبرى، وهي ريح طيبة تقبض أرواح المؤمنين فلا يبقى على الأرض من يقول الله، ويبقى أشرار الناس وعليهم تقوم الساعة.

وقد جاء في صفة هذه الريح أنها ألين من الحرير ، ولعل ذلك من إكرام الله لعباده المؤمنين في ذلك الزمان المليء بالفتن والشور.

(١) ابن كثير ج ٤ / ص ١٥٠-١٥١ .

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ج ٢ / ص ٣٨٩ .

(٣) راجع فيما سبق : أشراط الساعة ص ٣٨٣-٣٨٩ ، وصحيح أشراط الساعة ص ٢٨٧-٢٩٤ وكتاب فقد جاء أشراطها

جاء في حديث النّوّاس بن سمعان رضي الله عنه الطويل في قصة الدجال ونزول عيسى عليه السلام (إذا بعث الله رجلاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم ، فتقبض روح كل مؤمن ومسلم ، ويبقى أشرار الناس يتهارجون^(١) فيها تمارج الحمر ، فعليهم تقوم الساعة)^(٢).

وروى مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (يخرج الدجال...) فذكر الحديث وفيه : (فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود^(٣) ، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ، حتى لو أن أحداكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه)^(٤).

ولا تعارض بين هذا الحديث وحديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي فيه أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله تعالى يبعث ريحا من اليمن ، ألين من الحرير فلا تدع أحدا في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته)^(٥).

حيث يمكن الجمع بينهما بأنهما ريجان :

(١) شامية ويمانة .

(٢) أن مبدأها من أحد الإقليمين ثم تصل الآخر وتنتشر عنه^(٦). والله أعلم.

النقص :

وغيرها من أمور في الكتاب جرت ذكرى وضح بها في السنة السند

(١١) أي يجامع الرجال والنساء بمحضرة الناس كما يفعل الحمير لا يكثرئون لذلك. أنظر شرح النووي ج ١٨ ص ٢٧٧.

(۲) سبق تخریجہ ص ۱۸۱۔

(٦) هو عروة بن مسعود بن مالك بن كعب الثقفي، صاحب كتاب كانت له اليد البيضاء في تقرير صلح الحديبية أسلم عند منصرف

النبى صلى الله عليه وسلم من الطائف فقتله قومه لإسلامه فلنن مع شهداء المسلمين. أنظر الإصابة ج ٤ ص ٤٩٢.

(۱) سبق تخريجہ ص ۱۸۶۔

(٥) مسلم في الإيمان باب الربيع التي تكون قرب القيامة ص ٧٢ ح ١١٧.

(٦) انظر أشرطة الساعة وأسرارها ص ٨٨ / ٨٩.

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن أشراف الساعة لا تقتصر على الأشراف التي سبق ذكرها، وإنما هناك أشراف أخرى غيرها لم تذكر في هذا النظم، لاكتفاء الناظم بما ذكر منها، أما باقي الأشراف كالمهدي، والنار التي تطرد الناس إلى عشرينهم، والخسف والمسح، وكثرة الفتن، . . . الخ فكلها أشراف للساعة صح بها السند عن رسول الله ﷺ، وهي إنما ذكرت ليتعظ بها الناس ويتذكرون يوم القيامة وما فيه من الأهوال فيعدوا لذلك اليوم عدته^(١).

النص :

والنفخ في الصور حق أو لا فزع فصعقة فقيام بعدما رقدوا
المفردات : الفزع الذعر من الشيء والخوف منه^(٢).
صعقة : الصعقة ، الصيحة يغشى منها على من يسمعها أو يموت^(٣).

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى حقيقة النفخ في الصور ، فيذكر أنه ينفخ في الصور ثلاث نفخات هي :

- (١) نفخة الفزع .
- (٢) نفخة الصعق .
- (٣) نفخة البعث .

والصور في لغة العرب (القرن) وقد سئل عنه الرسول ﷺ ففسره بما تعرفه العرب في كلامها، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: (جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : ما الصور؟ فقال ﷺ : الصور قرن ينفخ فيه)^(٤).

والملك الموكل بالنفخ في الصور هو سيدنا إسرافيل عليه السلام .

(١) انظر : النهاية في الفتن والملاحم ، وأشراف الساعة ، وصحيح أشراف الساعة، وكتاب فقد جاء أشرافها .

(٢) لسان العرب ج ٨ / ص ٢٥١ .

(٣) لسان العرب ج ١٠ / ص ١٩٨ ، وترتيب القاموس المحيط ج ٢ / ٨٢٣ .

(٤) مسند أحمد ج ٢ / ص ١٦٢ ، والترمذي صفة القيامة باب ما جاء في شأن الصور ج ٩ / ص ٣٦٠-٣٦١ مع الشرح

وقال هذا حديث حسن .

قال ابن حجر : (اشتهر أن صاحب الصور إسماعيل عليه السلام) (١).
وقد جاء عن الرسول ﷺ أن صاحب الصور مستعد دائما لأن ينفخ في الصور فعن أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن
واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ) (٢).

والنفخ في الصور كما أشار الناظم -رحمه الله- يكون ثلاث مرات كالتالي :
النفخة الأولى : نفخة الفزع ، قال تعالى : ﴿ وَتَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَمَقَرَّعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الزل: ٨٧].

النفخة الثانية : نفخة الصعق ، قال تعالى : ﴿ وَنُفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الزمر: ٦٨].

النفخة الثالثة : نفخة البعث ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ
يَنْظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨]. وقال تعالى : ﴿ وَنُفَخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾
[يس: ٥١]. فالناظم هنا رجح أن يكون النفخ في الصور ثلاث مرات ، وهذا المذهب هو ما يراه
ابن تيمية (٣) وابن كثير (٤) والسفاري (٥).

وقد استدلوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَتَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَمَقَرَّعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الزل: ٨٧] . كما احتجوا بحديث الصور الطويل وفيه : (ثم ينفخ في الصور ثلاث
نفخات ، نفخة الفزع ، ونفخة الصعق ، ونفخة القيام لرب العالمين) (٦).

وهناك من يرى أن النفخ في الصور مرتين مثل ابن حجر والقرطبي، واستدلوا على ذلك بقوله
تعالى : ﴿ وَنُفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى
فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨].

(١) انظر فتح الباري ج ١١ / ص ٣٦٨ .

(٢) سبق تخريجه ص ١٣٥ .

(٣) الفتاوى ج ٤ / ص ٢٦٠ .

(٤) النهاية في الفن والملاحم لابن كثير ج ١ / ص ٢٠٩ - ٢١٩ .

(٥) لوامع الأنوار البهية ج ٢ / ص ١٥٤ .

(٦) تفسير ابن كثير ج ٢ / ص ١٥٤ .

ومحدث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (بين النفختين أربعون، قالوا يا أبا هريرة أربعون يوماً قال أبيت، قالوا أربعون سنة قال أبيت، قالوا أربعون شهراً قال أبيت) (١).
ومحدث أوس بن أوس الثفي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (إن أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه الجمعة وفيه النفخة) (٢).

ويرى أصحاب هذا المذهب أن الاستدلال بالآية التي تذكر فيها نفخة الفزع ليس صحيحاً على أن هذه نفخة ثالثة، إذ لا يلزم من ذكر الحق تبارك وتعالى للفزع الذي يصيب من في السماوات والأرض عند النفخ في الصور، أن تجعل هذه النفخة مستقلة، فالنفخة الأولى تفزع الأحياء قبل صعقهم، والنفخة الثانية تفزع الناس عند موتهم. يقول ابن حجر: ولا يلزم من مغايرة الصعق الفزع أن لا يحصل معاً منذ النفخة الأولى (٣). وأما حديث الصور فهو حديث ضعيف مضطرب كما ذكر الحافظ بن حجر رحمه الله. هذه هي مذاهب العلماء في النفخ في الصور، والأولى بالصواب عندي المذهب الثاني وهو ما ذهب إليه الإمام ابن حجر والقرطبي من أن النفخ في الصور مرتين، والله أعلم.

النــــــــــــــــص :

والوزن بالقسط والأعمال محضرة في الصحف تنشر والأشهاد قد شهدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى مشهد آخر من مشاهد يوم القيامة وهو الميزان فيقول إن الوزن يوم القيامة يكون بالقسط أي بالعدل فلا يظلم أحد في ذلك اليوم لأن الحاكم فيه هو العدل الحكيم الذي حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرماً قال تعالى ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [١٧: ٣٥]، وقال تعالى : ﴿وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنا حَسِيباً﴾ [٥٧: ٤٧].

(١) البخاري في التفسير باب تفسير سورة الزمر ج ٤ / ص ١٨١٣ / ح ٤٥٣٥، ومسلم في الفن باب ما بين النفختين ص ١١٨٦ ح ٢٩٥٥.

(٢) أبو داود في الصلاة باب فضل يوم الجمعة ح ١٠٤٧، والنسائي في كتاب الجمعة باب إكثار الصلاة على النبي يوم الجمعة ح ١٣٧٣، وابن ماجه في إقامة الصلاة السنة فيها باب فضل الجمعة ح ١٠٨٥ صححه الألباني أنظر صحيح سنن النسائي ج ١ ص ٢٩٧.

(٣) فتح الباري ج ١١ / ص ٣٦٩.

(والأعمال محضرة في الصحف تنشر) أي أن أعمال الإنسان التي عملها في الدنيا تكون حاضرة أمامه لأنها سجلت وأحصيت عليه في الدنيا وهي الآن معروضة عليه في الصحف التي تنشر بين يديه فإن كان ما أحصى فيها خيراً أعطي كتابه يمينه.

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْتَبُ ۖ وَإِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حِسَابِيَّةٌ ۖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الزمر: ٢١-١٩].

وإن كان ما أحصى فيها شراً أعطي كتابه بشماله قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِي ۖ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِي ۖ يَلَيْتَنِي كَأَنَّتِ الْقَاضِيَةَ ۖ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ۖ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزمر: ٢٥-٢٩].

(والأشهاد قد شهدوا) لعل الناظم أراد بهذه العبارة الرسل الذين يشهدون على أنهم بالتصديق أو التكذيب أو الملائكة الذين سجلوا هذه الأعمال أو أعضاء الإنسان التي تشهد عليه يوم القيامة أو الأرض التي تحدث بما فعل على ظهرها وغير ذلك من الأشهاد والظاهر أنه أراد كل ذلك . . . والله أعلم .

الميزان عند أهل السنة والجماعة :

والميزان عند أهل السنة والجماعة ميزان حقيقي توزن به الأعمال ، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة .

أولاً : أدلة الكتاب :

قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾ [الأنعام: ١١٧].

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٢٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ۖ تَارُ حَامِيَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر: ٢١-٢٣].

ثانياً : الأدلة من السنة :

قال رسول الله ﷺ : (حُلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحانه الله وبمحمد سبحان الله العظيم) (١).

(١) البخاري في الدعوات باب فضل التسبيح ج ٥ / ص ٢٣٥٢ ح ٦٠٤٣ ، ومسلم في الذكر والدعاء باب فضل التهليل

والتسبيح والدعاء ص ١٠٨١ ح ٢٦٩٤ .

وقد أنكر الميزان المعتزلة ومن يقول بقولهم، استناداً إلى عقولهم في رد النصوص من القرآن والسنة ، حيث قالوا أن الأعمال أعراض والأعراض لا توزن وإنما توزن الأجسام.

قال ابن حجر : قال أبو إسحاق الزجاج^(١) : (أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة ، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال، وأنكرت المعتزلة الميزان وقالوا هو عبارة عن العدل فخالفوا الكتاب والسنة لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين)^(٢).

وقد رد القرطبي على الذين أنكروا الميزان ، وأولوا النصوص الواردة فيه وحملوها على غير محلها قائلاً (قال علماءنا ولو جاز حمل الميزان على ما ذكروه لجاز حمل الصراط على الدين الحق والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد من الأحزان والأفراح والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة ، والملائكة على القوى المحمودة ، وهذا كله فاسد لأنه رد لما جاء به الصادق عليه السلام ، وفي الصحيحين (فيعطى صحيفة حسنته) وقوله : (فيخرج له بطاقة) وذلك يدل على الميزان الحقيقي وإن الموزون صحف الأعمال كما بينا وبالله التوفيق)^(٣).

والمعول عليه في هذا الباب النصوص ولهذا رجح أهل السنة والجماعة :

١/ أن الميزان ميزان حقيقي ، كما سبق وأن ذكر ذلك بالأدلة .

٢/ أن الأعمال توزن في هذا الميزان ، قال شيخ الإسلام: (الميزان هو ما يوزن به الأعمال وهو غير العدل كما دل على ذلك الكتاب والسنة) واستدل على ذلك :

بقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿١﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٣﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٤﴾ وَمَا أَذْرَنْكَ مَا هِيَ ﴿٥﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿٦﴾ ﴾ [الزمر: ١١-٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾ [الأنعام: ١٠٧] .

^(١) أبو إسحاق الزجاج هو : أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل بن الزجاج (٢٤١ - ٣١١هـ) من مشاهير اللغويين والدعاة من كتبه : معاني القرآن، وشرح أبيات سيويه، والاشتقاق. انظر تاريخ بغداد ج ١ ص ٢٨٧. المنتظم لأبن الجوزي ج ٦ ص ١٧٦. وشنرات الذهب ج ٢ ص ٢٥٩.

^(٢) فتح الباري ج ١٣ ص ٥٣٨.

^(٣) انظر التذكرة ج ٢ / ص ٨.

ويقول الرسول ﷺ : (حلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ...) الحديث (١).
وبحديث البطاقة الذي فيه أن رجلا يؤتى به له تسع وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيوضع
في كفة ، ويؤتى ببطاقة فيها شهادة أن لا إله إلا الله، قال النبي ﷺ : فطاشت السجلات وثقلت
البطاقة (٢).

ثم قال: (وهذا الحديث وأمثاله مما يبين أن الأعمال توزن بموازين تبين رجحان الحسنات على
السيئات وبالعكس ، فهو ما به تبين العدل، والمقصود بالوزن العدل كموازين الدنيا ، وأما كيفية
تلك الموازين فهو بمنزلة سائر ما أخبرنا به من الغيب) (٣).
وقد اختلف العلماء في الموزون في ذلك اليوم على أقوال :

الأول :

أن الأعمال نفسها هي التي توزن ، وأن أعمال العباد تحسم فتوضع في الميزان والدليل على ذلك
قول الرسول ﷺ : (حلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان خفيفتان إلى
الرحمن .. الحديث) (٤).

وقول الرسول ﷺ : (يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأصله الذي كانوا يعملون به تقطعه
سورة البقرة وآل عمران) (٥).

وهذا القول قد رجحه ابن حجر حيث قال: (والصحيح أن الأعمال هي التي توزن) (٦).

الثاني:

أن صحائف الأعمال هي التي توزن ، الدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو
بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ (إن الله عز وجل يستخلص رجلا من أمتي

(١) سبق تخريجه ص ١٩٩ .

(٢) سيأتي ذكره قريبا .

(٣) الفتاوى ج ٤ / ص ٣٣٠٢ .

(٤) سبق تخريجه ص ١٩٩ .

(٥) مسلم في صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ص ٣١٤ ح ٨٠٤

(٦) فتح الباري ج ١٣ / ص ٥٤٨ .

على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينظر له تسعة وتسعون سجلا . كل سجل عند البصير ثم يقول أتنبأ من هذا شيئا ؟ أظلمت كتبتني العاضون ؟ قال : لا يا رب . قال أظلمت عذر أو حسنة قال : فبصرت الرجل . فيقول لا يا رب . فيقول بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم . فيخرج له بطاقة فيما أحصى أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . فيقول أحضروه . فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات . فيقول إنك لا تعلم . قال فتخرج السجلات في حفة والبطاقة في حفة . قال فطالبت السجلات وثقلت البطاقة . قال ولا يثقل شيء مع اسم الله الرحمن الرحيم (١) .

وقد مال القرطبي إلى هذا القول فقال : (والصحيح أن الموازين تثقل بالكب فيها الأعمال مكتوبة وبها تخف كما دل عليه الحديث الصحيح والكتاب العزيز ، قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۖ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ [الأنعام: ١٠٠-١١١] . وهذا نص ، قال ابن عمر توزن صحائف الأعمال وإذا ثبت هذا فالصحف أجسام فيجعل الله تعالى رجحان إحدى الكفتين على الأخرى دليلا على كثرة أعماله بإدخاله الجنة أو النار (٢) .

الموزون هو العامل نفسه ، القول الثالث : والدليل على ذلك قول الرسول ﷺ : (إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله بعوضة ، وقال أقروا ﴿ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٠] (٣) .

فهذه النصوص تدل على أن العباد يوزنون يوم القيامة فيثقلون في الميزان أو يخفون بمقدار إيمانهم ، لا بضخامة أجسامهم .

ولعل الحق أن الذي يوزن هو العامل وعمله . وصحيفة أعماله فقد دلت النصوص المثبتة لوزن الواحد منها أن غيره لا يوزن فيكون مقتضى الجمع بين النصوص إثبات الوزن للثلاثة المذكورة جميعها .

(١) أحمد ج ٢ / ٢١٣ ، والترمذي في الإيمان باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ج ١٠ / ص ١٠٧ مع

الشرح . صححه الألباني أنظر صحيح سنن الترمذي ج ٢ ص ٣٣٣-٣٣٤ .

(٢) التذكرة ج ٢ / ص ٧-٨ .

(٣) البخاري في التفسير تفسير سورة الكهف ج ٤ / ص ١٧٥٩ / ح ٤٤٥٢ ، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار ص

١١٢٠ ح ٢٧٨٥ .

وهذا ما رجحه الشيخ حافظ الحكمي فقال: (والذي استظهر من النصوص - والله أعلم - أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكل ذلك ولا منافاة بينها ، ويدل لذلك ما رواه أحمد رحمه الله تعالى عن عبد الله بن عمرو في قصة صاحب البطاقة ثم قال : فهذا الحديث يدل على أن العبد يوضع هو وحسناته وصحيفتها في كفة وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذكره في سائر أحاديث الوزن والله الحمد والمنة^(١)).

النص :

والجسر ما بين ظهرا في الجحيم كما	في النص إن أحد إلا لها يرد
يجوزه الناس بالأعمال تحملهم	عليه ليس القوي والعد والعدد
كالبرق والطرف أو مر الريح وكالـ	جياذ أو كركاب النوق تنشرد
وذاك يعدو وذا يعيش عليه وذا	زحفا وذا كب في نار به تقـ

المفردات :

يرد : الورد على الشيء هو الإشراف عليه سوءا دخله أم لم يدخله^(٢).
 يجوزه : من جاز الشيء وأجازه إذا سار فيه وقطعه^(٣).
 تنشرد : شرد البعير والدابة بمعنى نفر ، فهو شارد والمراد سرعة السير^(٤).
 تنقد : الوقود كل ما توقد به النار ، واتقدت النار أي هاجت^(٥).

الشرح :

في هذه الأبيات يشير الناظم - رحمه الله - إلى أمر آخر من أهوال يوم القيامة وهو المرور على الجسر أي (الصراط).
 والصراط في اللغة : هو الطريق الواضح .

(١) انظر معارج القبول ج ٢ ص ٨٤٨ - ٨٤٩ .

(٢) لسان العرب ج ٣ ص ١٧٧ .

(٣) المرجع السابق ج ٥ ص ٢٦٦ ، وترتيب القاموس المحيط ج ١ / ص ٥٥٦ .

(٤) لسان العرب ج ٣ / ص ٢٣٦ وترتيب القاموس المحيط ج ٢ / ص ٦٥٣ - ٦٥٤ .

(٥) لسان العرب ج ٣ / ص ٢٣٦ ، وترتيب القاموس المحيط ج ٢ / ص ٦٤٠ .

وفي الشرع جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون ، فهو قنطرة بين الجنة والنار^(١).
فالجسر هو الممدود على متن جهنم كما في النص في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١].

وهذا الجسر يختاره الناس بأعمالهم الصالحة التي تحملهم وتجعلهم قادرين على السير عليه وليس قوتهم وعددهم وعدتهم هي التي تجعلهم يختارونه إلى الجنة. وهؤلاء الناس يختارونه بحسب أعمالهم فمنهم من يمر عليه كالبرق، ومنهم من يمر عليه كالطرف، ومنهم من يمر عليه كالريح، ومنهم من يمر عليه كأجاويد الخيل، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يجري ومنهم من يمشي ومنهم من يزحف ومنهم من يسقط في النار التي تنفذ به، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [المرم: ١٩].

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى هذا المعنى كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه من حديث الرؤية والشفاعة الطويل ، وفيه: (ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يميزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم ، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا نعم يا رسول الله، قال فلأنما مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله ، تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم المؤمن يبقى بعمله أو الموبق بعمله ، والموتق بعمله ، ومنهم المخردل^(٢) أو المجازى أو نحوه . . . الحديث^(٣)).

وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه الطويل : (ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم قلنا يا رسول الله وما الجسر ؟ قال مدحضة^(٤) مزلة^(٥) ، عليه خطاطيف كلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عفيفة تكون بنجد يقال لها السعدان، المؤمن عليها كالطرف، والبرق وكالريح وكأجاويد

(١) لوامع الأنوار البهية ج ٢ / ص ١٨٩ .

(٢) المخردل: المصروع المرمي أي الملقط بهذه الكلاليب. شرح النووي لصحيح مسلم ج ٣ ص ٢٦ ولسان العرب ج ١١ ص ٢٠٣ .

(٣) البخاري في التوحيد باب قال الله تعالى "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة" ج ٦ / ص ٢٧٠٤ / ح ٧٠٠٠ . ومسلم في الإيمان باب معرفة طريق الرؤية ج ٣ ص ٢١ ح ٢٩٩ .

(٤) مدحضة : من دحضت رجله أي زلفت ومالت: أنظر لسان العرب ج ٧ ص ١٤٨ .

(٥) مزلة: موضع تزلزل الأقدام. المرجع السابق ج ١١ ص ٣٠٦ .

الخيل، والركاب، فجاج مسلم، وناج مخلوش مكلوس في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحبا^(١).

من هم الذين يمرون على الصراط ؟

معنى ورود النار :

ذهب بعض العلماء إلى أن المراد بورود النار المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَنْكُمُ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۝ ﴾ [مريم: ٧١] هو دخول النار وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه^(٢). وكان يستدل على ذلك بقوله تعالى في فرعون : ﴿ يَتَقَدَّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۝ ﴾ [مؤ: ١٩٨] وقوله تعالى : ﴿ وَتَسْأَلُ الْمَجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرَدًا ۝ ﴾ [مريم: ٨٦] ويقول تعالى : ﴿ تَوَكَّنْهُ لَأَلَّا يَلْبِثَ إِلَّا يَوْمًا ۚ وَارِدُهَا ۝ ﴾ [الأنبياء: ٩٩].

وذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالورود هنا المرور على الصراط كما في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ تَنْكُمُ إِلَّا وَارِدُهَا ۝ ﴾ [مريم: ٧١]. قال شارح الطحاوية واختلف المفسرون في المراد بالمرور في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَنْكُمُ إِلَّا وَارِدُهَا ۝ ﴾ [مريم: ٧١] ما هو ؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط ، قلل تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝ ﴾ [مريم: ٧٢] وفي الصحيح أنه ﷺ قال (والذي نفسي بيده لا يُلج النار أحد بايع تحت الشجرة) قالت حفصة فقالت يا رسول الله اليس الله يقول (وإن منكم إلا وارجعوا) قال ألم تسمعيه قال (ثم ننبيي الذين اتقوا وننظر الظالمين فيها جثيا)^(٣). فقد أشار الرسول ﷺ إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها ، وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله بل تستلزم انعقاد سببه ، فمن طلبه عدو ليهلكوه ولم يتمكنوا منه يقال نجاه الله منهم ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا ۝ ﴾ [مؤ: ٥٨].

(١) البخاري في التوحيد باب قال الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ج ٦ ص ٢٧٠٤ ح ٧٠٠١ . ومسلم في

الإيمان باب معرفة طريق الرؤية ج ٣ ص ٢١ ح ٢٩٩ .

(٢) التلخيص من النار لابن رجب المحتلي ص ٢٠ .

(٣) مسلم في فضائل أصحاب الشجرة ص ١٠١٢ ح ٢٤٩٦ ونص الحديث عنده : أن الرسول ﷺ قال عند حفصة لا

يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها ، قالت بلى يا رسول الله ، فانتهرها فقالت (وإن

منكم إلا وارجعوا) فقال النبي ﷺ (قد قال الله عز وجل ثم ننحي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا).

وقال : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا ﴾ [مريم: ٦١]. وقال : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا ﴾ [مريم: ٩٤].

ولم يكن العذاب أصابهم بل أصاب غيرهم ، ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك ، وكذلك حال الواردين على النار يمر من فوقها على الصراط ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا ، فقد بين ﷺ في حديث جابر المذكور أو ورود على النار ورودان ، ورود الكفار أهل النار فهذا ورود دخول لا شك في ذلك كما قال تعالى في شأن فرعون : ﴿ يَتَقَدَّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيُفْسَخُ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ [مريم: ٩٨]. أي بفس المدخل المدخول .

والورود الثاني ورود الموحدين ، أي مرورهم على الصراط على النحو المذكور في الأحاديث السابقة^(١).

معتقد أهل السنة والجماعة في الصراط :

قال شارح الطحاوية (ونؤمن بالصراط وهو جسر على جهنم ، إذ انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط)^(٢) كما قالت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ سئل : أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال : (هم في الظلمة دون الجسر)^(٣).

وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين ، ويتخلفون عنهم ويسبقهم المؤمنون ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم .

وقد بين السفاريني رحمه الله موقف الفرق من الصراط، وهل هو صراط مجازي أم حقيقي؟ ثم قرر مذهب أهل الحق الذي دلت عليه النصوص فقال: (اتفقت الكلمة على إثبات الصراط في الجملة، لكن أهل الحق يثبتونه على ظاهره من كونه جسرا ممدودا على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة).

(١) انظر القيامة الكبرى ص ٢٧٨ .

(٢) أنظر شرح الطحاوية ص ٦٠٥ .

(٣) مسلم في الحيض باب صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما ص ١٤٥ ح ٣١٥ .

وأنكر هذا الظاهر القاضي عبد الجبار المعتزلي^(١) وكثير من أتباعه زعموا منه أنه لا يمكن عبوره وإن أمكن ففيه تعذيب ، ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة، وإنما المراد طريق الجنة المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ [مائدة: ٥٠] . وطريق النار المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٢٣] . ومنهم من حمله على الأدلة الواضحة والمباحات والأعمال الرديئة التي يسأل عنها ويؤاخذ بها .

وكل هذا باطل وخرافات لوجوب حمل النصوص على حقائقها، وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء أو الطيران في الهواء ، أو الوقوف فيه، وقد أجاب رحمه الله عن سؤال حشر الكافر على وجهه بأن القدرة الإلهية صالحة لذلك . . . إلى أن قال (والحق أن الصراط وردت به الأخبار الصحيحة، وهو محمول على ظاهره من غير تأويل كما ثبت في الصحيحين ، والمسانيد والسنن ، والصحاح مما لا يحصى إلا بكلفة، من أنه جسر ممدود على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق وهم في جوازه متفاوتون^(٢)).

وقد ذكر القرطبي مذهب القائلين بمجازية الصراط والمؤولين للنصوص المصراحة به فقال : ذهب بعض من تكلم عن أحاديث وصف الصراط من أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف أن ذلك راجع إلى يسره وعسره ، على قدر الطاعات والمعاصي ، ولا يعلم حدود ذلك إلا الله ، لخفائضها وغموضها ، وقد جرت العادة بتسمية الغامض الخفي دقيق فضرب المثل بدقة الشعر فهذا الباب .

ومعنى قوله أحد من السيف أن الأمر الدقيق الذي يصعد من عند الله تعالى إلى الملائكة في إجازة الناس على الصراط يكون في نفاذ حد السيف ومضيه إسراعا منهم في طاعته وامتناله ولا يكون له مرد ، كما أن السيف إذا نفذ بحده وقوة ضاربه في شيء لم يكن له بعد ذلك مرد . وإما أن يقال أن الصراط نفسه أحد من السيف وأدق من الشعر فذلك مدفوع بما وصف من أن الملائكة يقومون بجانيه، وأن فيه كلاليب وحسكا، أي أن من يمر عليه يقع على بطنه ، ومنهم

(١) عبد الجبار المعتزلي: هو أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد الحمداني قاضي الري، (٣٥٩-٤١٥هـ) من رؤوس المعتزلة، من كتبه المغني، وشرح الأصول الخمسة وتنزيه القرآن عن المظالم، دلائل النبوة، أنظر تاريخ بغداد ج ١١ ص ١١٣، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٩١، شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٠٣.

(٢) لوائح الأنوار البهية ج ٢ / ص ١٩٢.

من يزل ثم يقوم ، وفيه أن من الذين يمرون عليه من يعطي النور بقدر موضع قدمه وفي ذلك إشارة أن للمارين عليه مواطئ الأقدام ومعلوم أن دقة الشعر لا يحتمل هذا كله).

ثم رد عليهم مقاتلهم بقوله: (ما ذكره هذا القائل مردود بما ذكرنا من الأخبار وأن الإيمان يجب بذلك وإن القادر على إمساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك المؤمن عليه فيجريه أو يمشيه ، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند الاستحالة ولا استحالة في ذلك للأثار المروية في ذلك وبيانها بنقل الأئمة العدول (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) ^(١)).

النص :

والنار حق وجنات النعيم ولا نقول تفنى ولا إذا الآن تفقد
هذي لأعدائه قد أرصدت أبداً وذوي لأحبابه والكل قد غلبدوا

المفردات :

أرصدت : الإرصاء الإعداد ، وأرصدت أي أعددت ^(٢).

الشرح :

يتحدث الناظم - رحمه الله - في هذين البيتين عن الجنة والنار وأنها حق لا شك فيه وأنها دائمتان وباقيتان بإبقاء الله لهما ، وأن النار قد أعدت لأعداء الله من الكفرة والمشركين ، وأن الجنة أعدت لأولياء الله تعالى من أهل التوحيد.

ثم شرع الناظم - رحمه الله - في ذكر الأمور التي يجب اعتقادها في الجنة والنار وهي كالتالي :

١ - أنها حق لا شك في ذلك ، فقد أعد الله الجنة لأوليائه والنار لأعدائه. الأدلة على ذلك :

أولاً : من القرآن ، قال تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُلُوبُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ تَارًا وَقُدُّوا أَلْفًا مِّنْهُنَّ لِكُلِّ ذَا نَبِيٍّ﴾ [النساء: ٦٩] وقال تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبَةً سَاجِدَةً إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [النساء: ٨٠]. وقال تعالى : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَشِدَّةٌ

(١) التذكرة ج ٢ / ص ٣٠-٣١ .

(٢) لسان العرب ج ٣ / ص ١٧٧ .

ثانيا : من السنة

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله و كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من عمل)^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتصعد قال (اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ، ولك الحمد أنت الحق ، ومعك الحق ، ولقاؤك حق ، وقولك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد ﷺ حق والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وبك أعتقت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاسمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ، أو لا إله غيرك ... الحديث) (٧).

۲- اعتقاد وجودہما الآن :

الأدلة على ذلك :

أولاً : من القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [ال عمران: ١٣٣].

﴿أَعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١].

وغيرها من الآيات التي يخر الله تعالى فيها أن اللجنة معدة قد وجدت وهيئت لعباده الصالحين.

(١) البخاري في الأنبياء باب قوله تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) ج ٣ / ص ١٢٦٧ ح / ٣٢٥٢ ومسلم في الإيمان

باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ص ٤٥ ح ٢٨ .

(٢) البخاري في التهجيد باب التهجيد بالليل ج ١ / ص ٣٧٧ / ح / ١٠٦٦٩ ، ومسلم في صلاة المسافرين باب الدعاء في

صلاة الليل وقيامه من ٣٠٤ ح ٧٦٩ .

وقال تعالى في النار : ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩]

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [طه: ٤٦]

فهي أيضاً معدة لأعداء الله تعالى مرصدة لهم (١).

ثانياً : من السنة :

عن عمران بن الحصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء) (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (قال الله تعالى امددتم لعبادي السالعين ما لا يحسن رأتهم ولا أظن سمعتم ولا خطر على قلبكم بغيره فاقرواوا إن شئتم فلا تعلمه نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) (٣).

وغیر ذلك من الآيات والأحاديث التي تدل على وجود الجنة والنار ، وأن الله قد أعد الجنة لأوليائه والنار لأعدائه.

٣- اعتقاد دوامهما وبقاؤهما بإبقاء الله تعالى لهما وأنها لا تفتيان أبدا ولا يفنى من فيهما

أولاً : الأدلة على ذلك من القرآن الكريم :

قال تعالى في الجنة : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى : ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

وقال تعالى : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَنَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾ [هود: ١٠٨].

(١) معارج القبول ج/ ٢ ص ٨٦٠ .

(٢) البخاري في الرقاق باب صفة الجنة والنار ج ٥ / ص ٢٣٩٧ / ح ٦١٨٠ ، ومسلم كتاب الرقاق باب أكثر أهل الجنة الفقراء ص ١٠٩٥ ح ٢٧٣٦ .

(٣) البخاري في التوحيد باب قول الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله) ج ٦ / ص ٣٧٢٣ / ٣٧٢٤ / ح ٧٠٥٩ ، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها ص ١١٣٦ ح ٢٨٢٤ .

وقال تعالى في النار : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ [النساء: ١٦٨-١٦٩].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ مِنْ يَأْتِ رَبُّكُمْ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَكُمْ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾ [٥: ٧٤].

ثانيا : الأدلة من السنة :

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ (إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، جيئ بالمولت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادى مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحا، ويزداد أهل النار حزنا على حزنهم^(١)).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ يقول لأهل الجنة خلود لا موت ، ولأهل النار خلود لا موت^(٢)).

وهذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف :

قال الإمام الطحاوي : (والجنة والنار مخلوقتان، لا تغنيان أبدا ولا تبيدان ، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلا ، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه ، ومن شاء منهم إلى النار عدلا منه ، وكل يعمل لما قد فرغ له ، وصائر إلى ما خلق له ، والخير والشر مقدران على العبد).

وقال بفناء الجنة والنار والناس الجهم بن صفوان ، إمام المعطلة وليس له سلف قط.

قال شارح الطحاوية في شرحه للنص السابق :

أما قوله (إن الجنة والنار مخلوقتان) أتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، ولم يزد أهل السنة على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعل الله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا ، ولا ينبغي له أن يفعل كذا وقاسوه على خلقه في أفعالهم ، فهم مشبهة في الأفعال ودخل التحهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة ، وقالوا خلق الجنة قبل الجزاء عبث، لأنها تصبح معطلة مددا متطاولة، فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة، التي وضعوها للرب

(١) البخاري في الرقاق باب صفة الجنة والنار ج ٥ / ص ٢٣٩٧ - ٢٣٩٨ / ح ٦١٨٢ ومسلم في الجنة ونعيمها وأهلها

باب النار يدخلها الجبارون ص ١١٤٤ ح ٢٨٥٠.

(٢) البخاري في الرقاق يدخل الجنة سبعون الفا بغير حساب ج ٥ / ص ٢٣٩٧ / ح ٦١٧٩ .

تعالى ، وحرفوا النصوص عن مواضعها ، وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم (١).

وقال أيضاً وأما شبهة من قال إنما لم تخلق بعد، وهي أنها لو كانت مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تنفى يوم القيامة، وأن يهلك كل من فيها ويموت (٢).

كقوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [النجم: ٢٨].

وقوله تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقد روى الترمذي في جامعه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (لقبتم إبراهيم ليلة أسري بي فقال يا محمد أقرئ أمك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة مخرجة الماء وأنما قيعان ، وأن إخراساً سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) (٣).

قال هذا حديث حسن .

وفيه أيضاً من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال (من قال سبحانه الله وبه محمد لم يضره له نخله في الجنة) (٤). قال : هذا حديث صحيح.

قالوا : فلو كانت مخلوقة مفرغاً منها لم تكن قيعان ولم يكن لها هذا الغراس .

وقالوا : وكذا قوله تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت : ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [النجم: ١١].

فالرد عليهم :

أنكم إن أردتم بقولكم أنها الآن معدومة بمنزلة النفخ في الصور وقيام الناس من القبور فهذا باطل يرده ما تقدم من الأدلة ، وأمثالها مما لم يذكر.

وإن أردتم أنها لم يكمل خلق جميع ما أعد الله فيها لأهلها ، وأنها لا يزال الله يحدث فيها شيئاً بعد شيء، وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها أموراً أخرى فهذا حق لا يمكن رده وأدلتكم هذه إنما

(١) انظر شرح الطحاوية ص ٦١٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٦١٨ - ٦١٩ .

(٣) الترمذي في الدعاء باب ما جاء في فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ج ١٣ / ص ١٤-١٥ مع الشرح وقال حديث حسن وعلق الألباني بقوله حسن أنظر صحيح سنن الترمذي ج ٣ ص ١٦٠ .

(٤) الترمذي في الدعاء باب فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ج ١٣ / ص ١٥-١٦ مع الشرح وقال حديث حسن وعلق عليه الألباني بقوله صحيح أنظر المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

تدل على هذا القدر.

وأما احتجاجاتكم بقوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [المعمر: ٨٨].

فأنتم من سوء فهمكم معنى الآية، واحتجاجكم بها على عدم وجود النار الآن ، نظير احتجاج إخوانكم بها على فنائهما وخراهما وموت أهلها.

فلم توقفوا أنتم ولا إخوانكم لفهم معنى الآية، وإنما وفق لذلك أئمة الإسلام فمن كلامهم أن المراد كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والملاك هالك.

والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء وكذلك العرش فإنه سقف الجنة وقيل المراد به إلا ملكه وقيل إلا ما أريد به وجهه .

وقيل إن الله تعالى أنزل : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦].

فقال الملائكة : هلك أهل الأرض وطعموا في البقاء ، فأخبر الله تعالى عن أهل السماء والأرض أنهم يموتون فقال ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [المعمر: ٨٨] لأنه حي لا يموت ، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت وإنما قالوا ذلك توفيقاً بينهما وبين النصوص المحكمة الدالة على بقاء النار أيضاً^(١).

النص :

وحوض أحمد قد أعطاه خالقه غوثاً لأمنه في الحشر إذ ترد
المفردات : غوثاً : الغياث ، ما أغاثك الله به ، ويقول الواقع في بليه : أغثنى أي فرج عني،
والمراد تغريماً عنهم^(٢).

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أمر من الأمور التي أختص بها سيدنا محمد ﷺ على سائر الرسل وهو الحوض الذي يصب ماؤه من نهر الكوثر الذي أعطاه الله تعالى لرسوله ﷺ يوم القيامة لترد عليه أمته حين يشتد بهم العطش في موقف الحشر فيكون غوثاً من الله تعالى لهم يشربون منه شربة هنيئة لا يظماون بعدها أبداً. فيقول بأن هذا الحوض حق لا شك فيه.
قال تعالى : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۚ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [التكوير: ١-٣].

(١) انظر شرح الطحاوية ص ٦١٨-٦٢٠ .

(٢) لسان العرب ج ٢ / ص ١٧٤ .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (إن قدر حوضي كما بين أيلة^(١) إلى صنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء)^(٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ حاضه يوم بين أظهرنا إذ انحنى انحناء ثم رجع وأمه متبسمات فقلنا ما أضحكتك يا رسول الله قال : أنزلت علي آية سورة فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إنا خانك هو الأبتى) قال : انحدرون ما الكوثر فقلنا الله ورسوله أعلم . قال فإنه نصر ومحمد ربي عز وجل عليه خير خبير هو حوض ترد عليه أمي يوم القيامة، آتيته محمد نبوه السماء فيخلق العبد منه فاقول رب إنسه من أمي، فيقول، ما تحدي ما أحدثت بعدك)^(٣).

والحوض حق لا شك فيه ولكن هل هو خاص بالرسول ﷺ أم أن لكل نبي حوضا كما جاء ذلك عند الترمذي من حديث سمرة (إن لكل نبي حوضا)^(٤) اختلف العلماء في ذلك استنادا إلى هذا الحديث وما ورد في معناه من الأحاديث ، فمنهم من قال إن لكل نبي حوضا ومنهم من قال إنه خاص بالرسول ﷺ . وإن ثبت صحة هذا الحديث وما في معناه من أن لكل نبي حوضا فإن ما اختص به الرسول ﷺ هو الكوثر الذي يصب ماؤه في حوض الرسول ﷺ ولم يعط لأحد غيره كما قال تعالى : (إنا أعطيناك الكوثر)^(٥).

صفة الحوض :

قال شارح الطحاوية : (والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض. أنه حوض عظيم، ومورد كريم يمد من شراب الجنة ، من نهر الكوثر الذي هو أشد بياضا من اللبن وأبهر من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر)^(٦).

(١) مدينة معروفة في الشام على ساحل البحر الأبيض المتوسط، مسلم شرح النووي ج ١٥ ص ٦٣.

(٢) البخاري في الرقاق باب ذكر الحوض ج ٥ / ص ٢٤٠٥ - ٢٤٠٦ / ومسلم في الفضائل باب إثبات حوض نبينا ص ٩٤٣ ح ٢٣٠٣.

(٣) مسلم في الصلاة باب حجة من قال البسمة آية من كل سورة سوى براءة ص ١٧٢ ح ٤٠٠.

(٤) الترمذي في صفة القيامة . باب ما جاء في صفة الحوض ج ٩ ص ٢٧٠ - ٢٧١ مع الشرح صححه الألباني أنظر صحيح

سنن الترمذي ج ٢ ص ٢٩٦.

(٥) انظر فتح الباري ج ١١ / ص ٤٦٧.

(٦) شرح الطحاوية ص ٢٨٠ - ٢٨١.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (إن حوضي أبعد من أيلة من عدن ، هو أشد بياضا من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآتيته أكثر من عدد النجوم، وإنني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه، قالوا يا رسول الله أتعرفنا يومئذ قال نعم لكم سيما ليست لأحد من الأمم ، تردون على غرا محجلين من أثر الوضوء)^(١).

قال القرطبي رحمه الله (واختلف في الميزان والحوض أيهما يكون قبل الآخر؟ فقل الميزان قبل، وقيل الحوض، قال أبو الحسن القاسبي : والصحيح أن الحوض قبل قال القرطبي (والمعنى يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم كما تقدم فيقدم قبل الميزان والصراط). والله أعلم^(٢).

مما سبق يتضح لنا أن الحوض من الأمور التي اختص الله بها رسوله ﷺ يوم القيامة، وأنه يستمد ماؤه من نهر الكوثر الذي في الجنة ، وهذا الحوض لا يرد عليه إلا أتباع سيدنا محمد ﷺ الذين آمنوا به وصدقوه أما المنافقون والمتبدعون فإنهم من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه ، قال القرطبي رحمه الله : قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين : فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدّهم طردا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم ، كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على بيان ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وتطميم الحق ، وقتل أهله ، وإذلالهم ، والمعلنون بالكبائر ، والمستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع^(٣).

النــــــــــــــــص :

والرسل تحت لواء الحمد تحشر إذ ذاك اللوا لختام الرسل ينعقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن النبي ﷺ يحمل يوم القيامة لواء الحمد ذلك اللواء الذي يحشر تحته جميع الرسل عليهم السلام، وقد أشار الرسول ﷺ إلى هذا المعنى بقوله (أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبخرهم إذا ينسوا لواء

(١) مسلم في الطهارة باب استحباب إطالة الفرة والتجليل في الوضوء ج ٣ / ص ١٣٨ / ح ٢٤٧ مع الشرح.

(٢) انظر التذكرة ج ١ ص ٣٤٣ .

(٣) التذكرة ج ١ / ٣٤٨ .

الحمد يومئذ بيدي . وأنا أخضع على ربي ولا فخر^(١).

وقال ﷺ (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر . ما من نبي يومئذ أحد ممن سواه إلا تبعته لو أحي)^(٢).

النــــــــــــــــص :

كذا المقام له الغمود حيث به في شأنه كل أهل الجمع قد حمدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أمر آخر من الأمور التي فضل الله بها سيدنا محمدا ﷺ على سائر الرسل وهو المقام المحمود "الشفاعة العظمى لفصل القضاء" حيث يكون يوم القيامة أول من يشفع ، وأول من تقبل شفاعته يوم القيامة ، وذلك عندما يبعثه الله المقام المحمود الذي يحمده أهل ذلك الموقف كلهم.

الشفاعة لغة : اسم من شفع يشفع ضد الوتر^(٣) .

قال تعالى : ﴿وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ﴾ [المع: ٣٠].

الشفاعة شرعا : التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة .

جلب المنفعة مثل : شفاعة النبي ﷺ لأهل الجنة بدخولها .

ودفع المضرة مثل : شفاعة النبي ﷺ لمن استحق النار ألا يدخلها^(٤)

قال تعالى : (عسى أن بعثك ربك مقاما محمودا).

وذلك المقام المحمود هو الشفاعة الخاصة بالرسول ﷺ كما سيأتي بيانه في البيت التالي .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : (أعطيت خمسا لم يعط مني أحد قبلي نصرته بالرمح مسيرة شهر . وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، وأيما رجل من امتي

(١) الترمذي في المناقب باب فضل النبي ﷺ ، ح ٣٦١٠ وقال حديث حسن وعلق عليه الألباني بقوله حسن أنظر صحيح سنن الترمذي ج ٣ ص ١٩٠ .

(٢) الترمذي نفس الكتاب والباب ح ٣٦١٥ ، وقال هذا حديث حسن صحيح وصححه الألباني أنظر صحيح سنن الترمذي نفس الجزء والصفحة.

(٣) أنظر لسان العرب ج ٨ ص ١٨٣.

(٤) راجع في تعريف الشفاعة القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين ج ١ / ص ٣٣٠-٣٣١ ، لوائح الأنوار المبهية ج ٢ / ص ٢٠٤.

أحضرته الصلاة فجلس. وأخبرت لي العنايه وله عمل لأحد من قبلي. وكان كل نبي يبعث
إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة وأعطيت الجماعة^(١).

فالشافع هو صاحب الشفاعة التي يطلبها لغيره - وهو المشفوع له- ويسمى شافعاً، وإن قبلت شفاعته فهو مشفوع. والمشفوع له هو من تطلب له الشفاعة . والمشفوع إليه هو من تطلب منه الشفاعة ، فإن قبلها فهو مشفع (٢).

الفصل :

وهو الشفاعة في فصل القضاء وفي فتح الجنان لأهلها إذا ولدوا

الشرح :

في هذا البيت شرع الناظم -رحمه الله- في تفصيل ذلك المقام المحمود الذي يعطاه الرسول ﷺ يوم القيامة ، ويحمده عليه كل أهل الجمع فذكر أن من ذلك المقام المحمود الشفاعة في فصل القضاء وهي الشفاعة العظمى التي خص بها رسول الله ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين.

وذلك حين يتوسط الناس يوم القيامة إلى سيدنا آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى عليهم السلام من أجل الشفاعة عند الله تعالى ليقضي بين الخلق ليرحمهم من مقامهم ذلك وما هم فيه من الشدة والكرب ، فيعتذر الجميع عن قبولها حتى يصل الأمر إلى رسول الله ﷺ فيقول أنا لها أنا لها ويشفع عند ربه لأهل الموقف.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصفه الأيمن فبينما هو كذلك استغاثوا بأحد ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ فينشق ليقضي بين الخلق فيمضي حتى يأخذ بعروة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يعمله كل أهل الجمع) (١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (إن الناس يسيرون يوم

(١) مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ص ٢١١ ح ٥٢١ .

(٢) انظر الشفاعة عند أهل السنة والجماعة ص ١٤ و ١٥.

(٣) البخاري في الزكاة باب من سأل الناس تكثراً ج ٢ / ص ٥٣٦-٥٣٧ ح ١٤٠٥ .

القيامة جنا^(١) كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود^(٢) .

وفي قول الناظم -رحمه الله- (وفي فتح الجنان لأهلها إذا وفدوا) يشير إلى نوع آخر من أنواع الشفاعة والتي هي من المقام المحمود الذي يعطاه الرسول ﷺ يوم القيامة هو الشفاعة في استفتاح باب الجنة لأهلها .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ (أنا أو شفيع في الجنة له يصدق نبي من الأنبياء ما صدقته ، وإن من الأنبياء نبيا ما يصدق من أمته إلا رجل واحد)^(٣) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (أتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول محمد فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك)^(٤) .
فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن الرسول ﷺ أول الشفعاء لأهل الجنة في دخولها.

الـ ص :

وفي عصاة أولى التوحيد يخرجهم من الجحيم ويدريهم بما سجدوا

المفردات :

يدريهم : دري الشيء إذا علمه، وأدراهم أي أعلمهم^(٥) .

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى صورة أخرى من صور المقام المحمود الذي يعطاه الرسول ﷺ يوم القيامة

وهو الشفاعة في عصاة الموحدين وأهل الكبائر منهم ليخرجهم الله تعالى من النار ويدخلهم الجنة بسبب توحيدهم ويشاركه في هذه الشفاعة غيره كما سيأتي في البيت التالي .

(١) جنا : أي جماعات ، والجنا جمع حنة وهو الشيء المجمع . لسان العرب ج ١٤ ص ١٣٢ .

(٢) البخاري في التفسير سورة بني إسرائيل باب عسى أن يعثرك ربك مقاما محمودا ج ٤ ص ١٧٤٨ .

(٣) مسلم الإيمان باب أنا أول الناس يشفع في الجنة ص ١١١ ح ١٩٦ .

(٤) مسلم في الإيمان باب أول الناس يشفع يوم القيامة ص ١١١ ح ١٩٧ .

(٥) لسان العرب ج ١٤ ص ٢٥٤ .

فهذه الشفاعة حق يؤمن بها أهل السنة والجماعة كما آمن بها الصحابة رضوان الله عليهم ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأنكرها في آخر عصر الصحابة الخوارج ، وأنكرها في عصر التابعين المعتزلة ، وقالوا بخلود من دخل النار من عصاة الموحدين من يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ويشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ ، وقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويصومون رمضان ويحجون البيت ويسألون الله الجنة ويستعيذون به من النار في كل صلاة ودعاء ، غير أنهم ماتوا مصرين على معصية عالين بتحريمها ، معتقدين ، مؤمنين بما جاء فيه من الوعيد الشديد ، فقصوا بتخليدهم في جهنم مع فرعون وهامان وقارون^(١).

من الأدلة على هذا النوع من الشفاعة ما يأتي :

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يخرج قوم من النار بعد ما عصوه منها صفح فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة البصميين^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال (لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث . أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه)^(٣). فهذه الشفاعة من المقام المحمود ، وبهذا يكون المقام المحمود عاماً لجميع الشفاعات التي أوتيتها نبينا محمد ﷺ.

ولكن جمهور المفسرين فسروا المقام المحمود بالشفاعتين السابقتين لاختصاصه ﷺ بها دون غيره من عباد الله المكرمين ، وأما هذه الشفاعة الثالثة فهي وإن كانت من المقام المحمود الذي وعده ﷺ فليست خاصة به ﷺ بل يؤتاها كثير من عباد الله المخلصين وهو ﷺ المقدم فيها . ولم يشفع أحد من خلق الله تعالى في مثل ما شفع فيه رسول الله ﷺ ولا يدانيه في ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل^(٤).

(١) انظر معارج القبول ج ٢ / ص ٨٩٦ .

(٢) البخاري في الرقاق باب صفة الجنة والنار ج ٥ / ص ٢٣٩٩ - ٢٤٠٠ / ح ٦١٩١ .

(٣) البخاري في العلم باب الحرص على الحديث ج ١ / ص ٤٩ ح ٩٩ .

(٤) (١) معارج القبول ج ٢ / ص ٩٠٢ .

النص :

وبعده يشفع الأملاك والشهداء والأنبياء وأتباع لهم سعدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى الشفعاء غير الرسول ﷺ يوم القيامة ، فذكر
أن هؤلاء هم :

١- الملائكة :

قال تعالى : ﴿ وَكَرَّمْنَا مَلَكِي فِي السَّمَاءَاتِ لَا تَغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ
يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم: ٢٦] .

والدليل من السنة ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري الطويل مرفوعا وفيه (فيقول الله عز
وجل، خضعتم الملائكة ، وشفع المؤمنون وله يبق إلا أرحم الراحمين)^(١).

٢- الأنبياء وأتباعهم من المؤمنين

والدليل على شفاعتهم الحديث السابق في شفاعة الملائكة، قال شارح الطحاوية بعد أن ذكر
شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر من أمته (وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون
أيضا)^(٢).

٣- الشهداء : ومن الأدلة على هذه الشفاعة ما جاء في بعض السنن عن المقداد بن معد يكرب
رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (للشهداء عند الله ستة خصال ، وطهر منها ويشفع
في سبعين إنسانا من أقاربهم)^(٣).

وجاء في سنن أبي داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ (يشفع الشهيد في
سبعين من أهل بيته)^(٤).

(١) البعاري في تفسير سورة بني إسرائيل باب عسى أن يعثرك ربك مقاما محمودا ج ٤ ص ١٧٤٨ ح ٤٤٤١ .

(٢) أنظر شرح الطحاوية ص ٢٩٠ .

(٣) الإمام أحمد ج ٤ / ص ١٣١ ، والترمذي في فضائل الجهاد باب ثواب الشهيد ج ٤ ص ١٨٨ ، وقال هذا حديث حسن
صحيح .

(٤) أبو داود في الجهاد باب الشهيد يشفع ج ٣ / ص ٣٤ . صححه الألباني أنظر صحيح سنن أبي داود ج ٢ ص ١٠٣ .

النفس :

فيخرجون فحما قد امتحشوا من الجحيم قد سودوا وقد خلدوا
فيطرحون بنهر ينبتون به نبت الحبوب بسيل جاء يطرد

المفردات :

امتحشوا : الخش احتراق الجلد وظهور العظم والمراد أحرقتهم النار ^(١).

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم الشفاء بعد الرسول ﷺ ذكر في هذين البيتين أنهم يشفون في أهل التوحيد الذين دخلوا النار بسبب ذنوبهم ومعاصيهم ، فيخرجون من النار فحما قد احترقوا واسودوا وحمدوا لحرارة النار ولهيئها أعادنا الله منها ، فيلقون في نهر الحياة فيعودون كما كانوا وينبتون كما تنبت الحبوب في السيل المنهمر المتتابع ، ثم يدخلهم الله تعالى الجنة .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيقول الله تعالى : أخرجوا من هنا في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحياة ، أو العيا . فينبتون كما تنبت العبة إلى جانب السيل . ألم تروها كيف تخرج حفرًا ملتوية) ^(٢).

ولمسلم عنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم - أو قال بخطاياهم - فأما هم إماتة حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة فجئ بهم ضبائر ضبائر ^(٣) ، فثبوا على أثمار الجنة ، ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل ، فقال رجل من القوم : كان رسول الله محمد كان بالبادية ^(٤) .

(١) لسان العرب ج ٦ / ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .

(٢) البعاري في الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان ج ١ / ص ١٦ / ح ٢٢ ، ومسلم في الإيمان باب إثبات الشفاعة وإعراج

الموحدين من النار ص ١٠٢ ح ١٤٨ .

(٣) ضبائر : جماعات متفرقة ، أنظر لسان العرب ج ٤ ص ٤٨٠ .

(٤) مسلم في الإيمان باب إثبات الشفاعة وإعراج الموحدين من النار ص ١٠٣ ح ١٨٥ .

النص :

ثم الشفاعة ملك للإله ولا شريك جعل له في ملكه أحد
فليس يشفع إلا من يشاء وفي من شاء حين يشاء الواحد الصمد

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن الشفاعة ملك لله تعالى دون شريك له في ذلك فهو وحده الذي يملك الشفاعة يوم القيامة عز وجل سبحانه وتعالى وتعالى أن يكون له شريك في هذه الشفاعة .

أما أولئك الأشخاص الذين سبق وأن قلنا إنهم يشفعون يوم القيامة فليس معنى ذلك أنهم يشاركون الله في أمر الشفاعة، بل إنهم لا يشفعون إلا بإرادة الله وحده وبعد إذنه تعالى فالشفاعة ملك لله تعالى يهبها لمن ارتضى من عباده .

أما تلك الآلهة والأصنام التي يعبدونها المشركون ويعتقدون أنها تقرهم إلى الله ، وتنفعهم أو تضرهم ، ومن ذلك أنها تملك لهم الشفاعة من دون الله فقد رد الله تعالى عليهم بقوله : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ [سورة النحل: ٢٢] . وقال تعالى : ﴿ وَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَتَفْهَمُونَ هَوْلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلِ اتَّقُوا اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَتَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة النحل: ١٨] .

فهذه الآلهة لا تملك لهم ضرا ولا نفعاً من دون الله ، ولا تملك لهم شفاعة عند الله تعالى، بسبل إن عبادتهم لهذه الآلهة تحرم عليهم الشفاعة ، لأن الشفاعة إنما تكون لأهل التوحيد خاصة.

قال شيخ الإسلام (فالذي تنال به الشفاعة هي شهادة الحق، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، لا تنال بتولي غير الله لا الملائكة ولا الأنبياء ولا الصالحين ، فمن ولي أحد من هؤلاء ودعاه وحج إلى قبره أو موضعه ونذر له وحلف به وقرب له القرابين ليشفع له لم يغن عنه من الله شيئا وكان من أبعد الناس عن شفاعته وشفاعة غيره فإن الشفاعة إنما تكون لأهل توحيد الله وإخلاص القلب والدين له، ومن تولى أحدا من دون الله فهو مشرك، فهذا القول والعبادة التي يقصد به المشركون الشفاعة يحرم عليهم الشفاعة فالذين عبدوا الملائكة والأنبياء والأولياء والصالحين - ليشفعوا لهم - كانت عبادتهم إياهم وإشراكهم بهم الذي به طلبوا شفاعتهم : به حرموا شفاعتهم ، وعوقبوا بنقيض

قصدهم لأنهم أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً^(١).

فالشفاعة ملك لله تعالى ، لا شريك له في ذلك هو يهبها لمن يشاء من عباده .

شروط الشفاعة :

فليس يشفع إلا من يشاء وفي من شاء حين يشاء الواحد الصمد

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى شروط الشفاعة المقبولة يوم القيامة وهي :

١- رضا الله سبحانه وتعالى عن الشافع .

٢- رضا الله سبحانه وتعالى عن المشفوع فيه.

٣- إذن الله تعالى بالشفاعة .

ومن المعلوم أن الله تعالى لا يرضى إلا عن أهل التوحيد، ولا يأذن في الشفاعة إلا لهم ، قال تعالى : ﴿ يَتَوَمَّيذُ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ [١٠٩:٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ [٢٨:٥٧] .

وقد جمع الله تعالى هذه الشروط في قوله : ﴿ وَكَمِمْ مِثْلَكَ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا

إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم: ٢٦] .

فلا بد من رضى الله تعالى عن الشافع والمشفوع فيه ، وإذنه بالشفاعة.

والإذن بالشفاعة يتعلق بالشافع والمشفوع فيه ووقت الشفاعة، فليس يشفع إلا من أذن الله له

بالشفاعة ، وليس له أن يشفع إلا بعد أن يأذن الله له ، وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن الله تعالى

له أن يشفع فيه^(٢).

(١) الفتاوى ج ١٤ / ص ٤١٢ - ٤١٣ .

(٢) انظر فيما سبق : الشفاعة عند أهل السنة والجماعة ص ١٧ ، وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد ج ٢ / ص ٢٧٠ ،

ومعارج القبول ج ٢ / ص ٨٨٨ - ٨٨٩ ، البلور السافرة في أمور الآخرة للسيوطي ص ١١٩ - ١٣٠ .

النص :

ويخرج الله أقواما برحمته بلا شفاعاة لا يحصى لهم عدد
وليس يخلد في نار الجحيم سوى من كان بالكفر عن مولاه يعتمد
يا عظم ما ركبوا يا سوء ما نكبوا عن ربهم حجبا من فضله بعنوا

المفردات :

نكبوا : نكب فلان عن الصواب إذا عدل عنه، والمراد يا سوء ما عدلوا ومالوا إليه من الكفر والضلال^(١).

حجبا : الحجاب الستر^(٢). والمراد أنهم جعلوا بينهم وبين رحمة الله تعالى بهم وفضله عليهم حجابا وسترا بسبب ما وقعوا فيه من الكفر والضلال.

الشرح :

يشير الناظم - رحمه الله - في هذه الآيات أن رحمة الله وسعت كل شيء وأن الله تبارك وتعالى بعد أن يأذن للشافعين أن يشفعوا وتنتهي الشفاعاة فإن الله ينظر إلى أهل التوحيد ممن دخلوا النار فيأمر بإخراج من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان من أهل التوحيد فاللهم حرم لحومنا على النار برحمتك وفضلك وإحسانك لأن الخلود في النار إنما هو لأهل الشرك، أما أهل التوحيد فيخرجون من النار مهما عظمت ذنوبهم ، وذلك بالشفاعة المثبتة يوم القيامة، ثم برحمة أرحم الراحمين وفضله وكرمه ، أما أهل الشرك فليس لهم شفاعاة ذلك أن الشفاعاة في حقهم منفية، لأن الشفاعاة إنما تكون لأهل التوحيد، أما أهل الشرك فلا تنفعهم الشفاعاة ، وإنما هم خالدون في نار جهنم ، قال تعالى : ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [النار: ٤٨].

وقال تعالى : ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [النار: ١٨].

وقال تعالى : ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿ [النار: ١٠٠-١٠١].

وقد وضع رسول الله ﷺ أن من مات على الكفر فهو في النار لا تناله شفاعاة الشافعين ولا قرابة

(١) انظر لسان العرب ج ١ ص ٧٧٠.

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٢٩٨ .

المقرين حيث قال ﷺ: (استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي ، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي) (١).

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله أين أبي ؟ قال في النار ، فلما قفى دعاه فقال إن أبي وأباك في النار (٢).

وقول الناظم -رحمه الله- (يا عظم ما ركبوا . . .) يشير فيه على عظم ما فعله هؤلاء الكفار بكفرهم بالله تعالى وانحرافهم عن طريق الحق إلى طريق الضلال، وأن هذا هو السبب في حرمانهم من فضل الله ورحمته ، حيث جعلوا بينهم وبين فضل الله ورحمته سترا وحجابا بسبب كفرهم ، وهو بذلك يشير إلى حرمانهم من الشفاعة بسبب كفرهم لأن الشفاعة إنما تكون لأهل التوحيد خاصة.

(١) مسلم كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه ص ٣٧٧ ح ٩٧٦ .

(٢) مسلم في الإيمان باب بيان من مات على الكفر فهو في النار ص ١١٢ ح ٢٠٣ .

المبحث الثامن

باب الإيمان بالنظر إلى الله عز وجل

هذا الباب متعلق بما قبله حيث أن النظر إلى الله سبحانه وتعالى ، من الأمور المتعلقة باليوم الآخر فبعد أن ذكر الناظم -رحمه الله- جملة من الأمور المتعلقة بذلك اليوم ذكر هنا النظر إلى الله عز وجل حيث أنه أفضل وأعظم ما ينعم به الله تعالى على عباده يوم القيامة.

الـــــــص :

والمؤمنون يرون الله خالقهم يوم اللقا وعده الصدق الذي وعدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى مذهب أهل السنة والجماعة في رؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة وهو أن المؤمنين يرون الله تعالى يوم القيامة عيانا كما يرون الشمس والقمر ليس دونهما سحب قال تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وقال تعالى : ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [٣٥:٥].

وقال تعالى : ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [الهمزة: ٢٢-٢٣].

وقال تعالى : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۖ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المؤمنين: ٢٢-٢٣].

فقد استدلل أهل السنة والجماعة بهذه الآيات على رؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة حيث أمسا واضحة الدلالة على ذلك لا تقبل تحريفا ولا تبديلا ولا ينكرها إلا مكابر معاند. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قلنا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تشارون في رؤية الشمس والقمر إذا خانتكم صحوا ؟ قلنا : لا قال : (فإنكم لا تشارون في رؤية ربكم إلا خما تشارون في رؤيتهما) (١).

وعن صهيب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا أدخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون أله تبيض وجوهنا ؟ أله تدخلنا الجنة وتنجينا من النار قال : فيكشفهم العجايب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم

(١) البخاري في التوحيد باب (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ج ٦ / ص ٢٧٠٦ / ح ٧٠٠١ ومسلم في الإيمان باب

معرفة طريق الرؤية ص ١٠٠ ح ١٨٣ .

عز وجل) ثم تلا هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (١).

قال الإمام الطحاوي :

(والرؤية لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق بها كتاب ربنا، ﴿وَجُودُ يَوْمٍ نَظِيرُهُ﴾^(٢) إِلَى رَبِّهَا نَظِيرُهُ﴾^(٣) [المعجم: ٢٢-٢٣] وتفسيره على ما أراد الله وعلمه وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد ، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا ، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله ﷺ ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه) (٣).

وقد أكد شيخ الإسلام ابن تيمية رؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة كما صرحت بذلك الأدلة من القرآن والسنة فقال: (وإنما المهم الذي يجب على كل مسلم اعتقاده أن المؤمنين يرون ربهم في الدار الآخرة ، في عرصة القيامة وبعد ما يدخلون الجنة على ما تواترت به الأحاديث عن النبي ﷺ عند العلماء بالحديث، فإنه أخير ﷺ أنا نرى ربنا كما نرى القمر ليلة البدر والشمس عند الظهيرة لا يضام في رؤيته، ورؤيته سبحانه هي أعلى مراتب الجنة وغاية مطلوب الذين عبدوا الله مخلصين له الدين وإن كانوا في الرؤية على درجات حسب قربهم من الله ومعرفتهم به، والذي عليه جمهور السلف أن من جحد رؤية الله في الآخرة فهو كافر، فإن كان ممن لم يبلغ العلم في ذلك عرف ذلك كما يعرف من لم تبلغه شرائع الإسلام فمن أصر على الجحود بعد بلوغ العلم له فهو كافر) (٣).

وقول الناظم -رحمه الله- (يوم اللقاء وعده الصدق الذي وعدوا) يشير به إلى أن رؤية المؤمنين لربهم إنما تكون في الدار الآخرة في يوم القيامة وذلك إنفاذاً لوعده الصادق لهم برؤيتهم له يوم اللقاء هو يوم القيامة ، قال تعالى : (تحييتهم يوم يلقونه سلام)

وقال تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنكُم مِّنْ لَّقَوِّهِ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وقال تعالى : ﴿قَالَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ أَنَّهُمْ مِّنْ لَّقَوِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩] .

(١) مسلم في الإيمان باب إثبات رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة ص ٩٩ ح ١٨٠ .

(٢) انظر شرح الطحاوي ص / ٢٠٧ .

(٣) انظر الفتاوى ج ٦ / ص ٤٨٥ - ٤٨٦ .

قال شيخ الإسلام : (أما اللقاء فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة والمشاهدة بعد السلوك والمسير ، وقالوا إن لقاء الله يتضمن رؤيته تعالى واحتجوا بآيات اللقاء على من أنكر رؤية الله في الآخرة من الجهمية كالمعتزلة وغيرهم) (١).

وقال ابن القيم : (وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والمنايع اقتضى المعاينة والرؤية) (٢).

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في رؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة ، أما المخالفون من الخوارج والمعتزلة كالجهمية فقد أنكروا الرؤية واستدلوا على ذلك بالكثير من الأدلة العقلية والنقلية نكتفي بذكر دليل واحد من كل نوع ونرد عليه.

أما دليلهم العقلي فهو :

قولهم بأن القول بجواز الرؤية يلزم أن يكون المرئي جسما والأجسام متماثلة، وهذا تكذيب لقوله تعالى : ﴿فَاطِرُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا وَمِنْ الْاَنْعَامِ اَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيْهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [النور: ١١].

الرد عليهم : نقول لهم (إن كان يلزم من جواز رؤية الله تعالى أن يكون جسما فليكن ، لأن لازم قول الله ورسوله حق ولكن لا يلزم أن يكون هذا الجسم كالأجسام المخلوقة كما أنكم أنتم تقولون إن الله ذاتا لا تشبه الذوات فنحن نقول : إذا كان يلزم أن يكون جسما فله جسم لا يشبه الأجسام لأن أجسام المخلوقين حادثة بعد أن لم تكن ، ومكونة من أجزاء لا يقوم بعضها إلا ببعض لكن الخالق عز وجل لا يكون جسما بهذا المعنى أبدا وعند ذلك نقول لهم : هذا الذي ذكرتموه إن كان لازما من النصوص فهو حق وإن لم يكن لازما فلا تلزمونا به ، ويكفي أن نمنع كما مر.

وأما دليلهم النقلي فهو قوله تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْاَبْصَارُ﴾ [الاحقاف: ١٠٣].

حيث جعلوا هذه الآية دليلا على نفي الرؤية .

الرد عليهم :

إن الله سبحانه وتعالى ذكر هذه الآية في سياق التمدح ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات

(١) الفتاوى ج ٦ ص ٤٦٢ .

(٢) انظر حادي الأرواح ص ٢٦٩ .

الثبوتية وأما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح به وإنما يمدح الرب تعالى بالنفي إذا تضمن أمراً وجودياً، كمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة.. الخ ولهذا لم يمدح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثبوتياً، فإن المعلوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعلوم فيه، فإذا المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به. فقله تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [١٠٣: ٣١]. يدل على كمال عظمته وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث لا يحاط به ، فإن الإدراك وهو الإحاطة بالشئ قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى : ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٥١﴾ [النساء: ٦١-٦٢].

فلم ينف موسى عليه السلام الرؤية وإنما نفى الإدراك ، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك ، كما يعلم ولا يحاط به علماً^(١).

النص :

يرونه في مقام الحشر حين ينأ	ديهم ليتبع الأقوام ما عبدوا
فيتبع الجرم الأنداد تقلبهم	إلى جهنم وردا ساء ما وردوا
والمؤمنون لمولاهم قد انتظروا	إذا تجلى لهم سبحانه سجدوا
إلا المنافق يبقى ظهره طبقا	إذ في الحياة إذا قيل اسجدوا مردوا

المفردات :

الأنداد : جمع ند بالكسر ، وهو مثل الشئ الذي يضاده في أمور ويناديه أي يخالفه، ويريد بها ما كانوا يتخذونه آلهة من دون الله تعالى^(٢).

مردوا : المارد العاتي ، ومرد على الشئ ومرد أي عتا^(٣) وطغا^(٤).

(١) راجع فيما سبق : حادي الأرواح ص ٢٦٧ - ٢٧٧ ، نقض تأسيس الجهمية لابن تيمية ج ١ ص ٥٤٥-٥٥٥ ، وج ٢ / ص ٣٤٨-٣٥٠ مختصر الصواعق للمرسلة لابن القيم ج ١ / ص ٢٨٠-٢٨١ ، شرح الطحاوية ص ٢٠٧-٢١٨ ، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ج ١ / ص ٤١٢-٤٢٢ ، الكواشف الجلية لمعاني الواسطية ص ٤٠١-٤١٣.

(٢) انظر لسان العرب ج ٣ / ص ٢٢٠ .

(٣) عتا : أي تكبر وتجبّر، المرجع السابق ج ١/ ص ٢٨ .

(٤) المرجع السابق ج ٣ / ص ٤٠٠ بتصرف ، وترتيب القاموس المحيط ج ٤ / ص ٢٢٤ .

الشرح :

بعد أن قرر الناظم -رحمه الله- مذهب أهل السنة والجماعة في رؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة، شرع هنا في ذكر المواطن التي يرى فيها المؤمنون ربهم يوم القيامة ، فذكر أن المؤمنين يرون الله تعالى في مقام الحشر حين ينادي الناس ويأمرهم بأن يتبعوا ما كانوا يعبدون فيتبع الكفار ما كانوا يعبدون من دون الله من الأصنام والأشجار والشمس والقمر فيتساقطون جميعاً في النار كما قال تعالى : ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا ۝١٨٦ ﴾ [م: ١٨٦].

وقال تعالى : ﴿ لَوْ كُنْتَ هَاتُولَاءِ ۖ إِلَٰهَةً مَّا وَرَدُّوهَا وَكَلَّ فِيهَا مَحْلِلُونَ ۝١٨٧ ﴾ [الأنعام: ١٨٧].

وقال تعالى : ﴿ بَلَدْتُمْ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ۝١٨٨ ﴾ [م: ١٨٨].

أما المؤمنون فإنهم ينتظرون إلههم الحق الذي كانوا يعبدون في الدنيا ، وهو الله سبحانه وتعالى في ذلك الموقف فإذا تجلى لهم خروا له سجداً إجلالاً وتعظيماً، إلا المنافق فإنه لا يستطيع السجود في ذلك الموقف إذ يبقى ظهره طبقاً أي مستوياً، فلا يتمكن من السجود ، لأنه كان في الحياة الدنيا إذا أمر بالسجود لله تعالى سجدوا نفاقاً ورياءً تكراراً وتجبراً.

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝١٨٩ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ ذُلًّا ۖ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ۝١٩٠ ﴾ [الهم: ١٨٩-١٩٠].

هذا وقد أشار رسول الله ﷺ إلى هذا المعنى في أكثر من حديث ومن ذلك :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة .. الحديث وفيه (حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر فيقال لهم ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم وأنا سمعنا منادياً ينادي : ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإننا نتظر ربنا قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رآوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون : أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه فيقولون : الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويقي من كان يسجد لله رياءً وسمعةً فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً. . . الحديث (١).

(١) لمعرفة المزيد من الأحاديث في هذا الباب انظر كتاب الرؤية للدار قطني وحادي الأرواح ص ٢٧٧ / ٣١٨ .

النص :

كذا الزيادة في يوم المزيد إذا على النجائب للرحمن قد وفدوا
فالأنبياء كذا الصديق والشهداء على منابر نور في العلا قعدوا
وغيرهم من أولي التقوى مجالسهم كتيان مسك ألا يا نعمة المهد
من فوقهم أشرف الرحمن جل ونا داهم سلام عليكم كلهم شهدوا

المفردات : النجائب : جمع نجيبة وهو الفاضل من كل حيوان^(١).

كتيان : جمع كتيب وهي تلال الرمل^(٢).

الشرح :

في هذه الأبيات يشير الناظم - رحمه الله - إلى موطن آخر من المواطن التي يرى فيها المؤمنون رحمهم يوم القيامة هو يوم المزيد مشيراً بذلك إلى قوله تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وقوله تعالى (لهم ما يشاعون فيها ولدنيا مزيد) [ق - ٣٥] وقد جاء في تفسير قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة أن الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى الله تعالى^(٣).
وتفسير قوله تعالى (لهم ما يشاعون فيها ولدنيا مزيد) أي لهم ما تشتهي أنفسهم وتلذ أعينهم من فنون النعم وأنواع الخير . ولدنيا مزيد من النعم التي لا تحظر لهم على بال ولا مرت لهم في خيال^(٤).

فالمؤمنون يرون الله تعالى في ذلك اليوم وهو يوم المزيد عندما يفدون عليه ويتقدمون إليه تحمّلهم النجائب فيجلس الأنبياء والصديقون والشهداء على منابر من نور، ويجلس باقي المؤمنين من أهل التقوى والصلاح على تلال من المسك تكريماً من الله تعالى لهم ، ثم يشرف عليهم الرحمن جل وعلا من فوقهم ، ويناديهم قائلاً لهم سلام عليكم، ويكشف عنه الحجاب فيراه جميع المؤمنين في ذلك الموقف.

قال تعالى : ﴿تَجِيئُهُمْ بِيَوْمٍ يَتْلَقُونَهُ سَلَامٌ﴾ [أحزاب: ٤٤] .

(١) انظر لسان العرب ج ١ / ص ٧٤٨ بتصرف وترتيب القاموس المحيط ج ٤ / ص ٣٢٤ .

(٢) انظر لسان العرب ج ١ / ص ٧٠٢ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ج ٢ / ص ٤٢٩ - ٤٣٠ .

(٤) انظر فتح القدير للشوكاني ج ٥ / ص ٧٨ .

وقال تعالى : ﴿ سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴾ [س: ٥٨].

قال ابن القيم : (قد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث عصابة الإسلام ، ونزل الإيمان وخاصة رسول الله ﷺ أن الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة بالأبصار عيانا كما يرى القمر ليلة البدر صحوا وكما ترى الشمس في الظهيرة فإن كان لما أخير الله رسوله عنه من ذلك حقيقة وأن له والله حق الحقيقة، فلا يمكن أن يروه إلا من فوقهم لا يستحالة أن يروه من أسفل منهم أو خلفهم أو أمامهم أو عن يمينهم أو عن شمالهم. . . الخ^(١)).

النص :

يرونه جهرة لا يمترون كما للشمس صحوا يرى من ما به رمد

المفردات : لا يمترون : المرية والمرية : الشك والجدل^(٢)

صحوا : الصحو : ذهاب الغيم^(٣)

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى حديث رسول الله ﷺ المتقدم في الرؤية والذي يدل على أن المؤمنين يرون الله تعالى يوم القيامة كما يرون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحب وكما يرون القمر ليلة البدر ليس دونه سحب.

قال شارح الطحاوية :

(وليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيها لله تعالى ، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا المرئي بالمرئي .. إلى أن قال (وإنما لم نره في الدنيا لعجز أبصارنا ، لا لإمتناع الرؤية، فهذه الشمس إذا أمدق الرائي البصر في شعاعها ضعف عن رؤيتها لا لإمتناع في ذات المرئي بل لعجز الرائي فإذا كان في الآخرة أكمل الله قوى الآدميين حتى أطاقوا رؤيته^(٤)).

(١) انظر حادي الأرواح ص ٣١٩ .

(٢) انظر لسان العرب ج ١٥ ص ٢٧٧ .

(٣) المرجع السابق ج ١٤ ص ٤٥٢ .

(٤) انظر شرح الطحاوية ص ٢٢٠ .

النص :

هناك يذهل كل عن نعيمهم و هذا النعيم فيما نعيمهم حسدوا

المفردات : يذهل : الذهل تركك الشيء ، تنساه على عمد أو يشغلك عنه شغل^(١).

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن أعظم نعيم لأهل الجنة هو رؤية الله لدرجة أنهم يذهلون بهذا النعيم ويشغلون به عن سائر نعم الجنة ، التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فما أفضله من نعيم ، وما أعظمها من كرامة يتأهلها أهل الجنة.

النص :

وذا لهم أبدا في كل جمعهم بشري وطوبى لمن في وفدهم يفد

المفردات : طوبى : فعلى من الطيب ، والمعنى أن العيش الطيب لهم ، وطوبى شجرة في الجنة قال

تعالى : ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنُ مَّقَامٌ ﴾ [الزمر: ٢٩] ^(٢).

الشرح :

يشير الناظم -رحمه الله- في هذا البيت إلى أن المؤمنين يرون الله تعالى في الدار الآخرة في كل يوم جمعة ، وهي بشارة عظيمة تدل على طيب عيشهم ومقامهم في الدار الآخرة فيا للبشارة العظيمة ويا للعيش الطيب الكريم لمن يفد من المؤمنين على الله تعالى في ذلك اليوم.

عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ((إن أهل الجنة يرون ربهم تعالى في كل يوم جمعة في ديار المأثور وأقربهم منه مجلساً أسرعهم إليه يوم الجمعة وأبصرهم حسدوا)) ^(٣).

مما سبق نستطيع أن نقول: (أن الإيمان برؤية الله تعالى في الدار الآخرة هو : الاعتقاد الجازم بأن المؤمنين يرون ربهم عياناً في عرصة القيامة وفي الجنة ويكلمهم ويكلمونه).

(١) انظر لسان العرب ج ١١ / ص ٢٥٩ .

(٢) المرجع السابق ج ١ / ص ٥٦٤ - ٥٦٥ .

(٣) رواه الآجري في الشريعة ص ٦٥٣ ، وذكره ابن القيم في حادي الأرواح ص ٢٠٦ ، وذكره ابن بطي في الإبانة ج ٣

ص ٤١ ، وقال عنه حسن لغوه وإسناده ضعيف وله شواهد.

ومسألة الرؤية من المسائل التي وقع فيها النزاع بين أهل السنة وغيرهم وقد اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القرون، والمخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة^(١).

هذا وقد ذكر ابن القيم في كتابه حادي الأرواح كلاما طيبا عن يوم المزيد رأيت من المناسب ذكره في هذا الباب حيث قال (هذا .. وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه فاستمع يوم ينادي النادى : يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحي على زيارته فيقولون سمعا وطاعة وينهضون إلى الزيارة مبادرين فإذا بنحائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين وحتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعدا وجمعوا هناك فلم يغادر الداعي منه أحدا أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك ثم نصبت لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة وجلس أدناهم وحشاهم أن يكون فيهم ديني على كتابان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم العطايا حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم نادى النادى يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار فينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرفت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فلماذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه وقد أشرف عليهم من فوقهم فقال يا أهل الجنة سلام عليكم فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ويضحك إليهم ويقول يا أهل الجنة فيكون أول ما يسمعون منه تعالى أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني فهذا يوم المزيد فيجتمعون على كلمة واحدة قد رضينا فارض عنا فيقول يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي هذا يوم المزيد فسألوني فيجتمعون على كلمة واحدة أرنا وجهك ننظر إليك فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى إنه يقول يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا يذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول يا رب ألم تغفر لي ؟

(١) انظر الكواشف الجلية لمعاني الراسخية ص ٤٠١ .

فيقول بمغفرتي بلغت منزلتك هذه .
فيا لذة الاستمتاع بتلك المحاضرة ويا قرّة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة
ويا ذلة الراجعين في الصفقة الخاسرة ﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۝ إِلَٰهِي رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ وَوَجُودٌ يَوْمَئِذٍ
بَاسِرَةٌ ۝ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝ ﴾ [الحج: ٢٢-٢٥] .^(١)

المبحث التاسع

باب الإيمان بالقدر خيره وشره

الـ ص :

كذلك بالقدر المقدور تؤمن من خير وشر وذا في ديننا عمد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى الركن السادس من أركان الإيمان ، وهو
الإيمان بالقدر خيره وشره فيقول إنه يجب علينا الإيمان بالقدر الذي قدره الله سبحانه وتعالى لنا
وكتبه علينا سواء كان هذا القدر خيرا أم شرا ، إن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان
في الدين الإسلامي .

معنى القضاء والقدر :

القضاء في اللغة : الحكم^(٢)

وفي الاصطلاح : إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال .

القدر في اللغة : التقدير^(٣) .

(١) انظر حادي الأرواح ص ٢٦٥-٢٦٦ .

(٢) لسان العرب ج ٥ ص ١٨٦ .

(٣) المرجع السابق ج ٥ ص ٧٤ .

وفي الاصطلاح : هو ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد^(١).
فالقضاء والقدر متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ولهذا نقول أن القضاء والقدر متباينان إن
اجتمعا ومترادفان إن افرقا على حد قول العلماء (هما كلمتان إن اجتمعتا افرقتا وإن افرقتا
اجتمعتا)^(٢).

الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الإيمان بالقدر :

أ / من الكتاب

قال تعالى : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ۝ ﴾ [الأحزاب: ٣٨]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝ ﴾ [الحق: ٤٩]

وقال تعالى : ﴿ لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۝ ﴾ [الأهال: ٤٢]

ب / من السنة

قول الرسول ﷺ في حديث جبريل (وتؤمن بالقدر خيره وشره)^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله
من المؤمن الضعيف وفيه خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن
أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ولعن قل قدر الله وما شاء فعل فإن
لو تفتح عمل الشيطان)^(٤). وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قول النبي ﷺ له (وأعلم
أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك)^(٥).

إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر .

بيان معنى الخير والشر في القدر :

الشر في القدر ما لا يلائم طبيعة الإنسان بحيث يحدث له به أذية أو ضرر ، الخير ما يلائم طبيعته
بحيث يحصل له به خير أو ارتياح وسرور كل ذلك من الله عز وجل .

(١) انظر لواع الأنوار البهية ج ١ / ص ٤٣٥ ، ٣٤٨ بتصرف.

(٢) انظر شرح الواسطية لابن عثيمين ج ٢ / ص ٥٩٧ ، والقضاء والقدر لمحمد بن إبراهيم الحمد تعليق الشيخ عبد العزيز بن
باز ص ٢٧-٤٨ .

(٣) مسلم كتاب الإيمان / ص ٨٦ ح ٨ .

(٤) مسلم كتاب القدر ، باب الأمر بالقوة وترك المعجز ص ١٠٦٩ ح ٢٦٦٤ .

(٥) الترمذي ج ٤ / ص ٦٦٧ ح ٢٥١٦ في القيامة ، باب رقم ٥٩ وقال هذا حديث حسن صحيح .

ولكن كيف يقال أن في قدر الله شر وقد قال النبي ﷺ (الشر ليس إليه)؟
فالجواب على ذلك أن يقال :

الشر في قدر الله ليس باعتبار تقدير الله تعالى له ، ولكنه باعتبار المقدور ذلك أن لدينا قدرا ومقدورا كما أن هناك خلقا ومخلوقا وإرادة ومرادا فباعتبار تقدير الله له ليس بشر بل هو خير حتى وإن كان لا يلائم طبيعة الإنسان ويؤذيه ويضره ولكن باعتبار المقدور، فنقول المقدور إما خير وإما شر فالقدر خيره وشره يراد به المقدور خيره وشره قال تعالى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

ففي هذه الآية يبين الله تعالى ما حدث وسببه والغاية منه فالفساد شر وسببه الإنسان والغاية منه ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون.

فكون الفساد يظهر في البر والبحر فيه حكمة فهو نفسه شر لكن لحكمة عظيمة بما يكون تقديره خيرا كذلك المعاصي والكفر شر وهو من تقدير الله لكن لحكمة عظيمة لولا ذلك لبطلت الشرائع ولولا ذلك لكان خلق ذلك عبثا فتبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه بل كل ما نسب إليه فهو خير والشر إنما صار شرا لأنقطاع نسبته وإضافته إليه فلو أضيف إليه لم يكن شرا وهو سبحانه خالق الخير والشر فالشر في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله وخلقه وفعله وقضاؤه وقدره خير كله.

ولهذا تنزه سبحانه وتعالى عن الظلم الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه ، فلا يوضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها وذلك خير كله والشر وضع الشيء في غير موضعه فإذا وضع في موضعه لم يكن شرا فعلم أن الشر ليس إليه .

والإيمان بالقدر خيره وشره لا يتضمن الإيمان بكل مقدور بل المقدور ينقسم إلى كوني وشرعي فالمقدور الكوني : إذا قدر الله عليك مكروها فلا بد أن يقع رضيت أم أبيت.

والمقدور الشرعي : قد يفعله الإنسان وقد لا يفعله لكن باعتبار الرضاء به إن كان طاعة لله وحب الرضاء به وإن كان معصية وحب سخطه ومحاربه وكراهيته والقضاء عليه كما قال الله تعالى : ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَنْتَعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾

وعلى هذا يجب علينا الإيمان بالمقضي كله من حيث كونه قضاء الله عز وجل أما من حيث نسبته إلى غير الله فقد نرضى به وقد لا نرضى فلو وقع الكفر من شخص فلا نرضى بالكفر منه لكن نرضى بأن الله أوقعه (١).

النــــــــــــــــص :

ولا منافاة بين الشرع والقدر ————— محتوم لكن أولوا الأهواء قد مردوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أمر من الأمور المتعلقة بالقضاء والقدر، وهو أن الإيمان بالقدر مرتبط بامتثال الشرع وامتثال الشرع مرتبط بالإيمان بالقدر وانفكاك أحدهما عن الآخر محال.

فإن الإقرار بالقدر مع الاحتجاج به على الشرع ومحاربه به مخاصمة الله تعالى في أمره وشرعه ووعدته ووعيده وثوابه وعقابه وطعن في حكمته وعدله وانتقادا عليه في إرسال الرسل وإنزال الكتب وخلق الجنة لأوليائه المصدقين بها وخلق النار لأعدائه المكذبين، ونسبة لأحكام الحاكمين وأعدل العادلين الحكيم في شرعه العدل في قوله وفعله وحكمه إلى العبث والظلم في ذلك كله.

وكذلك الإنقياد في الشرع مع نفي القدر وإخراج أفعال العباد من قدرة الباري وجعلهم مستقلين بها مستغنين عنه طعن في ربوبية المعبود وملكوته ونسبته إلى المعز ووصفه بما لا يستحق الألوهية ولا يتصف بها مما لا يبدى ولا يعيد ولا يغي عنك شيئا تعالى ربنا وتقدس وتنزه جل وعلا عما يقول الظالمون الجاحدون علوا كبيرا بل الإيمان بالقدر خيره وشره هو نظام التوحيد كما أن الإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجزه عن شره واستعانة الله عليها هو نظام الشرع ولا يتنظم أمر الدين ولا يستقيم إلا لمن آمن بالقدر وأتمثل الشرع كما قرر النبي ﷺ الإيمان بالقدر ثم قال لما قيل له: أفلا تتكل على كتابنا وتدع العمل؟ قال (لا ، ولكن اعملوا فكل ميسر لما خلق له) (٢).

(لكن أولوا الأهواء قد مردوا) يقصد به القدرية والجبرية الذين حادوا عن طريق الحق ومالوا عنه إلى طريق الباطل.

(١) انظر شفاء العليل ج ٢ / ص ٦٣-٢٧٠ شرح الطحاوية ص ٥١٧-٥١٨ شرح الواسطية لابن عثيمين ج ٢ ص ٥٩٩-٦٠١.

(٢) انظر : معارج القبول ج ٣ / ص ٩٥٢-٩٥٣ .

أما القدريّة^(١) :

وهم أتباع معبد الجهني^(٢) لأنه أول من تكلم بالقدر، فقد نفوا القدر وزعموا منافاته للشرع فعملوا الله تعالى عن علمه وقدرته وجعلوا العبد مستقلا بأفعاله، خالقاً لها، فهم يقولون إن أفعال العباد وطاعتهم ومعاصيهم لم تدخل تحت قضاء الله وقدره فاثبتوا قدرة الله على أعيان المخلوقين وأوصافهم ونفوا قدرة الله على أفعال المكلفين، وقالوا إنه لم يردها ولم يشأها منهم، وهم الذين أرادوها وشأوها وفعلوها استقلالا، وأنكروا أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فاثبتوا خالقاً مع الله، بل جعلوا كل الخلق خالقين، وهم الذين ورد فيهم الحديث إنهم (محموس هذه الأمة)، ويقال لهم القدريّة النفاة ومذهبهم باطل لأنه إشراك في الربوبية .

أما الجبرية^(٣) :

فهم أتباع الجهم بن صفوان الترمذي زعيم المعطلة فقد أثبتوا القدر واحتجوا به على الشرع ونفوا عن العبد قدرته واختياره التي منحه الله إياها وكلفه بحسبها وزعموا أن الله كلف عباده ما لا يطاق فهم يقولون أن العبد مجبور على فعله وحركاته وأفعاله اضطرارية كحركة المرتعش والعروق النابضة وكحركات الأشجار في مهب الريح وإضافتها إلى الخلق مجاز وإنا الله هو فاعل تلك الأفعال فهي فعله حقيقة لا أفعالهم والعبد ليس له قدره ولا إرادة ولا فعل له البتة .

ولا شك في فساد هذا المذهب وبطلانه حيث أن أدلة الكتاب والسنة والعقل متواطئة على رده وبطلانه^(٤).

(١) سبق الحديث عنهم في المقدمة ص ٥٥ .

(٢) معبد الجهني: هو معبد بن خالد الجهني القنري تابعي مبتدع، وهو أول من أظهر القدر بالبصرة، قتله الحجاج بن يوسف سنة ٨٠هـ. أنظر تقريب التهذيب ج ٢ ص ٥٣٩. والمجروحون لابن حبان ج ٣ ص ٣٥. والتاريخ الكبير للبخاري ج ٧ ص ٣٣٩. والحقيقة أن معبد الجهني هو أول من قال بالقدر، والمعتزلة نسبة إلى واصل بن عطاء، الذي كان يميل إلى رأي معبد الجهني في مسألة القدر، ولهذا يسمونه أحياناً بالمعتزلة، وأحياناً بالقدريّة.

(٣) سبق الحديث عنهم في المقدمة ص ٥٦ .

(٤) انظر أعلام السنة المنشورة ص ١٤١، الكواشف الجلية لمعاني الواسطية ص ٤٥٦-٥٠٠.

النص :

فإن الإيمان بالاقدار مرتبط بالشرع ذا دون هذا ليس يتعقد
إياه نعبئ إذعاننا لشرعته بالنهي منجزين الأمر نعتقد
ونستعين على كل الأمور به إذ كلها قدر من عنده ترد

المفردات :

إذعاننا : الإذعان في اللغة الإسراع مع الطاعة ^(١)، والمراد مدعين متقادين لما يأمر به الشرع
منجزين : الزجر المنع والنهي ، والانتهاز ^(٢)، والمراد متتهين عن كل ما نهي ومبتعدين عنه.

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم في البيت السابق حقيقة الارتباط بين القدر والشرع، وأنه لا منافاة
بينهما ، وذكر المذاهب الضالة في ذلك، شرع هنا في بيان المذهب الحق وهو مذهب أهل السنة
والجماعة ، وهو الإقرار بأن الإيمان بالقدر مرتبط بامتثال الشرع، وامتثال الشرع مرتبط بالإيمان
بالقدر وانفكاك أحدهما عن الآخر محال.

فالمؤمنون حقا يعبدون الله تعالى خاضعين لشرعته مؤتمرين بأمره ، ومتتهين بنهيه ، يفعلون
ما أمرهم به خالقهم، ويتتهون عما نهاهم عنه ، وإذا أصابتهم سراء شكروا ، وإن أصابتهم ضراء
صبروا ، ومستعينين بالله تعالى في سائر أمورهم ، لإيقانهم التام أن كل ما يحدث في هذا الكون
فهو بقدر الله تعالى .

وهم يعلمون أن الثواب والعقاب مترتب على الشرع فعلا وتركه لا على القدر ، ويعزون أنفسهم
بالقدر عند المصائب ، ولا يحتجون به على المعاصي والمعائب ، فإذا وفقوا لحسنه عرفوا الحق لأهله
فقــــالوا : ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدٰنَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا اَنْ هَدٰنَا اللّٰهُ ﴾ [الأنعام: ٤٣] ولم يقولوا كما قال الفاجر ﴿ اِنَّمَا اُوْتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [الأنعام: ٧٨]. وإذا اقترفوا سيئة
باعوا بذنبهم وأقروا به وقالوا كما قال الأبوان ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا اَنْفُسَنَا وَاِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا
لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الْخٰسِرِيْنَ ﴾ [الأنعام: ٢٣].

(١) انظر لسان العرب ج ١٣ ، ص ١٧٢ .

(٢) المرجع السابق ج ٤ ص ٣١٨ .

لم يحملوا ذنبهم وظلمهم على القدر، ويحتجوا به عليه ، ولم يقولوا كما قال إبليس . رب
 بما أغويتني) إذا أصابهم مصيبة رضوا بقضاء الله وقدره ، واستسلموا لتصرف ربهم ومالكهم
 تبارك وتعالى وقالوا كلمة الصابرين ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾
 ﴿[الفرقان: ١٥٩] ، ولم يقولوا كما قال الذين كفروا : ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا
 غُرًى أَئِذَا كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ
 بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

وبعد .. فهذا هو المذهب الحق في قضاء الله وشرعه الذي عليه أهل السنة والجماعة والذي
 ينبغي أن يتبعه كل مسلم^(١).

النــــــــــــــــص :

أحاط علما بما ربي وقدرها دقا وجللا ومن يشقى ومن سعدوا

الشرح :

قبل الشروع في شرح هذا البيت ، لابد من الإشارة إلى أن الإيمان بالقدر يقوم على أربع
 أركان أو دعائم تسمى مراتب القدر وأركانه ، وهي المدخل لفهم باب القدر ، ولا يتم الإيمان به
 إلا بتحقيقها كلها، فبعضها مرتبط ببعض ، فمن أقر بما جميعا أكمل إيمانه بالقدر ، ومن انتقص
 واحدة منها أو أكثر اختل إيمانه وهذه المراتب هي :

١ . العلم .

٢ . الكتابة .

٣ . المشيعة .

٤ . الخلق .

وفي هذا البيت يشير الناظم إلى المرتبة الأولى من مراتب القدر وهي مرتبة (العلم) وهو الإيمان بأن
 الله علم بكل شيء جملة وتفصيلا ، أزلا وأبدا ، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله ، أو بأفعال

(١) انظر الفتاوى ج ٨ / ص ٢٤٢-٢٤٣ التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية للشيخ فالح بن مهدي ص ٣٣٥-٣٣٨ ،

شرح الواسطية لابن عثيمين ج ٢ ص ٦٢٠-٦٢٤ ، معارج القبول ج ٣ / ص ٩٥٢ - ٩٥٣ ، أعلام السنة المنشورة

العباد، فعلمه محيط بما كان وبما سيكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون .

يعلم الموجود والمعدوم ، والممكن والمستحيل ، ولا يغيب عن علمه مثقال ذرة، في السماوات ولا في الأرض .

قد علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم فعلم أرزاقهم وآجالهم ، وأقوالهم وجميع حركاتهم وسكناتهم ، وأهل الجنة والنار من قبل أن يخلق الجنة والنار علم دق ذلك وجليله ، وكثيره، وقليله وظاهره وباطنه ، سره وعلايته ، مبدأه ومنتهاه ، علم كل ذلك بعلمه الذي هو صفته ومقتضى اسمه العليم الخبير ، عالم الغيب والشهادة علام الغيوب.

كما قال تعالى :

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الحشر: ٢٢]

﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [٣: ١٠]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سئل رسول الله ﷺ عن أبناء المشركين فقال (الله أعلم بما كانوا عاملين)^(١).

وعن علي رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالسا وفي يده عود ينكت به ، فرفع رأسه وقال (ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار، قالوا يا رسول الله : لم نعمل أفلا نتكل؟ قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له، ثم قرأ : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿١﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٢﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٣﴾﴾ [الزلزال: ٧-٩]^(٢).

(١) البخاري كتاب القدر باب الله أعلم بما كانوا عاملين ج ٦ / ص ٢٣٤٢ / ح ٦٢٢٤ ومسلم في القدر باب معنى كل مولود

يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ص ١٠٦٨ ح ٢٦٦٠ .

(٢) مسلم في القدر باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه ص ١٠٦٢ ح ٢٦٤٧ .

وهذه المرتبة قد اتفق عليها الرسل من أولهم إلى آخرهم واتفق عليها جميع الصحابة ومن تبعهم من هذه الأمة وخالفهم بحوس هذه الأمة القدرية الغلاة^(١).

النــــــــــــــــص :

من قبل إيجادها حقاً وسطرها
في اللوح جفت بها الأقلام والمدد
كيفية وزمان والمكان فلا يعدو امرؤ ما قضاه الواحد الصمد

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم إلى المرتبة الثانية من مراتب القدر وهي مرتبة (الكتابة) فالله تعالى قد كتب كل ما سبق به علمه من مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ ، كتب كيفية تلك المقادير وزمانها ومكانها ، وليس لأحد من الخلق أن يتجاوز شيئاً مما قضاه الله تعالى وقدره ، وكتبه في ذلك اللوح المحفوظ ، فكل ما يقع للخلائق فقد سجله الله تعالى في ذلك الكتاب.

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ

يَسِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٠] .

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [س: ١٧]

﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ [البقرة: ٥١]

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (حتسب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء)^(٢).

وقد أجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث على أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب ، والتي هي اللوح المحفوظ ، والذكر ، والإمام المبين والكتاب المبين^(٣). وهذه المرتبة يدخل فيها خمسة تقادير كلها ترجع إلى العلم وهي :

(١) شفاء العليل ج ١ / ص ٩٢٠-٩٢٤ ، القضاء والقدر ص ٦٢-٦٣ الكواشف الجلية لمعاني الواسطية ص ٦١٦ - ٦٢٠

شرح الواسطية ج ٢ ص ٦٠٤-٦٠٢ .

(٢) مسلم في القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ص ١٠٦٥ ح ٢٦٥٣ .

(٣) انظر شفاء العليل ج ١/ص ١١٥ - ١٢٣ ، معارج القبول ج ٣ / ص ٩٢٤-٩٢٨ ، القضاء والقدر ص ٦٣-٦٤ ،

شرح الواسطية ج ٢/ص ٦٠٧-٦١٠ الكواشف الجلية لمعاني الواسطية ص ٦٢٠-٦٢٤ .

١- التقدير العام

وهو تقدير الله لجميع الكائنات. بمعنى علمه بها وكتابته لها ومشيته وخلقها لها ، ويدل على هذا التقدير أدلة كثيرة منها :

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [المع: ٧٠].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال (يحتجب الله بمقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة - قال وكان يرحمه على الماء) (١).

٢- التقدير البشري (٢)

وهو التقدير الذي أخذ الله فيه الميثاق على جميع البشر بأنه ربهم وأشهدهم على أنفسهم بذلك والذي قدر الله فيه أهل السعادة وأهل الشقاوة .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَىٰ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]

وعن هشام بن حكيم أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال (أتبدا الأعمال أم قد قضيت القضاء؟ قال رسول الله ﷺ (إن الله أخذ طرية آدم من ظهوره ثم أخصصه على أنفصه ثم أنصص به في حفن فيه فقال هؤلاء في الجنة هؤلاء في النار فأهل الجنة همسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار همسرون لعمل أهل النار) (٣).

(١) سبق تخريجه ٢٤٣ .

(٢) علق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز على هذا التقدير قائلاً : التقدير البشري داخل في التقدير العام، ولهذا أعرض عنه أبو العباس ابن تيمية في العقيدة الواسطية ، وأكثر أهل العلم فيما أعلم) انظر الإيمان بالقضاء والقدر ، ص ٦٩ .

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في كتابه السنة بتحقيق الألباني ج ١ / ص ٧٣-٧٤ وقال الألباني إسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات ، والسيوطي في الدرر للنور ج ٣ / ص ٦٠٤ وقال أخرجه ابن جرير والآجري والبيهقي وابن مردويه في الأسماء والصفات .

٣- التقدير العمري

وهو تقدير كل ما يجري على العبد في حياته إلى نهاية أجله وكتابة شقاوته وسعادته والدليل على ذلك قول الرسول ﷺ: **إِنْ أَحْصَيْتُمْ بِمَجْعِ خَلْقِهِ نَبِيَّ بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نَظَفَهُ ثُمَّ يَحْشُونَ خَلْقَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَحْشُونَ مَخْضَعَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَرْسِلُ الْمَلَكُ فَيَنْفِخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيَأْمُرُ بِأَرْبَعِ خَلَعَاتٍ وَرَقَّةٍ وَأَجَلِهِ وَخَفِيِّهِ أَوْ سَعِيدٍ^(١).**

التقدير السنوي

وذلك في ليلة القدر من كل سنة قال تعالى: **﴿فِيهَا يُقَرَّرُ كُلُّ أَمْرِ حَكِيمٍ﴾** [الدخان: ٤١].
﴿تَنْزِيلُ الْمَلَكِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ^(٢) [الهدى: ٤-١٠].

والذي يكتب في هذه الليلة هو ما يحدث في هذه السنة من موت وحياة وعز وذل ورزق ومطر حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان^(٣).

التقدير اليومي

وبدل عليه قوله تعالى: **﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾** [الرحمن: ٢٩]. وقيل في تفسير هذه الآية شأنه أن يعز ويذل ويرفع وينفض ويعطي ويمنع ويغني ويفقر ويضحك ويبكي ويميت ويمحي وإلى غير ذلك^(٤). فالتقدير اليومي تفصيل من التقدير الحولي والحولي تفصيل من التقدير العمري، والعمرى تفصيل من التقدير البشري، والبشري تفصيل من التقدير العام الأزلي الذي خطه القلم في الإمام المبين والإمام المبين من علم الله وكذلك منتهى المقادير في أخرياتنا إلى علم الله فاتته الأوائل إلى أوليته وانتهت الأواخر إلى آخريته، قال تعالى: **﴿وَأُنْزِلُ إِلَيْكَ أَلْمُتْنَى﴾** [الهم: ٤٢].^(٥)

(١) البخاري، كتاب القدر ج ٦ / ص ٢٤٣٣ / ح ١٢٢١ مسلم كتاب القدر باب كيفية خلق آدمي ص ١٠٦٠ ح ٢٦٤٣.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ / ص ١٤٠، وفتح القدير للشوكاني ج ٤ ص ٥٧٢.

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ج ٤ / ص ٢٧٥ وفتح القدير ج ٥ / ص ١٣٦.

(٤) انظر معارج القبول ج ٣ ص ٩٢٨-٩٤٠ والإيمان بالقضاء ص ٦٩-٧١ أعلام السنة المنشورة ١٢٩-١٣٣، شرح

الواسطية ج ٢ / ٦٠٧-٦١١، الكواشف الجلية لمعاني الواسطية ص ٦٢٥-٦٢٧.

النــــــــــــــــص :

بقول كن ما يشاء أمضى بقدرته بالخلق والأمر رب العرش منفرد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى المرتبتين الثالثة والرابعة من مراتب القدر وهما مرتبة المشيئة ومرتبة الخلق فمرتبة المشيئة تقتضي الإيمان بمشيئة الله وقدرته الشاملة فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه لا حركة ولا سكون ولا هداية ولا إضلال إلا بمشيئته .
قال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص: ٦٨].

﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩]

وقال ﷺ (إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن تحلق بواحد يسره حيث يشاء) (١).

ومشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة يجتمعان فيما كان أو سيكون ويفترقان فيما لم يكن ولا هو كائن فما شاء الله كونه فهو كائن بقدرته لا محالة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [س: ٨٢].

وما لم يشأ الله لم يكن لعدم مشيئته تعالى إياه ، وليس لعدم قدرته عليه .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ [الأنعام: ٢٥].

فالسبب في عدم وجود الشيء هو عدم مشيئة الله تعالى لإيجاده ، لا أنه عجز عنه ، تعالى الله وتقدس وتنزه عن ذلك .

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [طه: ٤٤].

(١) مسلم كتاب القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء ص ١٠٦٥ ح ٢٦٥٤ .

وإرادة الله تنقسم إلى قسمين :

- ١- إرادة كونية قدرية : وهي مرادفة للمشئة ، وهذه الإرادة لا يخرج عن مرادها شيء ، فالمسلم والكافر تحت هذه الإرادة الكونية سواء ، فالطاعات والمعاصي كلها بمشيئة الرب وإرادته .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ أَفْلًا مَرَدُّ لَّهُ ﴾ [الروم: ١١]

وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا مَكْنُومًا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥] .

- ٢- إرادة شرعية دينية : وتتضمن محبة الرب ورضاه

قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] .

وقال تعالى : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

الفرق بين الإرادتين :

- ١- الإرادة الكونية قد يحبها الله ويرضاها ، وقد لا يحبها ولا يرضاها ، أما الشرعية فهي التي يحبها ويرضاها ، فالكونية مرادفة للمشئة ، والشرعية مرادفة للمحبة .
 - ٢- الإرادة الكونية مقصودة لغيرها : كخلق إبليس مثلا وسائر الشرور ، لتحصل بسببها محاب كثيرة كالتوبة والمجاهدة والاستغفار . أما الشرعية فمقصودة لذاتها ، فالله أراد الطاعة وأحبها وشرعها ورضيها لذاتها .
 - ٣- الإرادة الكونية لا بد من وقوعها ، فالله إذا أراد شيئا وقع لا بد ، كإحياء أحد أو إماتته ، أو غير ذلك ، أما الشرعية كالإسلام - مثلا - فلا يلزم وقوعها ، فقد تقع وقد لا تقع ، ولو كان لا بد من وقوعها لأصبح الناس كلهم مسلمين .
 - ٤- الإرادة الكونية متعلقة بربوبية الله وخلقه ، أما الشرعية فمتعلقة بألوهيته وشرعه .
 - ٥- الإرادتان مجتمعان في حق المطيع ، فالذي أدى الصلاة - مثلا - جمع بينهما ، وذلك أن الصلاة محبوبة لله ، وقد أمر بها ورضيها وأحبها ، فهي شرعية من هذا الوجه ، فمن هنا اجتمعت الإرادتان في حق المطيع .
- وتنفرد الكونية في مثل كفر الكافر ، ومعصية العاصي ، فكونهما وقعت فهذا يدل على أن الله شليها ، لأنه لا يقع شيء إلا بمشيئته ، وكونهما غير محبوبة ولا مرضية لله دليل على أنها كونية لا شرعية .

وتنفرد الشرعية في مثل إيمان الكافر، وطاعة المعاصي ، فكونها محبوبة لله تعالى فهي شرعية وكونها لم تقع مع أمر الله ومحبه لها ورضاه ، هذا دليل على أنها أيضا شرعية فقط، إذا هي مراده محبوبة لم تقع.

٦- الإرادة الكونية أعم من جهة تعلقها بما لا يحبه الله ولا يرضاه، من الكفر والمعاصي وأخص من جهة أنها لا تتعلق بمثل إيمان الكافر وطاعة الفاسق ، والإرادة الشرعية أعم من جهة تعلقها بكل مأمور به واقعا كان أو غير واقع ، وأخص من جهة أن الواقع بالإرادة الكونية قد يكون غير مأمور به ^(١).

وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم ، وجميع الكتب المنزلة من عند الله والفطرة التي فطر عليها خلقه وأدلة العقل والبيان ^(٢).

(بالخلق والأمر رب العرش منفرد) :

يشير الناظم هنا إلى المرتبة الرابعة من مراتب القدر وهي مرتبة الخلق :

وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بأن الله خالق كل شيء ، فهو خالق كل عامل وعمله، كل متحرك وحركته، كل ساكن وسكونه ، وما من ذرة في السماوات ولا في الأرض إلا والله خالقها وخالق حركتها وسكونها ، سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه ، بل كل ما سواه فهو مخلوق موجد من العدم، كائن بعد أن لم يكن

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر: ٦٢]

وقال تعالى : ﴿ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الزمر: ٢٠].

وقال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ [الزمر: ٦٤].

وإلى هذه الآية الأخيرة أشار الناظم في هذا الموضع فوضح أن الله منفرد بالخلق والأمر لا شريك له في ذلك، فالخلق قضاءه وقدره وفعله، والأمر شرعه الذي خلق وشرع وأمر، وأحكامه جارية على خلقه قدرا وشرعا ولا خروج لأحد عن حكمه الكوني القدري .

(١) انظر الفتاوى ج ٨ / ص ٢٩٧-٣٠٣ ، الإيمان بالقضاء والقدر ص ٩٧-١٠١ ، وشرح الواسطية ج ٢ / ص ٦١٣-٦١٤

شرح الطحاوية ص ٦٥٦-٦٥٩ ، أعلام السنة المنشورة ص ١٣٧ شفاء العليل ج ١ / ١٤١ وج ٢ ص ٢٨٧-٢٨٩ .

(٢) انظر شفاء العليل ج ١ / ص ١٢٥ بتصرف يسير .

أما حكمه الديني الشرعي، فيعصيه الفجار والفساق^(١).
قال رسول الله ﷺ (إِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ كُلَّ حَافٍ وَصَنَعَةٍ)^(٢).
وهذه المرتبة دلت عليها الكتب السماوية، وأجمع عليها الرسل عليهم الصلاة والسلام واتفقت
عليها الفطر القويمة والعقول السليمة^(٣).

النص :

وقدرة العبد حقاً مع مشيئته لكن لما شاء منه الله نعتقد
إذ كان ذاتاً وفعلًا كله علم إلا إذا جاءه من ربه المدد
من يهده الله فهو المهتدي وكذا من شاء إضلاله أنى له الرشيد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن للعباد قدرة ومشئته خاصة بهم ، ولكن
علينا أن نعتقد أن هذه القدرة والمشئته خاضعة لإرادة الله الكونية القدريّة ، وأنه لن يحدث في هذا
الكون شيء إلا بمشيئة الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [التكوير: ٢٩] .

فإن هذا الإنسان الذي يملك القدرة والمشئته الخاصة به ، كان في الأصل عدماً في ذاته
وفعله لولا أن الله تعالى خلقه وأوجده من العدم ، فهو ذاته وفعله عدم إلى أن جاءه المدد من الله
تعالى ، بأن من عليه بنعمة الخلق والإيجاد، وكذلك قدرته ومشئته معدومة لولا أن الله تعالى
أوجدهما فيه بإرادته الكونية القدريّة ، فالهداية والضلال كلها بيد الله تعالى ، فمن أراد الله له
الهداية فهو المهتدي ، ومن أراد الله له الضلال فليس له من هاد ، سوى الله يهديه إلى سبيل
الرشاد، فالعباد لهم قدرة على أفعالهم ولهم مشئته ، والله تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشئتهم
وأقوالهم وأفعالهم ، وهو الذي منحهم إياها ، وأقدرهم عليها وجعلها قائمة بهم مضافة إليهم
حقيقة وبحسبها كلفوا ، وعليها يثابرون ، ويعاقبون ، ولم يكلفهم الله تعالى إلا وسعهم ، ولم
يحملهم إلا طاقتهم ، وقد أثبت الله تعالى ذلك لهم في الكتاب والسنة ووصفهم به ، ثم أخرج تعالى

(١) انظر شفاء العليل ج ٢ / ص ٢٨٧ .

(٢) البخاري في خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأهل التعطيل ص ٢٥ ، باب أفعال العباد .

(٣) انظر شفاء العليل ج ١ / ص ١٤٥-١٥٠ الإيمان بالقضاء والقدر ص ٦٦ ومعارج القبول ج ٣ / ص ٩٤٠ .

أنهم لا يقدرّون إلا على ما أقدرهم الله عليه ولا يشاعون إلا أن يشاء الله عز وجل ولا يفعلون إلا بجملة إياهم فاعلين .

قال تعالى : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى وَمَنْ يُضِلِّمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٧٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الأنعام: ٣٠] .

وقال تعالى : ﴿ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

فكما أن العباد لم يوجدوا أنفسهم ، فإنهم كذلك لم يوجدوا أفعالهم ، فقد رهم ومشيتهم وأفعالهم تبع لقدرة الله تعالى ومشيتته وأفعاله . وليس مشيتهم وإرادتهم وأفعالهم هي عين مشيئة الله بل أفعالهم مخلوقة لله قائمة بهم مضافة إليهم حقيقة ، وهي من آثار أفعال الله تعالى ، القائمة به اللاحقة به ، المضافة إليه حقيقة . فالله فاعل حقيقة والعبد فاعل حقيقة والله تعالى هاد حقيقة ، والعبد مهتدي حقيقة ، ولهذا أضاف الله كلا الفعلين لمن قام به حقيقة ، قال تعالى : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى ﴾ [النحل: ١٧] . فإضافة الهداية إلى الله حقيقة ، وإضافة الاهتداء إلى العبد حقيقة ، كما أن الهادي تعالى ليس هو عين المهتدي فكذلك الهداية هي ليست عين الاهتداء ، وكذلك يضل الله من يشاء حقيقة ، وكذلك العبد يكون ضالا حقيقة ، وهو سبحانه خالق المؤمن وإيمانه ، والكافر وكفره .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنعام: ٢٠] .

أي ، الله هو الخالق لكم على هذه الصفة ، وأراد منكم ذلك كونا لا شرعا ، فلا بد من وجود مؤمن وكافر ، وهو البصير بمن يستحق الهداية بمن يستحق الضلال ، وهو شهيد على أعمال عباده وسيجزئهم بما أتم الجزاء ، ولهذا قال تعالى : وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . فأضاف الله تعالى الخلق الذي هو فعله القائم به إليه حقيقة ، وأضاف الإيمان والكفر الذي هو عملهم القائم بهم إليه حقيقة ، والله تعالى هو الذي جعلهم كذلك ، وهم فعلوه باختيارهم وقدرهم ومشيتهم التي منحهم الله إياها وخلقها فيهم وأمرهم ونهاهم بحسبها .

فالله سبحانه وتعالى في جميع تصرفاته في عباده فاعل حقيقة ، والعبد فاعل منفعل حقيقة ، فمن أضاف الفعل والانفعال إلى المخلوق كلاهما كفر^(١) ومن أضافهما كلاهما إلى الله كفر^(٢) ومن

(١) هذا قول القدرية ، وقد سبق الحديث عنهم في المقدمة ص ٥٥ .

(٢) هذا قول الجهمية وقد سبق الحديث عنهم في المقدمة ص ٥٢ .

أضاف الفعل إلى الله حقيقة والانفعال إلى المخلوق حقيقة، كما أضافهما الله تعالى فهو المؤمن حقيقة^(١).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

(اعلم أن الرب سبحانه وتعالى فاعل غير منفعل، والعبد فاعل منفعل، وهو في فاعليته منفعل للفاعل الذي لا يفعل بوجه). فالجبرية شهدت بكونه منفعلا يجري عليه الحكم بمنزلة الآلة، والمحل، وجعلوا حركته بمنزلة حركات الأشجار، ولم يجعلوه فاعلا إلا على سبيل المجاز، فقام وقعد وأكل وشرب وصلى وصام، عندهم بمنزلة مرض وألم ومات ونحو ذلك مما هو فيه منفعل عضوا. والقدرية شهدت بكونه فاعلا محضا غير منفعل في فعله.

وكل من الطائفتين نظر بعين عوراء، وأهل العلم والاعتدال أعطوا كلا من المقامين حقه ولم يطلوا أحد الأمرين بآخر، فاستقام لهم نظرهم ومناظرهم، واستقر عندهم الشرع والقدر، في نصابه، ومهدوا وقوع الثواب والعقاب على من هو أولى به، فثبتوا نطق العبد بحقيقته، وإنطاق الله له حقيقة.

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [ص: ٢١]. فالإنطاق فعل الله الذي لا يجوز تعطيله، والنطق فعل العبد الذي لا يمكن إنكاره^(٢) ولا بد هنا من الإشارة إلى بعض المسائل المتعلقة بالقضاء والقدر.

المسألة الأولى :

(إن سبق المقادير بالسعادة والشقاوة لا يقتضي ترك الأعمال بل الاجتهاد والحرص) يسبق إلى إفهام كثير من الناس أن القضاء والقدر إذا كان قد سبق فلا فائدة من الأعمال وأن ما قضاه الله وقدره لا بد من وقوعه فتوسط العمل لا فائدة فيه وهذا فهم غير صحيح .

وقد أجاب ابن القيم رحمه الله بما يدل على إن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه، بل يوجب الجهد والاجتهاد، ولهذا لما سمع أحد الصحابة ذلك قال: ما كنت أشد اجتهدا مني الآن.

(١) انظر أعلام السنة المنشورة : ص ١٣٩-١٤١ ، معارج القبول : ج ٣/ ص ٩٤٠-٩٤١ لمعة الاعتقاد: بشرح ابن عثيمين

ص ٩٥-٩٦ .

(٢) انظر شفاء العليل: ج ١، ص ٣٣٩-٣٤٩ .

وهذا مما يدل على جلالة فقه الصحابة ، ودقة أفهامهم ، وصحة علومهم ، فإن النبي ﷺ أخبرهم بالقدر السابق وجريانه على الخليفة بالأسباب، فإن العبد ينال ما قدر له بالسبب الذي أقدر عليه، ويمكن منه ، وهى له ، فإذا أتى بالسبب أوصله إلى القدر الذي سبق له في أم الكتاب، وكلما زاد اجتهادا في تحصيل السبب كان حصول المقدر أدنى إليه .

وهذا كما إذا قدر له أن يكون من أعلم أهل زمانه ، فإنه لا ينال ذلك إلا بالاجتهاد والحرص على التعلم وأسبابه .

وقد فطر الله تعالى الناس على الحرص على الأسباب التي بها مرام معاشهم ومصالحهم الدنيوية ، بل فطر الله على ذلك سائر الحيوانات ، فهكذا الأسباب التي بها مصالحهم الأخروية في معادهم، فإنه سبحانه رب الدنيا والآخرة ، وهو الحكيم بما نصبه من الأسباب في المعاش والمعاد ، وقد يسر كلا من خلقه لما خلق له في الدنيا والآخرة، فهو مهيا له ميسر له .

فإذا علم العبد أن مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها كان أشد اجتهادا في فعلها والقيام بها، منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه .

فالقدر السابق معين على الأعمال وما يبحث عليها مقتضى لها، لا أنه مناف لها وصاد عنها ، وهذا موضع مزلة قدم ، من ثبت قدمه فاز بالنعيم المقيم ، ومن زلت قدمه عنه هوى إلى قرار الجحيم، فالرسول ﷺ أرشد الأمة في القدر إلى أمرين هما سبب السعادة ، الإيمان بالقدر، فإنه نظام التوحيد والإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجز عن شره، وذلك نظام الشرع ، فأرشدهم إلى نظام التوحيد والأمر ، فأبى المنحرفون إلا القدر بإنكاره في أصل التوحيد والقدر بإثباته في أصل الشرع ، والخلق والأمر^(١) .

قال تعالى : فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٤٣﴾ [البقرة: ٢٤٣] .

والرسول ﷺ شديد الحرص على جمع هذين الأمرين للأمة ومن لم يتسع للأمرين معاف فهو عاجز^(٢) .

(١) أنظر شفاء العليل ج ١ ص ٧٦-٩٧ .

(٢) أنظر : شفاء العليل: ص ٧٦-٩٧ ، معارج القبول : ج ٣ ص ٩٥٤ .

المسألة الثانية :

أنه لا يجوز الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي وترك الواجبات .
ذلك أن الإيمان بالقدر لا يمنح العاصي حجة على ما ترك من الواجبات أو فعل المعاصي .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

(وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين وسائر أهل الملل وسائر العقلاء، فإن هذا لو كان معقولا لأمكن كل أحد أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس وأخذ الأموال وسائر أنواع الفساد في الأرض ويحتج بالقدر).

ونفس المحتج بالقدر إذا اعتدى عليه ، واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه بل يتناقض وتناقض القول دليل على فساده ، فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية العقول^(١).

وإنما يسوغ الاحتجاج بالقدر عند المصائب التي تلح بالإنسان كالفقر والمرض ونحو ذلك فهذا من تمام الرضا بالله ربا، فالاحتجاج إنما يكون على المصائب لا المعائب فالسعيد يستغفر من المعائب ، ويصير على المصائب.

كما قال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ [٥٥: ٥٥] . والشقي يجزع عند المصائب ، يحتج بالقدر على المعائب فما قدر من المصائب يجب الاستسلام له فإنه من تمام الرضا بالله ربا ، أما الذنوب فليس لأحد أن يذنب ويحتج بالقدر ، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب، فيتوب من المعائب ويصير على المصائب .

ومن يسوغ له الاحتجاج بالقدر ، التائب من الذنب ، فلو لامه أحد على ذنب تاب منه لساغ له أن يحتج بالقدر ، فيقول: هذا بقضاء الله وقدره، وأنا قد تبت ورجعت إلى الله تعالى^(٢).

المبحث العاشر

مجملة أركان الإسلام

النص :

هذا وقد بني الإسلام فإدراكه على خمس دعائم فاحفظ إنما العمدة

(١) الفتاوى: ج ٣ ، ص ١٧٩ ، اقتضاء الصراط المستقيم: لابن تيمية، ج ٢ ص ٨٤٨-٨٤٩ .

(٢) انظر الفتاوى: ج ٨ ، ص ٤٥٤ - ٤٥٥ ، شرح الواسطية: ج ٢ ، ص ٦٣٥-٦٣٠ .

المفردات :

دعائم : مفرداتها دعامة ، وهي عماد البيت الذي يقوم عليه ^(١).

العمد : عمود الأمر قوامه الذي لا يستقيم إلا به ^(٢).

الشرح :

بعد أن تحدث الناظم في الآيات السابقة عن مرتبة الإيمان ، شرع هنا في الحديث عن مرتبة الإسلام .

الإسلام في اللغة: الإنقياد والإذعان والخضوع ^(٣).

وفي الشرع : الاستسلام لله بالتروحيد ، والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [٢١٩: ١١٩].

وقال رسول الله ﷺ : (إِمَّا أَمَلْتُ الْعَبْدَ فَعَسَىٰ إِسْلَامُهُ يَحْضُرُ اللَّهَ مِنْهُ كُلُّ صِيَةٍ كَانَ أَزْمًا ، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقَاسِ الْعَصَةِ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ وَالصِّيَّةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ مِنْهَا) ^(٤).

فالإسلام قائم على خمس دعائم لا يستقيم ولا يكمل إلا بها ، والناظم هنا قد شبه الإسلام بالبناء ، وشبه أركانه بدعائم البناء ، وهذا البناء لا يستقيم إلا بوجود هذه الدعائم وإن اختلت إحدى الدعائم أو بعضها اختل البناء ، أما إذا اختلت جميع الدعائم فإن البناء يسقط ، وكذلك الأمر بالنسبة للإسلام ، إذا أقيمت دعائمه جميعا فإنه يصح ويكمل ، وإن اختل بعضها اختل الإسلام باختلالها ، وإن اختلت جميعا انتفى الإسلام .

والناظم هنا يشير إلى قول الرسول ﷺ : (بني الإسلام على خمس . . . الحديث) ^(٥)

وقول الناظم (فاحفظ إنما العمدة) .

(١) انظر : لسان العرب : ج ٢ ، ص ٢٠٢ .

(٢) للرجع السابق : ج ٣ ، ص ٣٠٤ .

(٣) انظر حاشية الأصول الثلاثة لمحمد بن عبد الوهاب ص ٤٦-٤٧ .

(٤) البخاري كتاب الإيمان باب حسن إسلام المرء ج ١ ، ص ٢٤ / ح ٤١ .

(٥) البخاري في الإيمان باب بني الإسلام على خمس ج ١ ، ص ١٢ حديث رقم " ٨ " مسلم في الإيمان باب أركان الإسلام

ص ٣٩-٤٠ ح ١٦ .

أي فحافظ على هذه الأركان وأدها كاملة كما أمرك الله بها ، فالإسلام قائم عليها ولا يكمل إلا بها جميعا لأنها قوامه الذي يقوم عليه .

الاسم :

هي الشهادة فاعلم والصلاة مع الـ — زكاة والصوم ثم الحج فاعملوا

الشرح :

في هذا البيت شرع الناظم في ذكر الدعائم والأركان التي يقوم عليها دين الإسلام وقدم الأهم فالأهم ، وهذه الدعائم تنقسم إلى قسمين :

قولية وعملية . فالقولية الشهادتان ، والعملية الباقي .

والعملية تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

بدنية : وهي الصلاة والصوم . ومالية : وهي الزكاة . وبدنية مالية : وهي الحج .
قال رسول الله ﷺ : (بني الإسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت)^(١) .
وأول هذه الأركان الشهادتان :

وهما شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، والشهادة هي: الاعتراف باللسان، والاعتقاد بالقلب، والتصديق بالجوارح.

ولهذا لما قال المنافقون للرسول ﷺ (نشهد أنك لرسول الله) كذبهم الله بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَذِبُونَ﴾ [النفاق: ١٠]

فلم ينفعهم هذا الإقرار باللسان لأنه خال من الاعتقاد بالقلب، وخال من التصديق بالعمل، فلم ينفع، لأن الشهادة لا تتحقق إلا بعقيدة في القلب واعتراف باللسان وتصديق بالعمل.

وكلمة (لا إله إلا الله) فيها نفي وإثبات .

تنفي الألوهية عن كل ما سوى الله .

وإثبات الألوهية لله وحده لا شريك له .

فإنه لا معبود يستحق أن يعبد إلا الله .

(١) سبق تقریبه ص ٢٥٤.

فنحن نحقق شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، والبعد عن كل ما يناقض ذلك قسولا أو عملا ، أو اعتقادا .

ونحقق شهادة أن محمدا رسول الله ، بأن نعتقد بقلوبنا ، ونعترف بألسنتنا ، ونطبق ذلك في متابعتنا صلى الله عليه وسلم بمحاورنا ، والعمل بهديه صلى الله عليه وسلم .

فالدخول في الإسلام لا يكون إلا بهاتين الشهادتين ، والخروج منه لا يكون إلا بمناقضتها ، إما بمحود لما دلنا عليه ، وإما باستكبار عما استلزمته ، ولهذا لم يدع رسول الله ﷺ إلى شيء قبلهما ، ولم يقبل الله ولا رسوله ﷺ شيئا دونهما ، وبالشهادة الأولى يعرف المعبود وما يجب له ، وبالشهادة الثانية يعرف كيف يعبد وبأي طريقة يصل إليه .

وهي أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده إذ هداهم إليها ، ولهذا ذكرها الله تعالى في سورة النحل التي هي سورة النعم ، فقدمها أولا قبل كل نعمة قال تعالى : ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢٠] .

وهي أصل الدين وأساسه ، وبقيّة أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها ، مكمّلات لها ومقيّدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها .

وبالجملة فإن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام ، وهي كلمة التقوى وهي العروة الوثقى ، ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب .

قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [الأنبياء: ٢٥٠] .^(١)

الصلوة :

وهي الركن الثاني من أركان الإسلام .

الصلوة لغة : الدعاء^(٢) .

(١) انظر الدين الخاص ج١ ، ص ١٢٤-١٣٠ ، معارج القبول ج٢ ، ص ٤٠-٤١ ، القول المفيد ج١ ، ص ٧٩-٨٣ .

(٢) أنظر لسان العرب ج١٤ ص ٤٦٤ .

وشرعا : أقوال وأفعال مخصوصة مفتوحة بالتكبير ، ومختمة بالتسليم ^(١).

قال تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال رسول الله ﷺ : (بني الإسلام على خمس . . .) ^(٢). وذكر منها الصلاة وقال رسول الله ﷺ : (رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله) ^(٣) وهي أحد أركان الإسلام بعد الشهادتين ، وأفضل الأعمال بعدهما ، وهي أول ما يشترطه ﷺ بعد التوحيد، وهي ثانية أركان الإسلام ، في الفريضة، فرضها الله تعالى على رسوله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج في السماء، على خلاف سائر الشرائع، فدل ذلك على تأكد وجوبها وقد فرضها الله تعالى خمسين صلاة، ثم خففت إلى خمس صلوات في اليوم والليلة . وهي مشتملة على حل أنواع العبادة ، من الاعتقاد بالقلب، والإنقياد والإخلاص ، والمحبة والخشوع، والخضوع والمشاهدة، والمراقبة والإقبال على الله تعالى ، وإسلام الوجه له والصمود إليه ، والإطراح بين يديه، وعلى أقوال اللسان وأعماله من الشهادتين وتلاوة القرآن ، والتسبيح والتحميد ، والتهليل والتكبير ، والأدعية والتعوذ ، والاستغفار والاستغاثة ، والإفتقار إلى الله تعالى والثناء عليه ، والاعتذار من الذنب إليه ، والإقرار بالنعم له، وسائر أنواع الذكر .

وعلى عمل الجوارح من الركوع والسجود والقيام ، والاعتدال والخفض وغير ذلك هذا ما تضمنته من الشرائط والفضائل، منها الطهارة الحسية من الأحداث والأنجاس الحسية والمعنوية من الإشرار والفحشاء والمنكر وسائر الأرجاس، وإسباغ الوضوء على المكاره ونقل الخطأ إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، وغير ذلك مما لم يجتمع في غيرها من العبادات ولهذا قال

(١) انظر : حاشية الروض المربع: شرح زاد المستقنع : ج ١ ، ص ٤١٠-٤١١ .

(٢) سبق تفريجه ص ٢٥٤ .

(٣) رواه أحمد : ٥ ، ص ٢٣١-٢٣٧ ، والترمذي ج ٥ ، ص ١١-١٢ ، حديث رقم ٢٦١٦ في الإيمان ، وقال هذا حديث

حسن صحيح، وابن ماجه : ج ٢ ، ص ١٣١٤ ، حديث رقم : ٣٩٧٣ في الفتن وصححه الألباني أنظر صحيح سنن

الترمذي ج ٢ ص ٣٢٩ وصحيح سنن بن ماجه ج ٢ ص ٣٥٩ ح ٣٩٧٣

النبي ﷺ (وجعلت قرعة عيني في الصلاة) ^(١).

ولا شتمها على معاني الإيمان سماها الله تعالى إيماناً ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ
إِيمَانَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

حكم ترك الصلاة :

ترك الصلاة جحوداً وإنكاراً لها ، كفر وخروج من ملة الإسلام ، بإجماع المسلمين أما من
تركها مع إيمانه بها واعتقاده فرضيتها ، ولكنه تركها تكاسلاً أو تشاغلاً عنها فقد صرح
الأحاديث بكفره ووجوب قتله على اختلاف بين العلماء في ذلك ^(٢).

الزكاة :

هي الركن الثالث من أركان الإسلام .

الزكاة لغة : النماء والزيادة والتطهير ^(٣).

وشرعاً : حق واجب في مال مخصوص لطائفة مخصوصة ، في وقت مخصوص ^(٤).

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ [البقرة: ١١٠] . وقال تعالى : ﴿ خُلَا مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً
تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [البقرة: ١١٠].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : بايعته رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء
الزكاة ، والنصح لحلهم ^(٥) . ولما للزكاة من مكانة عظيمة في الإسلام فقد قرنها الله تعالى
بالصلاة ، في اثنين وثمانين آية ، وقد فرضها الله تعالى بكتابه وسنة رسوله وأجمعت الأمة على
فرضيتها.

وكانت فريضة الزكاة بمكة في أول أيام الإسلام مطلقة لم يحدد فيها المال وإنما ترك ذلك

(١) حاشية الروض المربع ج ١ ، ص ٤٩ ، انظر معارج القبول ج ٣ / ٦٢١-٦٢٨ .

(٢) معارج القبول : ج ٣ ص ٦٢٦ - ٦٢٨ ، انظر : فقه السنة : ج ١ ص ٨٣ .

(٣) أنظر لسان العرب ج ١٤ ص ٣٥٨ .

(٤) انظر فقه السنة : ج ١ ص ٨٣ ، معارج القبول : ج ٣ ص ٦٢٩-٩٣١ .

(٥) البخاري : كتاب الزكاة باب البيعة على إيتاء الزكاة ج ٢ ص ٥٠٧ حديث رقم ١٣٣٦ .

لشعور المسلمين وكرمهم، وفي السنة الثانية من الهجرة - على المشهور - فرض مقدارها في كل نوع من أنواع المال ، وبينت بياناً مفصلاً.

ولأهمية الزكاة في الإسلام فقد حذر الله سبحانه وتعالى من منعها، وأعد العقوبة الشديدة لمن منعها . قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٥٤﴾ [التوبة: ٣٤]. وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ما من حاكم طمعه ولا فحشه لا يؤدّي حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفعت له صفائح من نار فأحمي عليها ناري نار جهنم ، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له ناري يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد ، فيرى سبيله ، إما إلى الجنة وإما إلى النار . . . الحديث)^(١).

حكم مانعها :

الزكاة من الفرائض التي أجمعت عليها الأمة واشتهرت شهرة جعلتها من ضروريات الدين، بحيث لو أنكر وجوبها أحد خرج عن الإسلام، وقتل كفراً إلا إذا كان حديث عهد بالإسلام، فإنه يعذر لجهله بأحكامه .

أما من امتنع عن أدائها مع اعتقاده وجوبها ، فإنه يأثم بامتناعه دون أن يخرج ذلك عن الإسلام، وعلى الحاكم أن يأخذها منه قهراً ويعزره ، ولو امتنع قوم عن أدائها مع اعتقادهم وجوبها وكانت لهم قوة ومنعة فإنهم يقاتلون عليها حتى يعطوها^(٢) .

(١) مسلم في الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة ص ٣٨٢ ح ٩٨٧ .

(٢) انظر حاشية الروض المربع : ج ٣ ص ١٦٢-١٦٣ ، وص ٣٩٣ - ٣٩٤ ، فقه السنة : ج ٢ ، ص ٢٩٢-٢٩٣ ، معارج

القبول : ج ٣ ص ٦٣١ - ٦٣٧ .

الصيام :

هو الركن الرابع .

الصيام لغة : مجرد الإمساك^(١) .

وشرعا إمساك بنية عن أشياء مخصوصة ، في زمن معين من شخص معين .

وهو ركن من أركان الإسلام وفرض من فروضه ، دل عليه الكتاب والسنة . قال

تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الصَّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]

وقال رسول الله ﷺ : (بني الإسلام على خمس . .) وذكر منها صيام رمضان . والصيام

وسيلة إلى التقوى ، لما فيه من قهر النفس وترك الشهوات ، والزهد في الدنيا ، والترغيب فيما عند

الله ، ولما فيه من الرحمة والعطف على المساكين .

وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع كفر من جحد وجوبه ، أما من تركه عمدا مع الإقرار

بوجوبه فإنه يقتل ما لم يتب^(٢) .

الحج :

هو الركن الخامس .

الحج لغة : القصد^(٣) .

وشرعا : قصد مكة لعمل مخصوص في زمن مخصوص^(٤) .

وهو أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام ، أجمع المسلمون على أنه ركن من أركان الإسلام وفرض

من فروضه . قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ

غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٧] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل ؟ قال ،

إيمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال ، جهاد في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال ، حج

(١) لسان العرب ج ٢ ص ٣٥٠ .

(٢) انظر حاشية الروض المربع : ج ٣ ص ٣٤٤-٣٤٦ ، فقه السنة : ج ١ ص ٣٨١ - ٣٨٢ .

(٣) لسان العرب ج ٢ ص ٢٢٦ .

(٤) انظر حاشية الروض المربع ج ٣ ص ٤٥٨ .

هبرور^(١). ومن الحكم في فرضية الحج والله أعلم (ليشهدوا منافع لهم) سواء كانت منافع دنيوية أو أخروية ، كما ذكر الله تعالى ذلك في كتابه وليس لحاجته تعالى إلى الحاجاج كما يحتاج المخلوق إلى من يقصده ويعظمه ، فإن الله تعالى غني عن العالمين .

وقد أخرج الحج عن الصلاة والزكاة والصوم ، لأن الصلاة عماد الدين ، ولشدة الحاجة إليها ، وتكررها كل يوم خمس مرات . ولكونها أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة ، ثم الزكاة لكونها قرينة لها في أكثر المواضع من الكتاب والسنة ، ولشمولها المكلف وغيره ، ثم الصوم لتكرره كل سنة .

والحج يتكرر كل عام إلا أن الفرق بينه وبين الصيام أن الحج يجب في العمر مرة واحدة ، أما الصيام فإنه يتكرر كل عام ، ويجب في كل عام لذلك قدم على الحج . ولا شك في أن من أنكر وجوب الحج فقد كفر^(٢).

وقول الناظم "فاعتمدوا"

أي فالتزموا هذه الأركان ، وحافظوا عليها لأنها عماد الدين فإن ضيعتموها فلا إسلام لكم.

النــــــــــــــــص :

وذروة الدين أعلاها الجهاد حمى لحقه ولأهل الكفر مضطهد

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم أركان الإسلام الخمسة شرع هنا في ذكر الجهاد لما له من الأهمية العظيمة في دين الإسلام ، حيث عده بعض العلماء ركنا سادسا . ولما كانت الصلاة والزكاة والصوم والحج ، تحتاج إلى طمأنينة وظهور يد لإقامتها والتصدي لمن نهي عنها ، كان الجهاد لازما ، لذلك ذكره الناظم عقب هذه الأركان . الجهاد لغة : بذل الطاقة والوسع .

وشرعا : بذل الجهد في قتال الكفار ، ويطلق أيضا على مجاهدة النفس والشيطان والفاسق . وهو

(١) البحاري كتاب الحج باب الحج المعور ج ٢ ص ٥٥٣ ح ١٤٧ .

(٢) انظر حاشية الروض المربع : ج ٣ ص ٤٩٨-٥٠٠ ، فقه السنة : ج ١ ص ٥٤٩-٥٥١ .

فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقي ، وقد فرضه الله تعالى في السنة الأولى من الهجرة .
والأدلة على فرضيته كثيرة منها :

قوله تعالى : ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ﴾ [الحج: ٣٩] .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝٤٠ ﴾ [مائدة: ٤٠] .

وقال رسول الله ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يخصدوا أن لا إله إلا الله ...
الحديث) (١) .

وقال رسول الله ﷺ : (رأس الأمر الإسلام ، ومعونته الصلاة وطروقه مناهج البصائر
في سبيل الله) (٢) . فالجهاد ذروة سنام الإسلام ، وأرفع خصاله ، لأن فيه بذل المهج والنفوس
دفاعاً عن الدين ، وإقامة لشرائعه ، وقتالاً لأهل الكفر ، وتصدياً لهم ليكون الأمر كله لله .
والجهاد هو الذي يفرق بين الإيمان الحقيقي والإيمان المدعي ، فمن صدق إيمانه بذل مهجته
وماله لربه ، لعلمه أن في الجهاد خيري الدنيا والآخرة ، وفيه إحدى الحسنين ، إما النصر وإما
الشهادة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۝١١١ ﴾ [البقرة: ١١١] . (٣)

المبحث الحادي عشر

جامع وصف الإحسان

النص :

هذا والإحسان في سر وفي علن
أصل ومعناه عن خير الورى يرد
أن تعبد الله باستحضار رؤيته
إياك ثم كمن إياه قد شهدوا

(١) البعاري : في الإيمان باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فعلوا سيئهم ج ١ ص ١٧-٢٥ . مسلم : في الإيمان باب
الأمر بقتال الكفار ص ٤٢ ح ٢٠ .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٥٧ .

(٣) انظر حاشية الروض المربع : ج ٤ ص ٢٥٣ - ٢٥٨ .

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم إلى المرتبة الثالثة من مراتب الدين وهي مرتبة الإحسان. فيقول : إن الإحسان في السر والعلن أصل من أصول هذا الدين ومرتبة من مراتبه، بل هو أعلى مراتب دين الإسلام وأعظمها خطراً ، ذلك أن أهلها المودون لها على وجه الكمال هم السابقون بالخيرات ، المستحقون أعلى الدرجات عند الله تعالى .

والإحسان في اللغة هو : إجادة العمل وإتقانه وإخلاصه .

وفي الشرع : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ^(١).

قال تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النمل:١٢٨].

وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [التكوير:٣٠]. فالإحسان أصل من أصول الدين ، ومرتبة من مراتبه ، بل هو أعلى مراتب الدين، وقد ورد معناه عن خير الورى وهو سيدنا محمد ﷺ ، حيث فسر الإحسان تفسيراً جامعاً ، لا يستطيعه أحد من المخلوقين ، وذلك لما أعطاه الله إياه من جوامع الكلم ، فقال ﷺ : (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ^(٢).

وقول الناظم :

أن تعبد الله باستحضار رؤيته إياك ثم كمن إياه قد شهدوا

إشارة إلى هذا المعنى الذي ذكره الرسول ﷺ .

فالإحسان بهذا المعنى يكون على درجتين ، وللمحسنين في الإحسان مقامان متفاوتان :

المقام الأول :

وهو أعلاهما : وهو مقام المشاهدة ، بأن تعبد الله كأنك تراه ، وهو أن يعمل العبد على مقتضى

(١) انظر معارج القبول ج ٢ ص ٦١١ .

(٢) سبق تحريجه ص ٨٩ .

مشاهدته لله عز وجل بقلبه، فمن عبد الله عز وجل على استحضار قربته منه وإقباله عليه، وأنه بين يديه كأنه يراه، أوجب له ذلك الخشية والخوف، والهيبه، والتعظيم فعبد الله حق عبادته.

المقام الثاني :

مقام الإخلاص : وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله له، وإطلاعه عليه وقربه منه وذلك بمنعه من الالتفات إلى غير الله تعالى، وإرادته بالعمل، فيكون بذلك مخلصاً لله تعالى .

وهذا المقام هو الوسيلة الموصلة للمقام الأول، ولهذا أتى به النبي ﷺ تعليلاً للأول، فقال: (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) .

والناظم قد ذكر مقام الإخلاص أولاً، ثم ذكر مقام المشاهدة، ذلك أن مقام المشاهدة لا يتحقق إلا بعد تحقق مقام الإخلاص، فإذا استحضر العبد في عبادته لله تعالى رؤية الله تعالى له وقربه منه، وإطلاعه على سره، سهل عليه بعد ذلك الانتقال إلى مقام المشاهدة فعبد الله كأنه يراه بقلبه وهذا أعلى وأعظم مقام للإحسان (١).

(١) انظر أعلام السنة للنشورة : ص ١٤٦ ، معارج القبول: ج ٣ ص ٩٩٨-١٠٠٣، حاشية الأصول الثلاثة ص ٦٤-٦٩.

المبحث الثاني عشر

"باب نواقض الإسلام أعاذنا الله منها"

بعد أن تحدث الناظم رحمه الله في الأبواب السابقة عن أصول الدين الإسلامي "الإسلام والإيمان والإحسان" شرع في هذا الباب في الحديث عن نواقض هذا الدين، التي تخرج الإنسان من التوحيد إلى الكفر بالله تعالى، فإشار إلى أن الإنسان لا يخرج من الإيمان إلا إذا أنكر وجحد ما دخل به فيه، ذلك أن الإنسان يدخل الإيمان بالإقرار والتصديق بالشهادتين، فإن صدر عنه ما ينافي هذا الإقرار فقد خرج من الإيمان إلى الكفر.

ثم أشار بعد ذلك إلى أن المعاصي التي يرتكبها الإنسان لا تخرجه من الإيمان، إلا إذا استحلها. ثم أشار إلى أقسام الكفر الاعتقادي المخرج عن الله ثم أشار إلى الشرك الأصغر الغير مخرج عن الله وذكر بيان أنواعه، وكفارته، ومنى يصح هذا الشرك شركاً كما سيأتي بيان ذلك من خلال الشرح.

النــــــــــــــــص :

وليس يخرج من الإسلام داخله إلا بإنكار ما فيه به يرد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن الإنسان لا يخرج من دين الإسلام إلا إذا أنكر أمراً من الأمور التي جاء بها الإسلام ، ويقصد بذلك الأمور المعلومة من دين الإسلام بالضرورة لأنه عند ذلك يكون مكذباً للرسول ﷺ ، وللقرآن الكريم ، وهذا في حد ذاته كفر بالكتاب والسنة والإجماع .

قال الإمام الطحاوي :

"ولا يخرج العبد من الإيمان ، إلا بحدود ما أدخله فيه" . فالله تعالى قد جعل للإيمان والإسلام مدخلاً وباباً يدخل منه وهو الإقرار والتصديق بالشهادتين ، فمن دخل في الإسلام من هذا الباب فإنه لا يخرج منه إلا إذا صدر عنه قول أو عمل أو اعتقاد ينافي هذا الإقرار وهذا التصديق.

والناظم بهذا البيت يشير إلى نواقض الإسلام ، وهي كثيرة متعددة ، قد أوجملها شيخ

الإسلام محمد بن عبد الوهاب في عشرة نواقض هي :

- ١- الشرك في عبادة الله .
 - ٢- من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ، ويسألهم الشفاعة ، ويتوكل عليهم كفر إجماعا .
 - ٣- من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم ، أو صحح مذهبهم فقد كفر .
 - ٤- من اعتقد أن غير هدى النبي أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه ﷺ فهو كافر^(١) .
 - ٥- من أبغض بشيء مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر .
 - ٦- من استهزأ من دين الرسول ﷺ ، أو ثواب الله أو عقابه كفر .
 - ٧- السحر ، ومنه الصرف والعطف ، فحسن فعله أو رضى به كفر .
 - ٨- مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين .
 - ٩- من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج على شريعة محمد ﷺ ، كما وسع الخضر عليه السلام الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر .
 - ١٠- الإعراض عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به^(٢) .
- هذه نواقض الإسلام ، التي إذا فعل المرء واحدا منها خرج بذلك من دائرة الإسلام ودخل في دائرة الكفر والعياذ بالله .

النــــــــــــــــص :

أما المعاصي التي من دون ذاك فلا تكفير إلا لمن للحل يعتقد

الشرح :

بعد أن أشار الناظم إلى نواقض الإسلام ، ذكر هنا أن المعاصي الخارجة عن هذه النواقض مهما عظمت فإنها لا تخرج المرء من الإسلام، إلا في حالة واحدة وهي حالة استحلاله لهذه المعصية، وإن لم يفعلها فمن استحل شيئا مما حرمه الله أي اعتقد بقلبه حليته فقد كفر بما أنزل على

(١) انظر شرح الطحاوية: ص ٤٥٨ .

(٢) انظر كتاب مجموعة التوحيد : ص ٢٣٢-٢٣٣ ، الإيمان أركانه حقيقته ونواقضه لمحمد نعيم ياسين ، ص ١٦٨-٢١٢ ،

شرح نواقض الإسلام لحسن بن علي العواحي .

محمد ﷺ .

ويقصد الناظم بالمعاصي كبائر الذنوب التي ليست بشرك ، وقد اختلف العلماء في تعريف الكبيرة، إلا أن أجمع تعريف لها هو (أنها كل معصية ترتب عليها حد في الدنيا ، أو وعيد في الآخرة أو ترتب عليها لعنة أو غضب أو نفي إيمان) (١).

قال الإمام الطحاوي :

(ولا تكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله) (٢).

وقال الإمام النووي :

(وأعلم أن مذهب أهل السنة، وما عليه أهل الحق، من السلف والخلف، أن من مات موحدا دخل الجنة قطعا على كل حال، . . . إلى أن قال : وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو تحت مشيئة الله تعالى ، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولا، وجعله كالقسم الأول، وإن شاء عذبه القدر الذي يريد الله سبحانه وتعالى ثم يدخله الجنة، فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل في المعاصي ما عمل، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ما عمل) (٣).

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في عصاة الموحدين من أهل الكبائر ، فإنهم يفسقون مرتكب الكبيرة، وهو عندهم كسائر المؤمنين لا يخرج من الإيمان بمعصيته، وحكمه في الدنيا أنه لا يسلب ، اسم الإيمان بالكلية ، بل يقال عنه أنه مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن عاص ، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، والحق أنه ليس بكافر عندهم كما هو مذهب الخوارج، ولا في منزلة بين المنزلتين كما هو مذهب المعتزلة . وأما حكمه في الآخرة فهو تحت مشيئة الله ، إن شاء عفا عنه وغفر له وأدخله الجنة برحمته وفضله ، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه، بعدله وحكمته ثم أدخله الجنة ، والحق أنه لا يخلد في النار خلافا لمذهب المعتزلة والخوارج الذين يحكمون عليه بالخلود في النار (٤).

(١) انظر شرح الطحاوية : ص ٥٢٥ ، لوامع الأنوار البهية : ج ١ ، ص ٣٦٥ .

(٢) انظر شرح الطحاوية : ص ٤٣٢ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم : ج ١ ، ص ٣٣١ .

(٤) انظر لوامع الأنوار البهية : ج ١ ، ص ٣٦٤ ، شرح الطحاوية : ص ٤٣٢ ، معارج القبول : ج ٣ / ١٠٣٩-١٠٤٠ .

النص :

والكفر إن كان عن جهل الكفور فتك ذيب ككفر قريش حينما مردوا

الشرح :

بعد أن أشار الناظم إلى نواقض الإسلام وذكر أن أهل المعاصي لا يكفرون إلا باستحلالهم لها : شرع هنا في ذكر أنواع الكفر الاعتقادي المخرج من الملة ، ذلك أن الكفر ينقسم إلى قسمين : كفر اعتقادي منافي لقول القلب وعمله ، ولأحدهما وهو مخرج من الملة .

كفر عملي ، لا ينافي قول القلب ولا عمله ، ولا يستلزم ذلك وهو كفر أصغر ينافي كمال الإيمان ، ولا ينافي مطلقه ، وسوف يأتي الحديث عنه .

وأما أنواع الكفر الاعتقادي فقد أشار الناظم في هذا البيت إلى النوع الأول منها وهو : (كفر الجهل والتكذيب) وهو ما كان ظاهرا وباطنا ، كغالب كفار قريش ، ومن قبلهم من الأمم ، الذين تكبروا وتجبروا عن قبول الحق ، وذلك لجهلهم وسفاهة عقولهم .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [١٧٠:٨٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨] .

النص :

أو كان عن علمه فهو الجحود ككفر سار اليهود الأولى بالمصطفى جمعدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى النوع الثاني من أنواع الكفر ، وهو كفر الجحود . وهو ما كان بكتمان الحق وعدم الإنقياد له ظاهرا ، مع معرفته والعلم به باطنا ، ككفر فرعون وملاءه بموسى عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا ﴾ [الزل: ١٤].
 وككفر اليهود بمحمد ﷺ قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ [البقرة: ٨٩].
 وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ قَرَّبْنَا بِلْمَتِهِمْ لِيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦].

النــــــــــــــــص :

أو بالإباء مع الإقرار فهو عنا د كالرجيم إذ الأملاك قد سجدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى النوع الثالث من أنواع الكفر وهو كفر (العناد والاستكبار) وهو ما كان بعدم الإنقياد للحق مع الإقرار به، ككفر إبليس عندما رفض السجود لسيدنا آدم عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤].

النــــــــــــــــص :

أو أبطن الكفر بالإسلام مستتراً فهو النفاق فهذه أربع ترد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى النوع الرابع من أنواع الكفر وهو "كفر النفاق" وهو ما كان بعدم تصديق القلب وعمله ، مع الإنقياد ظاهراً رياء الناس ، ككفر ابن سلول وحزبه والذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨-٩].

وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠].

وقول الناظم : "فهذه أربع ترد" ؟ إشارة إلى أنواع الكفر الأربعة ، التي ذكرها ، فهي ترد وتنفع

بين الناس مما يخرجهم عن دائرة التوحيد^(١).

النص :

مقابلات لقول القلب مع عمل منه وقول لسان معه يتعقد
كذا لسان أعمال الجوارح فأعـ لم أربع قابلتها فاستوى العدد

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم أنواع الكفر ، شرع هنا في ذكر الأمور الجامعة للإيمان وهي : قول القلب وقول اللسان ، وعمل القلب ، وعمل اللسان وسائر الجوارح ، كما سبق أن بينا ذلك.

فذكر أن أنواع الكفر الأربعة معاكسة ومضادة لهذه الأمور الأربعة الجامعة للإيمان ، أو مستلزمات الإيمان الأربع .

وقول الناظم : "فاستوى العدد" يقصد به الماثلة في العدد، فكما أن للكفر أربع أنواع فإنه للإيمان أربعة لوازم، فتساوى عدد الأنواع، وعدد المستلزمات ، وإن كانت متضادة ومتعاكسة في المعنى^(٢).

المبحث الثالث عشر

(باب شرك دون شرك وكفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسوق دون فسوق ونفاق دون نفاق)

النص :

والشرك قد جاء منه أصغر وهو أل رياء ممن سوى الرحمن ما عبدوا
كمن يصلي لسري ثم زينها لما يرى أن إليه ناظر أحد

(١) أشار الناظم إلى أن الكفر أربعة أنواع فقط وقد ذكر ابن القيم نوعاً خامساً وهو كفر الشك ، وهو كفر الظن أي التردد بين التصديق والتكذيب ، كما ذكره شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب . انظر: مدارج السالكين: ج ١ ، ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، وكتاب مجموعة التوحيد ص ١٠ .

(٢) انظر أعلام السنة المنشورة : ١٤٦-١٤٩ ، كتاب مجموعة التوحيد ، ص ١٠ عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمتبعين للبهية، ج ١ ، ص ٣٤٤-٣٤٦ .

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم إلى القسم الثاني من أقسام الشرك وهو الشرك الأصغر^(١). فيقول إن من أنواع الشرك الأصغر الرياء الذي يصدر عن بعض الموحدين الذين لا يعبدون إلا الله، إلا أن بعض أعمالهم قد يخالطه الرياء .

تعريف الرياء لغة : رأيت الرجل مراعاة ورياء، أي أريته أنني على خلاف ما أنا عليه .

وهو مصدر من رأي يرائي مراعاة عمل عملاً ليراه الناس^(٢).

الرياء شرعاً : ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه^(٣).

قال الحافظ بن حجر : وهو مشتق من الرؤية ، والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها^(٤) ويدخل في الرياء من عمل العمل ليسمعه الناس ، ويقال له مسمع .

قال رسول الله ﷺ : (من سمع سمع الله به . ومن يرائي يرائي الله به)^(٥).

والفرق بين الرياء والسمعة أن الرياء لما يرى من العمل كالصلاة، والسمعة لما يسمع كالقراءة والوعظ والذكر، ويدخل في ذلك الحديث بما عمله . قال تعالى : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ

فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [التكوير: ١١٠] .

والرياء خلق ذميم وهو من صفات المنافقين .

قال تعالى : ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتَّالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا

[النساء: ١٤٢] .

والرياء من الشرك الأصغر ، وهو وإن لم يكن مخرجاً من الملة، إلا أنه منقصة لثواب العمل، ورعاً أحبط العمل بالكلية إن زاد وغلب.

(١) أما القسم الأول وهو الشرك الأكبر فقد سبق ذكره، والفرق بينهما أن الأكبر مخرج من الملة، والأصغر غير مخرج من الملة ولكنه ينقص ثواب العمل، وقد يحبطه إن غلب وزاد.

(٢) انظر لسان العرب: ج ٤ ، ص ٢٩٦ ، والقول المفيد، ص ٢٧٦ .

(٣) انظر التعريفات للرحراني : ص ١١٣ .

(٤) انظر فتح الباري : ج ١١ ، ص ٣٣٦ .

(٥) البخاري في الرقاق باب الرياء والسمعة ج ٥/ص ٢٣٨٣ - ٢٣٨٤ ، ح ٦١٣٤ ، مسلم في الزهد : باب تحريم الرياء ص

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال (قال الله تعالى إنا أنقص الخرقاء من الخرق، من عمل عملاً أشرك معي فيه خيرى تركته وخرقه) ^(١).

وقول الناظم : كمن يصلي لربي ثم زينها . . . الخ

إشارة إلى قول الرسول ﷺ (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المصباح الدجال قالوا: بلى ، قال: الشرك الخفي ، يقوم الرجل فيصلي ويزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه) ^(٢)

فالشرك الأصغر قسمان :

- شرك جلي - شرك خفي :

فالجلي : ما كان بالقول مثل : الحلف بغير الله ، أو قول ما شاء الله وشئت ، أو بالفعل مثل الانحناء لغير الله تعظيماً.

والخفي : ما كان في القلب مثل الرياء ، لأنه لا يبين ولا يعلمه إلا الله ، لأنه يعلم السر وأخفى.

والعلة ، في كون صلاة هذا المصلي شرك مع أنه يصلي لله تعالى ، أنه حسن هذه الصلاة وأتم ركوعها وسجودها واطمأن فيها ليراه هذا الرجل ، فيمدحه بلسانه أو يعظمه بقلبه وهذا شرك.

(حكم العبادة إذا خالطها الرياء).

(١) أن يكون الباعث على العبادة مراعاة الناس ولم يقصد وجه الله ، فهذا شرك والعبادة حابطة وذلك كحال المنافقين الذين قال الله فيهم ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَآؤُنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

فهذا هو الرياء المحض وهو لا يكاد يصدر من مؤمن بالله وباليوم الآخر، في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة أو الحج، أو غيرها من الأعمال الظاهرة ، فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم في أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت والعقوبة من الله تعالى.

(٢) أن يكون أصل العمل لله وشاركه الرياء، فإن شاركه الرياء، فإن شاركه من أصله فعمله باطل مردود عليه كما

(١) مسلم في الزهد باب تحريم الرياء ص ١١٩٦ ح ٢٩٨٥ .

(٢) مسند أحمد ج ٣ ، ص ٣٠ ، وابن ماجه في الزهد ، باب الرياء والسمعة ج ٢ حديث رقم ١٤٠٦ قال في الزوائد إسناده حسن ، وأخرجه الحاكم في المستدرک ج ٤ ص ٣٢٩ وصححه .

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن من أنواع الشرك الأصغر الحلف بغير الله ، كالحلف بالأوثان والأصنام "اللات والعزى" وكالحلف بالأمانة، والآباء والأولاد، فإن هذا الحلف شرك أصغر ذلك أن الحلف لا يكون إلا بالله وحده.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب يسير في ركب يحلف بأبيه فقال (ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت) ^(١).

وعن بريرة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (ليس منا من حلف بالأمانة) ^(٢) والسر في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه، والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده، فمن حلف بغير الله فقد عظم ذلك المحلوف به ، وصرف شيئاً من الأمور الخاصة بالله لغيره، مما يوقعه في الشرك بالله . والقسم بغير الله وإن كان شركاً أصغر إلا أنه يصبح أكبر إن اعتقد الحالف أن المقسم به بمنزلة الله في العظمة.

حكم ما ورد في القرآن من القسم بغير الله :

أما ما ورد في القرآن الكريم من القسم بغير الله كالشمس والقمر والليل والنهار . . . الخ ، فالجواب عن ذلك بما يأتي :

١/ إن فيه حذفاً ، والتقدير ورب الشمس والقمر ونحوه .

٢/ أن هذا من فعل الله تعالى ، والله لا يسأل عما يفعل بل له أن يقسم بما يشاء من مخلوقاته.

٣/ أن القسم بهذه المخلوقات دليل على تعظيمها ورفع شأنها والمتضمنة للشأن على الله بما تقتضيه من الدلالة على عظمته .

أما نحن فلا نقسم إلا بالله أو صفاته لأننا منهيون عن الحلف بغير الله كما سبق وأن ذكرنا ^(٣) .

(١) البخاري في الإيمان والنور ، باب لا تحلفوا بأبائكم ج ٦ ص ٢٤٤٩ ح ٦٢٧٠ مسلم في الإيمان باب النهي عن الحلف بغير الله ص ٦٧٥ ح ١٦٤٦ .

(٢) مسند أحمد ج ٥ ص ٣٥٢ وهو حديث صحيح كما ذكر ذلك الإمام الألباني في السلسلة الصحيحة ج ١ ص ٣٢٥ .

(٣) انظر فتح الباري ج ١١ ص ٥٣١ - ٥٣٦ .

النص :

وبالشهادة فالسأهي يكفر كي يقر في القلب معناها ويرتصد

المفردات :

يرتصد : الرأصد بالشئ الرأقب له (١).

والمراد أن يستقر ويثبت التوحيد في قلبه ويرأقب فلا ينصرف عنه إلى غيره.

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم أن من حلف بغير الله ناسياً ، فإن كفارة ذلك الحلف ، وذلك اليمين غير المتعمد هو الإقرار بشهادة التوحيد المنافية للشرك ليستقر ويثبت معناها في القلب ، ويرتصد أي يرأقب ذلك المعنى فلا يحاد عنه إلى غيره ، ذلك أن من حلف بغير الله فقد ضاهى الكفار في حلفهم بالللات والعزى ، فعليه أن يتدارك ذلك الحلف الذي أوقعه في مشأمة الكفار بالإقرار بشهادة التوحيد ، حتى لا يقع في الشرك بالله .

والناظم بهذا البيت يشير إلى حديث رسول الله ﷺ (من حلف فقال : بالللات والعزى فليقل لا إله إلا الله) (٢).

ذلك أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به ، فإن كان معتقداً لتعظيمه فهو شرك أكبر ، وإن كان مما يجري على اللسان سهواً دون قصد التعظيم فهو شرك أصغر عليه أن يتوب منه بالإقرار بشهادة التوحيد (٣).

النص :

ونحو لولا فلان كان كيت وما شاء الإله وشئت الكل متقد
وهكذا كل لفظ فيه تسوية بالله جل ولكن ليس يعتقد

(١) انظر القاموس المحيط : ج ١ ص ٢٩٤ . لسان العرب : ج ٣ ص ١٧٧ .

(٢) البغاري كتاب الأيمان والنور باب لا يخلف بالللات والعزى وبالطواغيت ج ٦ / ص ٢٤٥٠ / حديث ٦٢٧٤ .

(٣) انظر فتح المجيد ص ٣٤٥ - ٣٥٠ ، القول المفيد ص ٣٨٤ - ٤٠٢ ، معارج القبول ج ١ ص ٣٩٩ - ٤٠٠ ، الدين الخالص ج ١

ص ٢٤ ج ٢ ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم إلى بعض الألفاظ الشركية التي يقع فيها بعض الناس، وهي من الشرك الأصغر ، وقد تصل إلى الأكبر.

ومن هذه الألفاظ : لولا فلان ، وما شاء الله وشئت.

وأي لفظ من الألفاظ التي فيها تسوية بين الخالق والمخلوق، مثل مالي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك ، وأنا متوكل على الله وعليك .

فهذه الألفاظ إن جرت على اللسان من غير قصد ولا اعتقاد للتسوية بين الخالق والمخلوق فهي شرك أصغر كما أشار الناظم إلى ذلك ، أما إذا اعتقد قائلها التسوية بين الخالق والمخلوق فهي شرك أكبر .

والدليل على ذلك ما ثبت عن الرسول ﷺ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال له ما شاء الله وشئت فقال : أ جعلتني لله نداً بل ما شاء الله وحده^(١).

(١) مسند أحمد ج ٥ ، ص ٧٢ ورواه النسائي وصححه أنظر فتح المغيث ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .

والسبب في نهي الرسول ﷺ هذا الرجل عن مثل هذا الكلام ، أن هذا الكلام فيه تسوية بين مشيئة الله ومشية الرسول ﷺ وهذا شرك ، ذلك أن مشيئة الله تعالى سابقة لمشيئة خلقه ومختلفة عنهم والتسوية بينهما من الشرك بالله تعالى ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

النص :

ولانقضاء التساوي جاز ثم مكاً ن الواو نصاً وأهل العلم ما انتقدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير النظام إلى البديل عن تلك الألفاظ حتى لا يقع قائلها في الشرك .

وذلك البديل هو استبدال حرف الواو بـ (ثم) .

فبدل أن نقول ما شاء الله وشئت ، ونقع في الشرك بالله ، نقول : (ما شاء الله ثم شئت) .

وهكذا سائر الألفاظ السابقة ، ذلك أن الواو تدل على التسوية بين المعطوف والمعطوف عليه ، أما ثم فهي تدل على الترتيب والتعقيب ، فاستخدامها في مثل هذه العبارة (ما شاء الله ثم شئت) يدل على الترتيب بين مشيئة الخالق ومشية المخلوق .

فمشيئة الخالق متقدمة على مشيئة المخلوق .

والناظم بهذا البيت يشير إلى قول الرسول ﷺ (لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان؛ ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان) (١) .

فاستبدال الواو بـ "ثم" في مثل هذه الألفاظ ثابت بنص رسول الله ﷺ وإجماع أهل العلم ، ذلك أنهم لم ينتقدوا على أحد تلفظه بمثل هذه الألفاظ ، لورود النص بها عن رسول الله ﷺ .

وهذا هو اللفظ الجائز ، وإن كان الأفضل منه أن نقول ما شاء الله وحده ، لأنه أكمل في الإخلاص وأبعد عن الشرك .

والبصير العاقل يختار لنفسه أعلى مراتب الكمال ، في مقام التوحيد والإخلاص .

(١) مسند أحمد ج ٥ ، ص ٣٨ ، وأبو داود ، حديث رقم ٤٩٨٠ ورواه النسائي وصححه أنظر فتح المغيث ص ٣٥٣ .

وقد ورد النص بذلك عن رسول الله ﷺ كما في حديث ابن عباس السابق الذكر^(١).

النص :

والكفر والظلم فاعلم والفسوق كذا الـ نفاق كل على نوعين قد يرد

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم بعض أنواع الشرك الأصغر ، شرع هنا في بيان أن كلا من : الكفر والظلم والفسوق والنفاق ، ترد في الشرع على نوعين متغايرين ، وإن اتحد اللفظ فيهما والمعنى ، ذلك أن منهما ما يكون كفراً منافياً للإيمان بالكلية ، ومخرجاً من الملة ، ومنها ما يكون أصغر ، دون ذلك ومنافياً لكمال الإيمان ، ولكنه لا يخرج عن الملة.

النص :

فالكفر بالله معلوم وسمي بالكفر القتال لذي الإسلام يعتمد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن الكفر منه ما هو أكبر مخرج عن الملة ، وهو الكفر الاعتقادي الذي سبق وأن ذكرنا أنواعه ، ومنه ما هو كفر دون ذلك ، وهو الكفر العملي الغير مخرج عن الملة ، وهو كل معصية أطلق عليها الشارع إسم الكفر مع بقاء إسم الإيمان على من يفعلها.

ومن ذلك قتال المسلمين بعضهم لبعض ، كقول الرسول ﷺ (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)^(٢).

وقوله ﷺ (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)^(٣).

(١) انظر : فتح المجيد ، ص ٣٥٣ ، ٣٥٦ ، القول المفيد ج ٢ ، ص ٤٠٨-٤٢١ ، معارج القبول ج ١ ، ص ٤٠٠-٤٠١ ،

فتح الباري ج ١١ ، ص ٥٣٩-٥٤١ ، الدين الخالص ج ١ ، ص ٢٢٤-٢٢٥ وج ٢ ، ص ٢٨٦-٢٨٧ .

(٢) البخاري كتاب الفتن باب لا ترجعوا بعدي كفار يضرب بعضكم رقاب بعض ج ٦ ، ص ٢٥٩٢-٢٥٩٣ / حديث رقم

٦٦٦٦ ومسلم في الإيمان باب لا ترجعوا بعدي كفار يضرب بعضكم رقاب بعض ج ١ ، ص ٥٧-٥٨ ، حديث رقم

٦٥ .

(٣) البخاري في الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله ج ١ ، ص ٢٦-٢٧ ، حديث رقم ٤٨ وفي الفتن لا ترجعوا

بعدي كفار يضرب بعضكم رقاب بعض ج ٦ / ص ٢٥٩٢ ، ومسلم في الإيمان باب قول الرسول ﷺ سباب المسلم

فسوق وقتاله كفر ص ٥٧ ، حديث ٦٤ .

فقد أطلق النبي ﷺ على قتال المسلمين بعضهم لبعض الكفر، وسمى من يفعل ذلك كافراً مع أن الله تعالى يقول : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بِهِمَا ﴾ . إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [المحرات: ٩-١٠] .

فقد أثبت الله تعالى لهم الإيمان وأخوة الإيمان ولم ينفها عنهم ، فدل ذلك على أن هذا الكفر العملي دون ذلك الكفر الاعتقادي المخرج من الملة .

النص :

والظلم للشرك وصف ثم أطلق في تظالم الخلق منه الغش والحسد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن من الظلم ما هو شرك مخرج من الملة، من ذلك ظلم الإنسان لنفسه بالشرك بالله تعالى :

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٠] .

ومن النوع الثاني ما يقع في الطلاق من العدوان ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُنْسِكُوهُمْ ضِرَارًا لِنَفْسِهِمْ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ [البقرة: ٢٢١] .

ذلك أن الرجل كان يطلق زوجته فإذا قاربت انقضاء العدة راجعها ضاراً لكي لا تذهب إلى غيره ثم يطلقها مرة أخرى، فتعتد ، فإذا شارفت على انتهاء العدة طلقها مرة أخرى لتطول عليها العدة، فنهاهم الله تعالى عن ذلك وتوعدهم عليه فقال : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ [البقرة: ٢٢١] .

فهو هنا قد ظلم نفسه بمخالفته لأمر الله، لا بوقوعه في الظلم الأكبر الذي هو الشرك بالله فدل ذلك على أن الظلم نوعان : ظلم دون ظلم^(١) .

ومن أنواع الظلم الأصغر أيضاً ما يقع بين الناس من الغش والحسد ، في تعاملهم مع بعضهم البعض ، فإن هذا أيضاً يعتبر ظلماً، ذلك أن الإنسان يظلم نفسه بوقوعه فيما حرمه الله عليه ،

(١) تفسر ابن كثير ج ١ / ص ٢٨٨ .

ولا شك أن هذا الظلم دون الظلم الأكبر الذي هو الشرك بالله تعالى .

النص :

والفسق في وصف إبليس اللعين أتى وقاذف ما عن الإسلام يتعد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن من الفسوق ما هو أكبر مخرج من الملة، ومنه ما هو أصغر دون ذلك.

فمثال الفسوق الأكبر حال المنافقين الذين وصفهم الله تعالى بأنهم فاسقون، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ فَرَأَوْهُمُ الْفٰسِقُونَ ﴾ [الحج: ٢٢] .

ذلك أنهم فسقوا فسوقاً أكبر ، وهو الكفر المخرج من الملة، لأنهم لم يقبلوا الإيمان ، ولم يوحّدوا الله تعالى ، بل أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، وذلك فسوق أكبر استحقوا به الخروج من ملة الإسلام . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجٰنِ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ [البقره: ٢٠] . ذلك أن إبليس وقع بإبائه واستكباره عن الإيمان في الكفر الأكبر المخرج من الملة فاستحق أن يصفه الله بالفسوق وهو الفسوق الأكبر المخرج من الملة .

أما الفسوق الأصغر فمثاله القذف الذي لا يخرج صاحبه عن دائرة الإسلام وإنما يوقعه في الفسوق الأصغر . قال تعالى في القذف : ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٤] . فوصفهم الله تعالى بالفسوق نتيجة لوقوعهم في القذف الذي حرمه الله ، فاستحقوا بذلك ما وصفهم الله به من الفسوق، ولكن هذا الفسوق دون ذلك الفسوق الأكبر السابق الذكر، فدل ذلك على أن الفسوق نوعان فسوق دون فسوق .

النص :

كذا النفاق أتى في الكفر أقبحه وجاء في وصف ذي خلف لما يعد

أو خاصموا فجروا أو عاهدوا غدروا والخاصين ومن إن حدثوا فسدوا

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم إلى أن من النفاق ما هو أكبر مخرج عن الملة ، ومنه ما هو أصغر دون ذلك .

فمن النفاق الأكبر المخرج عن الملة حال المنافقين الذين وصفهم الله تعالى بأنهم في الدرك الأسفل من النار ، قال تعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وقال تعالى : ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [الشورى: ١٠].

فهؤلاء المنافقون أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، فاستحقوا بذلك الوقوع في الشرك الأكبر المخرج من الملة .

ومثال الفسوق الأصغر ما ذكره رسول الله ﷺ من صفات المنافقين ، ذلك أنهم إذا وعدوا أحلفوا ، وإذا حدثوا كذبوا ، وإذا اتصموا خانوا الأمانة وأفسحوا الأسرار ، وإذا خاصموا فحروا .

فهذه الصفات من أتصف بواحدة منها فقد اتصف بصفة من صفات النفاق ، ومن اتصف بها جميعاً كان منافقاً خالصاً ، إلا أن هذا النفاق نفاق أصغر دون ذلك النفاق الأكبر المخرج من الملة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (آية المنافق ثلاثة : إذا حدثه كذب ، وإذا أخطأه انتمن خان) ^(١) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدركها ، إذا أخطأه كذب ، وإذا أخطأه صدق ، وإذا خاصم فجر) ^(٢) .

هذه الصفات التي ذكرها رسول الله ﷺ هي التي ذكرها الناظم مثلاً للنفاق الأصغر الغير مخرج من الملة ^(٣) .

(١) البخاري كتاب الإيمان باب علامة المنافقين ج ١ ص ٢١ / ح ٣٣ ، ومسلم كتاب الإيمان باب خصال المنافق ص ٥٦

ح ٥٩ .

(٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة عند البخاري ، ح ٣٤ ، ومسلم ص ٥٥-٥٦ كتاب الإيمان باب خصال المنافق

ح ٥٨ .

(٣) انظر فيما سبق أعلام السنة المنشورة ص ١٤٨-١٥٣ ، ومعارج القول ج ٣ / ص ١٠١٩ - ١٠٢٠ .

المبحث الرابع عشر

(باب معنى النصوص التي فيها نفي الإيمان عن مرتكب بعض المعاصي)

سبق وأن بينا حكم عصاة الموحدين من أهل الكبائر ، وبيننا أنهم لا يسلبون الإيمان على الإطلاق ، ولا يعطونه على الإطلاق ، وإنما هم مؤمنون عصاه أو مؤمنون ناقصوا الإيمان أو فساق بكبرهم ، مؤمنون بإيمانهم وأنهم لا يخلدون في النار مهما عظمت ذنوبهم خلافاً للخوارج والمعتزلة كما سبق وأن بينا .

وفي الآيات التالية يبين الناظم معنى النصوص التي ورد فيها نفي الإيمان عن مرتكب بعض المعاصي.

النصوص :

وحيث ما نفسي الإيمان في أثر	ومن عصي من التوحيد قد عقدوا
فالمستحل أو المقصود فارقه	إيمانه حالة العصيان يصطعد
أو المراد به نفي الكمال وعن	تفسيرها بعض أهل العلم قد قصدوا
تكون أرباباً أما أن تكفره	فقد رددنا على القرآن إذ نجد
أن أثبت الله للجاني الأخوة والإ	يمان ما قال فيه كافر وعدو

الشرح :

في هذه الآيات يشير الناظم إلى معنى النصوص التي ورد فيها نفي الإيمان عن مرتكب بعض المعاصي من أهل التوحيد ، ومن هذه النصوص قال الرسول ﷺ (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن) (١).

فما معنى نفي الإيمان عن كل من الزاني والسارق وشارب الخمر الوارد في هذا الحديث هل هو من باب نفي الإيمان بالكلية ؟ أم ماذا ؟ ذلك ما يوضحه لنا الناظم حيث يقول إن نفي الإيمان عن هؤلاء العصاة في مثل هذا الحديث يكون بحسب ما يعتقد هذا العاصي . فإن كان هذا الزاني أو السارق أو الشارب ، مستحلاً لهذه المعاصي ، فهو كافر كفاً أكبر مخرجاً من الملة ، وفي هذه الحالة ينفي عنه مطلق الإيمان بالكلية بل إنه يكفر وإن لم يفعلها مادام قد

(١) البخاري كتاب الأشربة ج ٥ ، ص ٢١٢٠ ، حديث ٥٢٥٦ .

استحلها.

أما إذا كان غير مستحل لها فإنه عند ذلك لا يخرج عن التوحيد وبذلك لا ينفي عنه الإيمان بالكلية وإنما يكون نفي الإيمان الوارد بالنص وما شابهه له معنيان :

- (١) أن يكون معنى ذلك أن الإيمان فارقه حال ارتكابه تلك المعاصي ثم يعود إليه بعد ذلك .
- (٢) أو أن يكون المراد بذلك نفي كمال الإيمان لا نفي مطلقه، ثم يقول الناظم إن أهل العلم قد ذهبوا إلى هذين المعنيين.

وإن تفسير هذه النصوص بهذا المعنى أفضل وأعظم من أن تكفر هؤلاء العصاة كما فعل الخوارج لأننا إن كفرناهم فإننا عند ذلك نرد على القرآن الكريم ونغالطه، والعياذ بالله.

ذلك إننا نجد في القرآن الكريم أن الله تعالى قد أثبت للحناة من أهل التوحيد والإيمان أخوة الإيمان ولم يقل عنهم أنهم كفار أو أعداء لنا.

كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بِهِمَا ۚ ﴾ . إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ ﴾ [المحرات: ٩-١٠].

وقال تعالى في آية القصاص :

﴿ فَمَنْ عَنِئَ لَمْ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ﴾ [النور: ١٧٨]

ففي هاتين الآيتين أثبت الله تعالى للقاتل الإيمان وأخوة الإيمان ولم ينفيها عنه مع أن الرسول ﷺ يقول (صباح المسلم منسوق وقتاله حقد) ^(١) ويقول أيضاً (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقابته بعض) ^(٢)

فقد عد الرسول ﷺ القاتل كافراً ، إلا أن هذا الكفر كفر أصغر دون ذلك الكفر الإعتقادي المخرج من الملة ، لذلك أثبت الله تعالى للقاتل الإيمان وأخوة الإيمان ، ولم ينفيها عنه أو يعتبره عدواً للمسلمين فدل ذلك على أنه كفر أصغر لا يخرج من الإيمان إذ لو كان أكبر لما أثبت الله له الإيمان وأخوة الإيمان.

(١) سبق تخريجه من ٢٧٨ .

(٢) سبق تخريجه من ٢٧٨ .

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ، قلت وإن زنى ، وإن سرق قال: وإن زنى وإن سرق ، ثلاثاً ، ثم قال في الرابعة رغم أنف أبي ذر) (١).

فهذا الحديث يدل على أن حديث (لا يزني الزاني . . . الخ) لا ينفي عن السارق والزاني والشارب مطلق الإيمان بالكلية مع التوحيد، لأنه لو أراد ذلك لم يخبر بأن من مات على التوحيد دخل الجنة وإن فعل تلك المعاصي .

وإنما أراد بذلك نقص إيمانه ونفي كماله، أو مفارقه له حال اقترافه لتلك المعاصي ، ولم يرد تكفيره ونفي مطلق الإيمان عنه .

قال الإمام النووي رحمه الله بعد أن ذكر حديث "لا يزني الزاني" هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه ، فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان. ثم ذكر بعض الأقوال في معنى نفي الإيمان الوارد في هذا الحديث ومنها :

(١) أن معناه ينزع منه اسم المدح الذي يسمى به الله أولياء الله المؤمنين ويستحق اسم الذم فيقال: زان، وسارق ، وفاجر ، وفاسق .

(٢) أن معناه ينزع منه نور الإيمان .

(٣) أن معناه ينزع منه بصيرته في طاعة الله تعالى .

(٤) ثم ذكر أن من العلماء من قال أن هذا الحديث وما أشبهه يؤمن بما ويمر على ما جاءت ولا يخاض في معناها (٢).

(١) البخاري في اللبس باب الثياب البيض ج ٥ ص ٢١٩٣ حديث ٥٤٨٩ ، ومسلم في الإيمان من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ص ٦٤ ، حديث ٩٤ .

(٢) انظر مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٤٠١ بتصرف

انظر فيما سبق أعلام السنة المنشورة ص ١٤٩-١٥١ فتح الباري ج ١٢ ص ٥٩-٦٠ الكواشف الجلية لمعاني الواسطة ص ٦٧٢ - ٦٧٤ .

المبحث الخامس عشر

(باب التوبة وشروطها)

النص :

وتقبل التوبة اعلم قيل حشجة الـ صدور من كل ذنب ناله أحد
شروطها يا أخي الإقلاع مع ندم ولا يعود له بل عنه يصعد
وإن يكن فيه حق لآدمي فتحلـ كل حيث أمكن وليعرض له القود

المفردات :

القود : القصاص^(١).

الشرح :

في هذه الآيات يشير الناظم إلى ما يكفر جميع الذنوب سواء كانت شركاً أكبر أو أصغر، وسواء كانت كبائر أو صفائر، ألا هو التوبة النصوح.

تعريف التوبة :

لغة : أصل التوبة لغة الرجوع^(٢) .

وشرعاً : الرجوع عن الذنب^(٣).

قال الإمام السفاريني :

فهو الرجوع عن الذنب بأن يقطع عنه ويندم عليه ، ويعزم على أن لا يعود إليه ، ويرضى الآدمي عن ظلامته إن تعلق^(٤).

وقد أمر الله تعالى بالتوبة النصوح من سائر الذنوب ، ودعا إليها جميع عباده.

قال تعالى : ﴿ قُلْ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيَّ أَنفُسِيْهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ
الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ

(١) لسان العرب ج ٣ ، ص ٣٧٢ .

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٢٢٣ .

(٣) انظر شرح النووي لمسلم ج ١٧ ، ص ٦٥-٦٦ .

(٤) لوائح الأنوار البهية ج ١ ص ٣٧١ .

الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴿٥٤﴾ [الزمر: ٥٣-٥٤]

وقال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [السر: ٨] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (الله أخذ فرحاً بتوبة عبده حين يتوبه إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فإذ انفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها ، فأتى شجرة فأصبع في ظلها فدايس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده ، فأخذ يطأ أمما ثم قال من شدة الفرح ، اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح)^(١).

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)^(٢).

وقد أشار الناظم بقوله (قبل حشرجة الصدور) إلى شرط زمان قبول التوبة، في حق كل فرد من العباد، وهو أن تكون هذه التوبة قبل حشرجة الروح في الصدر ساعة الاحتضار وهو ما يعرف بالغرفة.

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الشَّنَّ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ [النساء: ١٧-١٨]

أما بالنسبة لشرط زمان قبول التوبة في حق عمر الدنيا فقد سبق وأن ذكرنا أنها تنقطع بطلوع الشمس من مغربها.

ثم أشار الناظم بعد ذلك إلى شروط كيفية التوبة وهي كالتالي :

(١) البخاري باب التوبة ج ٥ ص ٢٣٢٤ - ٢٣٢٥ حديث رقم ٤٩٤٩ ، ومسلم في التوبة باب الخس على التوبة ص ١٠٩٩ ح ٢٧٤٧ .

(٢) مسلم في التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة ص ١١٠٤ حديث ٢٧٥٩ .

(١) الإقلاع عن الذنب.

(٢) الندم على ما فات .

(٣) العزم على أن لا يعود فيه .

هذا إذا لم يكن في الذنب الذي يريد الإنسان التوبة منه حق لآدمي ، فإن كان فيه حق لآدمي فهناك شرط رابع وأشار إليه الناظم أيضاً وهو :

(٤) التحلل من صاحب ذلك الحق إن أمكنه ذلك ، لقول رسول الله ﷺ (من عانته منحه مظلمة لأخيه فليبتلله منها فإنه ليس ثم حذر ولا حرمة) ^(١).

وقول الناظم (وليعرض له القود)

أي ويعرض عليه أخذ القصاص منه في الدنيا قبل الآخرة ^(٢).

(١) البخاري في المظالم : باب من كانت له مظلمة عند الرجل ج٢ / ص ٨٦٥ / ح ٢٣١٧ وفي الرقاق : باب القصاص يوم

القيامة ج٥ / ٢٣٩٤ / ح ٦١٦٨ .

(٢) انظر : لوامع الأنوار البهية: ج١، ص ٣٧١-٣٧٤ : ج٣، ص ١٠٤٠-١٠٤٧ ، أعلام السنة ، ص ١٦٥-١٦٧

القول المفيد : ج٢ ، ص ٣٦٣-٣٦٤ .

المبحث السادس عشر

(حكم السحر والكهانة والتنجيم والتطير والاستسقاء بالأنواء والعين)

النص :

والسحر حق وقوعاً باطلاً عملاً فمنه حرز ومنه النفث والعقد
وحكمه الكفر في نص الكتاب أتى وحد فاعله بالسيف يحتمد

المفردات :

الحرز: الموضع الحصين ، ويقال أحرزت الشيء أحرزه إحرازاً إذا حفظته وضممته إليك،
وصنته عن الأخذ^(١).

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم رحمه الله إلى عمل من الأعمال التي يفعلها بعض الناس وهي
من الكفر بالله تعالى ، ومن هذه الأعمال السحر.

تعريف السحر في اللغة :

هو عمل تقرب فيه إلى الشيطان ، وبمعونة منه ، وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر^(٢).
أو هو كل ما خفي ولطف سببه.

السحر في الشرع :

ينقسم السحر في الشرع إلى قسمين :

القسم الأول : عقد ورقي أي قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما
يريد به ضرر المسحور.

القسم الثاني : أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته وميله وهو ما يسمى عندهم

(١) لسان العرب ج ٥ / ص ٣٣٣ .

(٢) المرجع السابق ج ٤ / ص ٣٤٨ .

بالصرف والعطف^(١).

أدلة وقوع السحر :

أولاً : من القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ [الاعراف: ١١٦].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا سَاجِدٌ وَلَا يُلْقِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ۝ ﴾ [البقرة: ١٠٥].

ثانياً : من السنة :

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (صعد رسول الله ﷺ يصودي عن يهود بني ذريق

يقال له لبيد بن الأعمس، قالت حتى كان رسول الله ﷺ يخلد إليه أنه يفعل الشيء وما

يفعله)^(٢).

وقول الناظم رحمه الله (والسحر حق وقوعاً)

يريد به الإشارة إلى أن السحر موجود متحقق الوقوع، وأنه حقيقة لا خيال كما يزعم من أنكر

حديث عائشة وزعم أنه يطعن في نبوة سيدنا محمد ﷺ .

قال الإمام النووي : (قال الإمام المازري رحمه الله مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على

إثبات السحر وأن له حقيقة، كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافاً لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته

وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة، لا حقائق لها، وقد ذكره الله تعالى في كتابه، وذكر أنه مما

يتعلم وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به ، وأنه يفرق بين المرء وزوجه ، وهذا كله لا يمكن فيما

لا حقيقة له . . . الخ)^(٣).

١- قال الإمام ابن حجر رحمه الله لكن محل النزاع هل يقع بالسحر انقلاب عين أم لا ؟ فمن

قال إنه تخيل فقط منع ذلك ومن قال إن له حقيقة اختلفا هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج

ويكون نوعاً من الأعراض أو ينتهي إلى الإحالة بحيث يصير الجهاد حيواناً مثلاً وعكسه فالذي

عليه الجمهور هو الأول وذهبت طائفة قليلة إلى الثاني فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلهية فمسلم

(١) انظر القول المفيد ج ٢ / ص ٥٥ ، والدين الخالص للسيد محمد صديق البعاري ج ٢ / ص ٢٣٠ .

(٢) مسلم في السلام باب السحر / ص ٩٠٠ ح ٢١٨٩ .

(٣) انظر شرح النووي لمسلم ج ١٤ / ص ٤٢٤ ، ومعارج القبول ج ١ / ص ٤٤٤ .

وإن كان بالنظر إلى الواقع فهو محل خلاف . . إلخ^(١).

وقول الناظم رحمه الله : (باطل عملا) فيه إشارة إلى بطلان السحر ، وأنه من كبائر الذنوب ، وأنه كفر بالله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قال الإمام النووي: (عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عده النبي ﷺ من السبع الموبقات، ومنه ما يكون كفرا ومنه ما لا يكون كفرا بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر وإلا فلا ، وأما تعلمه وتعليمه فحرام ، فإن كان فيه ما يقتضي الكفر كفر واستتيب منه ولا يقتل وإن لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزز^(٢)).

مما سبق يتضح لنا أن السحر حقيقة واقعة وله تأثير فنه من يمرض ومنه ما يأخذ بالعقول ومنه ما يأخذ بالأبصار ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه ولكن تأثيره إنما بقضاء الله وقدره والمقصود أن السحر ليس بمؤثر لذاته نفعاً ولا ضراً وإنما يؤثر بقضاء الله وقدره وخلقته وتكوينه لأنه تعالى خالق الخير والشر والسحر من الشرور ولهذا قال تعالى : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢]. وهو القضاء الكوني القدري فإن الله تعالى لم يأذن بذلك شرعاً.

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله (قد ثبت وتقرر من هذا وغيره تحقق السحر وتأثيره بإذن الله بظواهر الآيات والأحاديث وأقوال عامة الصحابة وجماهير العلماء بعدهم رواية ودراية فأما القتل به والأمراض والفرقة بين المرء وزوجه وأخذة للأبصار فحقيقة لا مكابرة فيها وأما قلب الأعيان كقلب الجناد حيواناً وقلب الحيوان من شكل إلى آخر فليس بمحال في قدرة الله عز وجل ولا غير ممكن فإنه هو الفاعل في الحقيقة وهو الفعال لما يريد فلا مانع من أن يحول الله ذلك عندما يلقي الساحر ما ألقى امتحاناً وابتلاء وفتنة لعباده، ولكن الذي أخبرنا الله تعالى به في الواقع من سحرة فرعون في قصتهم مع موسى إنما هو التخيل والأخذ بالأبصار حتى رأوا الحبال والعصي حيات ، فنؤمن بالخبر ونصدق ولا نتعداه ولا نبذل قولاً غير الذي قيل لنا ولا نقول على الله ما لا نعلم^(٣)).

(١) انظر فتح الباري ج ١٠ ص ٢٢٢ .

(٢) معارج القبول ج ١ ص ٤٢٢ .

(٣) معارج القبول ج ١ ص ٤٤٢ .

أنواعه الواردة في النص :

أشار الناظم بقوله (فمنه حرز ومنه النفث والعقد) إلى بعض أنواع السحر وهي :
 ١. الحرز : وهو عبارة عن كتابات وطلاسم غير مفهومة يعلقها الناس في صدورهم أو يحفظونها معهم أينما ذهبوا معتقدين أنها تذهب عنهم الشر وهو نوع من أنواع السحر وفيه تعلق بغير الله تعالى .

٢. النفث في العقد :

والنفث أقل من التفل لأن التفل لا يكون إلا معه شيء من الريق والنفث شبيه بالنفخ وقيل هو التفل بعينه^(١).

والسحرة إذا أرادوا عمل السحر عقدوا الخيوط أي ربطوها ونفثوا على كل عقدة حتى ينعقد كل ما يريدون من السحر.

قال تعالى : ﴿وَمِنْ شَرِّ أَلْفُتْنٍ فِي الْعُقَدِ﴾ [العلق: ٤].

وقول الناظم (وحكمه الكفر في نص الكتاب أي) فيه إشارة إلى أن السحر كفر بالله تعالى .

قال تعالى : ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقول الناظم (وحد فاعله بالسيف يختص) فيه إشارة إلى حد الساحر وهو القتل بالسيف وذلك جزاء لما ارتكبه من الكفر بالله تعالى .

حد الساحر :

قال الشيخ ابن عثيمين : (وأما قتل الساحر فإن كان سحره كفراً قُتل قتل ردة إلا أن يتوب على القول بقبول توبته وهو الصحيح وإن كان سحره دون الكفر قُتل قتل الصائل أي قتل لدفع أذاه وفساده في الأرض)^(٢) فحد الساحر إذن القتل سواء كان سحره كفراً أو ردة .

النص :

ثم الكهانة كفر والتطير والتنجم — يسم والنوء ممن فيه يعتقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن كلاً من الكهانة وهي : إدعاء علم الغيب

(١) انظر القول المفيد ج ٢ ص ٥٦-٦٥ ، ٩٣-٩٦ ، ١٠٤ ، ١٢٥-١٣٩ والدين الخالص ج ٢ ص ٢٤١-١١٦ .

(٢) القول المفيد ج ٢ ص ١٦ وانظر معارج القبول ج ٢ ص ٤٤٩ والدين الخالص ج ٢ ص ٢٣٥-٢٣٧ .

عن طريق الاتصال بالشياطين ، والتطير وهو : التشاؤم بمسموع أو مرئي أو معلوم ، والتنجيم وهو : تعلم علم النجوم ، واعتقاد تأثيرها ، وادعاء علم الغيب عن طريقها ، والنوء وهو واحد الأنواء ، وهي منازل القمر ، وهي ثمان وعشرون منزلة ، كل منزلة لها نجم تدور بمدار السنة ، وقد كان العرب يتفاعلون ببعض هذه النجوم ويتشاءمون ببعضها الآخر.

فكل هذه الأمور كفر بالله تعالى ، إذا ادعى الإنسان علم الغيب بها ، أو اعتقد أن تأثيرها بدون إرادة الله تعالى^(١) .

والتمايم عبارة عن شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين ، فهذه التمايم فيها نوع من الشرك والتعلق بغير الله شرك.

والتولة شيء يضعونه يزعمون أنه يجب المرأة إلى زوجها ، والرجل إلى امرأته وهي أيضا شرك. قال رسول الله ﷺ (إن الرقي والتمايم والتولة شرك)^(٢).

فدل هذا الحديث على تحريم سائر التعاليق من غير الكتاب والسنة ، أما ما كان من الكتاب والسنة فقد اختلف فيه العلماء كما سبق وأن ذكرنا.

قال الشيخ ابن عثيمين : (إذا كان المعلق من القرآن والأدعية المباحة ، والأذكار الواردة ، فهذه المسألة اختلف فيها السلف رحمهم الله ، فمنهم من رخص في ذلك لعموم قوله تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

ولم يذكر الوسيلة التي يتوصل بها إلى الاستشفاء ، بهذا القرآن ، فدل على أن كل وسيلة يتوصل بها إلى ذلك فهي جائزة ، كما لو كان القرآن دواء حسيا . ومنهم من منع ذلك وقال : لا يجوز تعليق القرآن للاستشفاء به ، لأن الاستشفاء بالقرآن ورد على صفة معينة وهي القراءة به ، بمعنى أنك تقرأ على المريض به ، فلا تتجاوزها ، فلو جعلنا الاستشفاء بالقرآن على صفة لم ترد فمعنى ذلك أننا فعلنا سببا غير مشروع.

ولولا الشعور النفسي بأن تعليق القرآن سبب للشفاء لكان انتفاء السبب على هذه الصورة أمرا ظاهرا ، فإن التعليق ليس له علاقة بالمرض ، بخلاف النفث على مكان الألم فإنه يتأثر بذلك.

(١) انظر القول المفيد ج ٢ ص ٥٦-٦٥ ، ٩٣-٩٦ ، ١٠٤ ، ١٢٥-١٣٩ والدين الخالص ج ٢ ص ٢٤١ ، ٩٤-١١٦ .

(٢) أحمد ج ١ ص ٣٨١ وأبو داود في الطب باب تعليق التمايم ج ٥ ص ٢١٢ وابن ماجه في الطب باب تعليق التمايم ج ٢ ص ١١٦٦ والحاكم في الرقي والتمايم ج ٤ ص ٤١٨ وقال صحيح الاسناد على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

ولهذا نقول الأقرب أن يقال : (أنه لا ينبغي أن تعلق الآيات للإستشفاء بها ، لاسيما وأن هذا المعلق قد يفعل أشياء تنافي قدسية القرآن، كالغيبة مثلاً ودخول بيت الخلاء، وأيضاً إذا علق وشعر أن به شفاء استغنى به عن القراءة المشروعة) (١).

النص :

والعين حق وبالقدور ثورقاً وليغتسل عائن منها لمن يجد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن العين حق، ولها تأثير على الإنسان ولكن تأثيرها لا يكون بذاتها ، وإنما بتقدير الله تعالى ، ثم يوضح الناظم العلاج من العين وهو اغتسال العائن وغسل الإنسان الذي وقعت عليه العين بذلك الماء فإنه يبرأ بإذن الله . قال رسول الله ﷺ : (العين حق) (٢).

وقد ذكر النبي ﷺ علاج العين بغسل العائن واغتسال المريض بذلك الماء ومن ذلك: عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف (أن أباه حدثه أن النبي ﷺ خرج وساروا معه نحو ماء حتى إذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف -وكان أبيض حسن الجسم والجلد- فنظر إليه عامر بن ربيعة فقال : ما رأيت كالיום ولا جلد مجبأه ، فلبط -أي صرع وزنا ومعنى- سهل فأتى رسول الله ﷺ فقال: هل تتهمون به من أحد ؟ قالوا عامر بن ربيعة، فدعا عامراً فتغيط عليه ، فقال : علام يقتل أحدكم أخاه؟ هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت ، ثم قال اغتسل له (٣) . الحديث) فدل هذا الحديث على أن اغتسال العائن لمن وقعت عليه العين أمر مشروع.

(١) انظر القول المفيد ٢٣٢-٢٣٣ .

(٢) رواه البعاري في كتاب الطب ج ٥ ص ٢١٦٧ ح ٥٤٠٨ .

(٣) مالك في الموطأ ج ٢ ص ٩٣٩ ، مسند أحمد ج ٣ ص ٤٨٦ ورواه بن ماجه وصححه الألبان أنظر صحيح مسنن بن

ماجة ج ٢ ص ٢٦٥ .

المبحث السابع عشر (باب حكم الرقي والتعاليق)

النص :

تم الرقي إن تكن بالوحي دون تصـ صرف ولا صرف قلب ليس ينتقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن الرقي وهي القراءة على المريض جائزة ولا شيء فيها، ولكن بشروط ثلاثة وهي :

- ١- أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته .
- ٢- أن تكون بالكلام العربي أو بما يعرف معناه .
- ٣- أن يعتقد الإنسان أن الرقية لا تؤثر بذاتها وإنما بتقدير الله لها^(١).

النص :

وللصحابة خلف في تعليق آيات الكتاب وورد للنبي يرد
والمنع أولى فأما ما عداه فلا خلاف في منعه إذ فيه مستند

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن الصحابة اختلفوا في تعليق شيء من آيات القرآن الكريم ، أو ورد النبي ﷺ فمنهم من أجاز ذلك ومنهم من منعه ، ويقول بأن المنع هو الأولى.

أما ما عدا ذلك من الرقي الغير مفهومة والطلاسم والسحر فلا خلاف بينهم في منعه ، ولورود الدليل على ذلك .

قال رسول الله ﷺ : (إن الرقي والتعائم والتولاه شركه)^(٢).

والمراد بالرقي : الرقي غير المشروعة من الكلام الغير مفهوم والطلاسم، فهي التي توقع في الشرك.

(١) القول المفيد ج ٢ ص ٦ ، انظر معارج القبول ج ٢ / ٤٤٩ والدين الخالص ج ٢ ص ٢٣٥-٢٣٧ .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٩٢ .

المبحث الثامن عشر (باب الخلافة ومحبة الصحابة وأهل البيت رضي الله عنهم)

النص :

تم الخلافة من بعد النبي هو الـ صديق أسعد من بالمصطفى معدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن خليفة المسلمين بعد رسول الله ﷺ هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه^(١) وقد ثبتت خلافة أبي بكر الصديق بالنص حيث أن الرسول ﷺ أمره أن يصلي بالناس في مرضه الذي مات منه وتولى أمر الصلاة بالناس من شئون الخلافة. ويقول أسعد من سعد بصحبة النبي ﷺ وذلك أنه أول من أسلم من الرجال، وناصر الرسول ﷺ وأزره في دعوته ، وكان رفيق دربه في الهجرة وأحب الناس إليه من الرجال. وفضائل أبي بكر رضي الله عنه كثيرة لا تحصى ، وقد قال الله تعالى عنه : ﴿ثَانِيِ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَسَادِ﴾ [البقرة: ٤٠٠].

وقال تعالى : ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [النور: ٢٣].

وقال تعالى : ﴿وَسَيَجْزِيهَا الْآتِيُّ﴾ [الذي يؤتي ماله يتزكى] ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾

إِلَّا أَتَتْهُاءَ وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [سورة التين: ١٧-٢١].

وعن أنس رضي الله عنه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : طلبته للنبي ﷺ وأباني الغار، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لحسبنا فقال ما طلبك يا أبا بكر يا ثنتين الله

(١) هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن مرة التميمي أبو بكر بن أبي قحافة ، ولد بعد الفيل بستين وأربعة أشهر ، وكان من رؤساء قريش في المعاملة ، وله أمر الدنيا ، فلما جاء الإسلام كان أول من أسلم من الرجال وهاجر مع رسول الله ﷺ وشهد معه بدرًا وللملحاح كلها وكان من أعلم الناس وأزهد الناس وأتقاهم في حاحه في سبيل الله بنفسه وماله، وتولى الخلافة بعد رسول الله ﷺ إجماعاً ، وتولى رضي الله عنه بعد الرسول ﷺ بستين في المدينة ، سنة ثلاث عشر لسبع أو ثمان لئال يقين من جماد الآخرة ، وعمره ثلاث وستون سنة ، ودفن مع رسول الله ﷺ . انظر أمد القابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ج ٢ ص ٢٠٥-٢٣١ والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني

فالثمنا^(١) وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : (كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدا ، ثم عمر ، ثم عثمان ثم ترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم)^(٢).

وقول الرسول ﷺ (لو كنت متخذنا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا)^(٣) .. الحديث والأدلة على فضله رضي الله عنه وأرضاه أكثر من أن تحصى في هذا المقام ، وقد ثبتت خلافته رضي الله عنه بالإجماع ، ومن الأدلة على ذلك أن الرسول ﷺ عند مرضه أمر أبا بكر أن يصلي بالناس ، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : عرض النبي ﷺ فأخذت مرضه ، فقال : (مروا أبا بكر فليصل بالناس) قالت عائشة إنه رجل رقيق ، إنا قام مقامك له يستطع أن يصلي بالناس ، قال (مروا أبا بكر فليصل بالناس) فعادته ، فقال : (مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فإنكن سواي يوسفن)^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (بينما أنا قائم رأيتني على قليب عليهما حلوا فنزعت منهما ما شاء الله ثم أخذنا ابن أبي قحافة فنزج منما ذنوبا أو ذنوبين وفي نزجة ضعفه والله يغفر له ضعفه ثم استعالتن خربا فأخطما ابن الخطاب فلم أر محبقريا من الناس ينزج نزج عمر حتى خربوا الناس بعطن)^(٥).

وقد كانت مدة خلافته رضي الله عنه وأرضاه قصيرة لم تتجاوز العامين ولكنه استطاع خلالها أن يوطد أركان الدولة الإسلامية ويقضي على المرتدين . وقد أوصى بالخلافة من بعده لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه . وطلب من الصحابة إمضاءها حيث اختار لهم من يعلم فيه الصلاح والكفاءة للخلافة فأمضوا وصيته رضي الله عنهم أجمعين .

(١) البعاري في فضائل الصحابة باب مناقب المهاجرين والأنصار ج ٣ ص ١٣٣٧ ح ٣٤٥٣ .

(٢) البعاري في فضائل الصحابة باب مناقب عثمان رضي الله عنه ج ٣ ص ١٣٥٢ ح ٣٤٩٤ .

(٣) البعاري في فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذنا خليلا لو كنت متخذنا خليلا ج ٣ ص ١٣٤٠ ح ٣٤٦٤ ومسلم في الفضائل باب فضائل أبو بكر الصديق ص ٩٧١ ح ٢٣٨٢ .

(٤) البعاري في الجماعة والإمامة باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة ج ١ ص ٢٤٠ ح ٦٤٦ ومسلم في الصلاة باب استعلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرها من يصلي بالناس ص ١٧٩ ح ٤١٨ .

(٥) البعاري في فضائل الصحابة باب مناقب المهاجرين والأنصار ج ٣ ص ٣٤٥٣ ومسلم في الفضائل باب فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ص ٩٧٤ ح ٢٣٩٢ .

النفس :

وبعده عمر الفاروق ذاك أبو حفص له العند والأعوان قد شهدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن خليفة المسلمين بعد أبي بكر هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه ^(١).

وقد ذكر الناظم في هذا البيت لقبه الفاروق ، وكنيته أبو حفص، ووضح أن الكل قد شهدوا له بالفضل سواء كانوا من أعدائه أو من أنصاره ، وذلك لما له من عظيم الفضل والمكانة عند الله وعند الناس.

فضله :

إن فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أكثر من أن تحصى حيث أعز الله به الإسلام ونصر به الأمة ، وقد ذكر رسول الله ﷺ له كثيراً من الفضائل ومن ذلك :
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ قال : (بينما أنا نائم فمررت - يعني - اللين حتى أنظر إلى الري يجرى في ظفري أو في أطافري ثم ناولته عمر فقالوا يا رسول الله فما أولته ؟ قال : (العلم) ^(٢)).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (بينما أنا نائم رأيت الناس يرضون علي وعلمهم فمضى فمضوا ما يبلغ الندي، ومضوا ما يبلغ حدون ذلك).

(١) هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي، أبو حفص أمير المؤمنين ، ولد بعد الفجار الأعظم بأربع سنين، وكانت إليه السفارة في الجاهلية، وكان عند بعثة الرسول ﷺ شديداً على المسلمين، ثم أسلم فكان إسلامه فتحاً على المسلمين وفرحاً لهم من بعد النبي، شهد مع رسول الله ﷺ بدرأ وغيرها من المشاهد ، وتولى الخلافة بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولقب بأمير المؤمنين، توفي شهيداً في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، قتل أبو لؤلؤة الحرسي وعمره آنذاك ثلاث وستون سنة، ودفن مع صاحبه رضي الله عنه وأرضاه ، انظر أسد الغابة ج ٣ / ص ٦٤٢ - ٦٧٨ ، والإصابة ج ٢ ص ٥١٨.

(٢) البعاري في فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ج ٣ ص ١٣٤٦ ح ٣٤٧٨ ومسلم في الفضائل باب فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ص ٩٧٤ ح ٢٣٩١ .

وبمرض علي بن محمد بن الخطاب وعليه قميص اجتره . قالوا فما أولته يا رسول الله قال ،
الحدين^(١) .

إلى غير ذلك من الأحاديث التي تدل على فضله رضي الله عنه وأرضاه .

خلافته :

تولى الخلافة رضي الله عنه بعد وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ذلك أن أبا بكر كان
قد أوصى بالخلافة من بعده له ، لما يعلمه من فضله وقوته في الحق ، وقدرته على تولي هذا الأمر .

ففتح الله على يده البلاد ، وانتشر الإسلام في كثير من البلدان ، كالشام ومصر والعراق وبلاد
فارس وغيرها . وقد كانت خلافته عزاً للإسلام والمسلمين . واستمرت خلافته عشر سنين وستة
أشهر ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة على الراجح ، وقد أوصى بأمر الاستخلاف إلى ستة
ليختاروا واحداً منهم وهم : عثمان ، وعلي ، والزبير ، وطلحة ، وسعد وعبد الرحمن بن عوف
رضي الله عنهم جميعاً . وقد تمّت البيعة من بعده لعثمان بن عفان رضي الله عنه .

النقص :

كذلك عثمان^(٢) ذو النورين ثالثهم بظلمه باء أهل البغي إذ قصدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى أن خليفة المؤمنين الثالث هو عثمان بن عفان

(١) البعاري في فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ج ٣ ص ١٣٤٩ ح ١٣٥٠ .

(٢) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي ، أمير المؤمنين ولد بعد الفيل بأربع سنين على

الصحيح ، كان من السابقين للإسلام وزوجه النبي ﷺ ابنته رقية ولما ماتت زوجها أخذها ثم كثرهم ، فلقب بمذي

النورين روى كثيراً من الأحاديث عن رسول الله ﷺ وكان شديد الحياء والحلم بايع عنه الرسول ﷺ في بيعة

الرضوان ، شهد له بالجنة على بلوى نصيبه ، وقد جمع القرآن ، مات شهيداً سنة خمس وثلاثين على الصحيح المشهور ،

وكانت خلافته اثني عشر سنة إلا اثني عشر يوماً . انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٤٧٩-٤٩٢ ، والإصابة ج ٢ ص ٤٦٢ -

رضي الله عنه . الذي مات شهيداً عندما قتل أهل البغي والضلال فقتلوه ظلماً وعدواناً . وقد ثبتت خلافته بالإجماع .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي ، كاشفاً عن فخذه أو ساقه فاستأذن أبو بكر فأذن له ، وهو على تلك الحال ، فتحدث ، ثم استأذن عمر ، فأذن له ، وهو كذلك ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوى ثيابه ، فدخل عثمان فتحدث فلما خرج قالت عائشة دخل أبو بكر فلم تمس ولم تباله ، ثم دخل عمر فلم تمس ولم تباله ، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك ، فقال ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟ (١) .

ومن ذلك أيضاً أن الرسول ﷺ بشره بالجنة على بلوى تصيبه ، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ في حائط من حوائط المدينة . . . الحديث ، وفيه ثم استفتح رجل آخر فجلس النبي ﷺ فقال : افتح وبشره بالجنة على بلوى تكون ، قال فذهبت فإذا هو عثمان بن عفان ففتحت وبشرته بالجنة وقلت الذي قال ، فقال اللهم صبرا أو الله المستعان (٢) .

النقص :

كذا علي أبو السبطين رابعهم بالحق معتضد للكفر مضطهد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى أن خليفة المسلمين الرابع هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٣) وكنيته أبو السبطين ، وهما إنباه الحسن والحسين رضي الله عنهما ويصفه رضي

(١) رواه مسلم كتاب الفضائل باب من فضائل عثمان رضي الله عنه ص ٩٧٧ ح ٢٤٠١ .

(٢) رواه مسلم كتاب الفضائل باب من فضائل عثمان رضي الله عنه ص ٩٧٧ ح ٢٤٠٣ .

(٣) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الهاشمي ولد قبل

الهمزة بعشر سنين ، ابن عم الرسول ﷺ وزوج ابنته فاطمة ، هو أول الصبيان إسلاماً في قول كثير من العلماء ، هاجر إلى

المدينة وشهد مع الرسول ﷺ بدرًا وأحداً والمشاهد كلها ، إلا تبوك فإن الرسول ﷺ خلفه في أهله ، أعطاه الرسول ﷺ

النواء في مواطن كثيرة ، وآخاه الرسول ﷺ مرتين ، كان من الصحابة الأكثرين من رواية الحديث ، وهو رابع الخلفاء الراشدين

، مات شهيداً ، قتل عبد الرحمن بن ملجم سنة أربعين للهجرة وعمره سبع وخمسون أو ثمان وخمسون وقد استمرت خلافته خمس

سنين إلا ثلاثة أشهر ، وقيل أربع سنين وتسعة أشهر ، رضي الله عنه وأرضاه . انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٥٨٨ - ٦٢٢ والإصابة

ج ٢ ص ٧٠٥ - ٧١٠ .

الله عنه بأنه متمسك بالحق مضطهد للكفر مبتعد عنه.

ولعلي من الفضائل ما لا يحصى وهي موجودة في كتب السير والتاريخ ، ومن تلك الفضائل أن الرسول ﷺ جعله منه بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعده ، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : خلفه رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في الخلافة بعده ، فقال : يا رسول الله تخلفني في النماء والسبيل ؟ فقال (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي) (١).

وقد شهد له الرسول ﷺ بأنه يحب الله ورسوله حيث قال : (لأعطين الراية غدا رجل يحب الله ورسوله، أو قال يحب الله ورسوله ، يفتح الله عليه ، فإذا نحن بعلي وما نرجوه فقالوا هذا علي، فأعطاه الرسول ﷺ الراية ففتح الله عليه) (٢).

النص :

فهؤلاء بلا شك خلافتهم بمقتضى النص والإجماع منقاد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن هؤلاء الخلفاء الأربعة قد ثبتت خلافتهم بمقتضى النص والإجماع، والنص الذي يشير إليه الناظم - رحمه الله - هو النص العام ، كقول النبي ﷺ : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي) . أما النص من الرسول ﷺ علي خلافة أحد بعينه بعده مباشرة فلم تثبت ، والنصوص في خلافة أبي بكر رضي الله عنه إشارة إلى أنه هو الأول، وأما عمر فكانت الوصية من أبي بكر له، وأمضاها الصحابة، وعثمان كان من ضمن من أوصى لهم عمر بالخلافة واختاره الصحابة ، وعلي أيضا كانت خلافته في الفترة ، وهي داخلة في

(١) البحاري في فضائل الصحابة باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ج ٣ ح ٣٥٠٣ ومسلم في الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب ص ٩٧٩ ح ٢٤٠٢ .

(٢) البحاري في فضائل الصحابة باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ج ٣ ص ١٣٥٧ - ١٣٥٨ ح ٣٤٩٩ ومسلم في الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ص ٩٨٠ ح ٢٤٠٧ .

عموم قول الرسول ﷺ : (الخلافة بعدي ثلاثون عاما)^(١) فخلافة هؤلاء الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم ثابتة بمقتضى نص الرسول ﷺ العام ، وباتفاق الصحابة رضي الله عنهم وإجماعهم .

والناظم بهذا البيت يرد على كل من تسول له نفسه بالتشكيك في أمر الخلافة ، أو أن أحد الخلفاء الراشدين أخذها دون استحقاق ، وفيه أيضا رد على الشيعة الذين يزعمون أن علي بن أبي طالب هو أولى الناس بالخلافة وأن الرسول ﷺ أوصى بها له ، كما اخترع ذلك عبد الله بن سبأ ، وما إلى ذلك من افتراءاتهم التي سبق وأن ذكرت .

النص :

وأهل بيت النبي والصحب قاطبة عنهم نذب وحب القوم نعتقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى مذهب أهل السنة والجماعة في أهل بيت النبي وفي الصحابة جميعا ، وهو محبتهم والتقرب إلى الله بهذه المحبة ، والدفاع عنهم ضد كل من يتعدى عليهم أو يذكرهم بسوء وقد ذكر الله تعالى فضل أهل بيت النبي ﷺ في كتابه الكريم قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣] . وقال تعالى : ﴿ وَأَزْوَاجَهُمْ آمَنَ مَعَهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦] .

وقد أوصى الرسول ﷺ بأهل بيته خيرا فقال في حديث طويل (وأهل بيتي ، أحضرهم الله في أهل بيتي ، أحضرهم الله في أهل بيتي ... الحديث)^(٢) .

(١) تخريج حديث الخلافة والحكم عليه: عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (الخلافة ثلاثون عاما ثم يكون بعد ذلك الملك قال سفينة أمسك خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتين وخلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين وخلافة عثمان رضي الله عنه اثني عشر سنة وخلافة علي رضي الله عنه ست سنين رضي الله عنهم) . أخرجه الترمذي وحسنه ج ٤ ص ٥٠٣ ح ٢٢٢٦ وأحمد في المسند ج ٥ ص ٢٢٠ وابن حبان في الصحيح ج ١٥ ص ٣٥ ح ٦٦٥٧ والطبراني في الكبير ج ١ ص ٥٥ ح ١٣ وابن أبي عاصم في السنة ج ٢ ص ٥٦٣ ح ١١٨١ وعلق الألباني عليه بقوله (حديث صحيح) (٢) البعاري في فضائل الصحابة باب مناقب علي رضي الله عنه ج ٣ ص ١٣٥٧ - ١٣٥٨ ح ٣٤٩٩ ومسلم في الفضائل باب فضائل علي رضي الله عنه ص ٩٨٠ ح ٢٤٠٨ .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : خرج رسول الله ﷺ وعليه مرط مرحل^(١) من شعر أسود، فبأه الحنن بن علي فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي فأدخله ثم قال ، (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)^(٢).

(١) مرط مرحل: الثوب المنقوش لسان العرب ج ١ ص ٢٧٨.

(٢) مسلم في الفضائل باب فضائل أهل البيت ص ٩٨٦ ح ٢٤٢٥.

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى مذهب أهل السنة والجماعة فيما وقع بسين الصحابة رضي الله عنهم من الفتنة بسبب مقتل عثمان رضي الله عنه واختلافهم في أخذ الثأر من قاتليه، فيقول إن المذهب الحق في هذه الفتنة هو التوقف والسكوت حيث أن كلا الفريقين مجتهد ، سواء كان علي وأنصاره، أو معاوية وأنصاره رضي الله عنهم أجمعين والمجتهد كما نعلم أنه إن أصاب فله أجران أجر إصابته وأجر اجتجاده وإن أخطأ فله أجر اجتجاده. وكلا الفريقين كان مجتهداً فله أجر سواء أصاب في اجتجاده أم أخطأ .

قال الإمام النووي : (وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها ، وكلهم عدول رضي الله عنهم ومتأولون في حروبهم وغيرها ، ولم يخرج شيء من ذلك أحد منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتجهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم) . . . إلى أن قال : (وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم)^(١).

النص :

والنصر أن أبا السبطين كان هو الحق — من رد هذا قوله فند

الشرح :

لا يزال الناظم -رحمه الله- في هذا البيت يتحدث عن الفتنة التي وقعت بين المسلمين بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وقد بينا مذهب أهل السنة والجماعة في تلك الفتنة وهو السكوت عنها وأن الجميع مجتهدون، والناظم هنا مع تقريره لهذا المذهب فهو يبين أن الحق والنصر كان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومن رد هذا القول فكلامه كذب مفترى ، وكأنه بذلك يشير إلى حديث الرسول ﷺ (وبع عمار تقتله الفئة الباغية ، عمار يدعوهم إلى الله وهو يدعوهم إلى النار)^(٢).

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٥ ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٢) البخاري في الجهاد باب مسح الفجار عن الناس في سبيل الله ج٣ ص ١٠٣٥ ح ٢٦٥٧ .

وذلك أن عماراً رضي الله عنه قتل أثناء قتاله مع علي رضي الله عنه وذلك في معركة صفين^(١).

قال الإمام بن حجر :

(وذهب جمهور أهل السنة إلى تصويب من قاتل مع علي لامتنال قوله تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا... الآية) ففيها الأمر بقتال الفئة الباغية ، وقد ثبت أن من قاتل علياً كانوا بغاة ، وهؤلاء مع هذا التصويب متفقون على أنه لا يذم واحد من هؤلاء، بل يقولون اجتهدوا فأخطئوا)^(٢).

النص :

تباً لرافضة حقاً لناصبه قبحاً لما رقه ضلوا وما رشدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى بعض الفرق التي ضلت في شأن الخلافة ومحنة آل البيت والصحابة رضي الله عنهم.

فيذكر من هذه الفرق الرافضة وهي إحدى فرق الشيعة ، وقد ضلوا في شأن الخلافة حيث زعموا أن الخلافة من حق علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ورفضوا خلافة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وزعموا أن الرسول ﷺ أوصى بالخلافة لعلي رضي الله عنه ولكن الصحابة حرقوا وصيته ﷺ - وحاشاهم أن يفعلوا ذلك - فهؤلاء الرافضة غالوا في علي رضي الله عنه لدرجة أن بعضهم أهوه ، كما غالوا في آل البيت وزعموا أنهم يتدينون بجهنم لهم ، وفي المقابل ناصبوا الصحابة العداء وخاصة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وتعرضوا لهم بالسب والإيذاء رغم نهي النبي ﷺ عن سب أحد من أصحابه^(٣).

(١) انظر الإصابة ج ٢ ص ٥١٢ .

(٢) انظر فتح الباري ج ١٣ ص ٦٦ .

(٣) لمعرفة المزيد من اقتراعات الروافض انظر : منهاج السنة النبوية وصب العذاب على من سب الأصحاب لمحمود شكري الأيوبي ، والصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة لابن حجر الميمني.

ثم ذكر الناظم -رحمه الله- فرقة النواصب والمارقة وهما من فرق الخوارج^(١). الذين خرجوا على علي رضي الله عنه عند قبوله التحكيم ، وناصبوه العداً حتى قتلوه.

وهم يعترفون بخلافة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولكنهم لا يعترفون بخلافة عثمان وعلي رضي الله عنهما وناصبوهم العداً . والناظم رحمه الله في هذا البيت بين ما هم عليه من الهلاك والخسران نتيجة لانحرافهم عن النهج الحق ، منهج أهل السنة والجماعة.

المبحث التاسع عشر

(باب وجوب طاعة أولي الأمر)

النص :

ثم الأئمة في المصروف طاعتهم مفروضة وف بالعهد الذي عقدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى وجوب طاعة أولي الأمر كما أمرنا الله سبحانه وتعالى بذلك حيث قال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

وقال ﷺ : (اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه (بهيبة)^(٢)). وقد اختلف العلماء في تفسير أولي الأمر على أربعة أقوال :

- ١- أئمة الأمراء .
- ٢- أئمة العلماء .
- ٣- أئمة أصحاب النبي ﷺ .
- ٤- أئمة أبو بكر وعمر .

(١) انظر فرق معاصرة وموقف الإسلام منها لغالب بن علي عواحي ج ١ ص ٦٨-٦٩ .

(٢) البغاري في الجماعة والإمامة باب إمعة العهد والولي ج ١ ص ٢٤٦ ح ٦٦١ .

المسلمون على أئمة الجور أنت بتتائج عكسية، وقد عبر عن هذه المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : (ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من فساد إزالتها)^(١).

والنهي عن الخروج على أئمة الجور أمر متفق عليه عند أهل السنة والجماعة ، قال شيخ الإسلام: والمشهور من مذهب أهل السنة ، أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم ، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة ، فلا يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما^(٢).

النص :

أما إذا أظهروا الكفر البواح فقاموا تلوا أئمة كفر حيثما وجدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أنه يجوز الخروج على الأئمة في حالة واحدة وهي حالة إظهارهم للكفر الصريح البين، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، والأدلة على ذلك كثيرة منها حديث عبادة بن الصامت السابق ذكره^(٣).

والذي يأمرنا فيه الرسول ﷺ بعدم الخروج على الأئمة إلا إذا أظهروا الكفر الواضح البين. ومن المعروف أن أول الشروط المعتبرة في الإمام كونه مسلماً ، إذ لا يمكن أن تحقق أهداف الدين إلا على يد من يؤمن به ، فإذا كان الإمام كافراً كان الدين في أعظم خطر، فيجب على الأمة عند ذلك تغيير الإمام بالقوة ، وعلى هذا إجماع الأمة وفي هذا المعنى يقول الحافظ بن حجر: (إنه ينعزل بالكفر إجماعاً، فيجب على كل مسلم القيام في ذلك ، فمن قوى على ذلك فله الثواب ومن داهن فعليه الإثم ، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض)^(٤).

(١) انظر منهاج السنة ج ٢ ص ٣٩١ .

(٢) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

(٣) سبق تقريره ص ٣٠٧ .

(٤) فتح الباري ج ١٣ ص ١٢٣ .

وقال أيضا في شرحه لحديث عبادة بن الصامت (وإذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها كما في الحديث^(١)).

المبحث العشرون

(باب وجوب النصيحة في الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

النص :

ثم النصيحة قل فرض بكل معا نهيها هي الدين فاعلم إذ هي العمدة
لله والرسول والقرآن ثم ولا ة الأمر ثم عموم المسلمين هدوا

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم -رحمه الله- إلى وجوب النصيحة ويقرر أنها من أعمدة الدين الإسلامي، وهي إنما تكون لله وللرسول وللقرآن ولأئمة المسلمين وعامتهم، كما أخبر الرسول ﷺ بذلك، كما في حديث عويم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (الدين النصيحة) قلنا لمن ؟ قال (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)^(٢).

ومن النصيحة لله الإيمان به ونفي الشريك عنه وترك الإلحاد في صفاته، ووصفه بصفاته الكمال والجلال كلها، وتنزيهه عن جميع النقائص، والقيام بطاعته واجتناب معصيته والحب فيه والبعض فيه، ومن النصيحة لكتابه الإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر على مثله أحد من الخلق، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته والتصديق بما فيه، والوقوف عند أحكامه، والعمل بمحكمه والتسليم بمتشابهه، ومن النصيحة لرسوله تصديقه، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه، ونصرته حيا وميتا، ومعاداة من عاداه، ومرولة من ولاه، وإعظام حقه، وتوقيره، وإحياء سنته، ونشرها والدفاع عنها، وتعلمها وتعليمها، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع سنته أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك.

(١) فتح الباري ج ١٣ ص ٧ .

(٢) مسلم في الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة ص ٥٤ ح ٥٥ .

ومن النصيحة لأئمة المسلمين، معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتذكيرهم وتنبيههم به حق، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يلفه من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم، ونحو ذلك.

ومن النصيحة لعامة المسلمين وهم من عدا ولاية الأمر، فأرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، وستر عوراتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص ونحو ذلك.^(١)

(١) انظر: مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٣٩٦ - ٣٩٨.

النص :

والأمر بالمعروف مع علم به ولعمري ————— هو خذ وأعرض عن الجهال يتدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى ضرورة الأمر بالمعروف ، مع اشتراط العلم به وضرورة العفو والتسامح والإعراض عن الجهال والسفهاء ، وهو بذلك يشير إلى قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] .

النص :

كذلك النهي عن نكر ومورده قول ومسخطا إذا لم تستطعه يد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى ضرورة النهي عن المنكر ، فإذا رأى الإنسان منكراً وجب عليه أن يغير ذلك المنكر بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ، وهو بذلك يشير إلى قول الرسول ﷺ : (من رأى منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعفه الإيمان)^(١) .

المبحث الحادي والعشرون (باب الشرع وأصول الفقه)

النص :

والشرع ما أذن الله العظيم به من الكتاب وآثار النبي ترد

الشرح :

بعد أن انتهى الناظم - رحمه الله - من سرد عقيدته مستدلاً عليها من الكتاب والسنة أراد في هذا البيت وما بعده ختم كلامه بالحديث عن الشرع وبيان أحكامه ، والمناسبة بينهما - أي بين العقيدة والشرع - هي أن العقيدة الصحيحة هي الأصل الذي بدأ به الرسول ﷺ دعوته ، وهذا الأصل هو الذي تبنى عليه أحكام الشرع وذلك بعد صلاح القلوب ، فالأحكام لا يمكن أن تؤخذ

(١) مسلم في الإيمان باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ص ٥١ ح ٤٩ .

إلا بطريق شرعي، فكان الناظم رحمه الله يريد أن يقول هنا أن ما ذكرته آنفاً من عقائد هي التي تبني عليها الأحكام الشرعية المأخوذة من الكتاب والسنة ، ثم يبدأ الناظم -رحمه الله- في سرد مقالته فيقول :

(والشرع ما أذن الله العظيم به . . .) أي أن الشرع هو ما أنزل الله تعالى وحده وأذن به للناس ليعبدوه به ، فليس هناك من يأذن بالدين غير الله تعالى ، كما ليس لأحد غيره أن يأذن بالأحكام قليلاً كان أو كثيراً إذ التشريع من حق الله وحده ، قال تعالى : ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ يوسف: ٤٠ ، ٦٧.

حتى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يبلغون إلا ما أذن الله لهم به ، والأدلة القرآنية على ذلك كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَابَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [طه: ١٧٨].

وقوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤] . وهذا الشرع الذي أذن الله به للعباد - وهو أحكام الإسلام المختلفة- أتى لهم بطريقتين، الأولى طريق الإبلاغ لهم بكلام الله تعالى ، وهذا الكلام هو القرآن الكريم، أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ وأمره بتبليغه للناس والطريق الثاني هو السنة النبوية وذلك أن الله تعالى بعد أن أنزل كتابه على نبيه ﷺ أمره ببيان هذا الكتاب فقال تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٩] . وبيان النبي ﷺ يكون في تقييد مطلقه وتفصيل مجمله وتخصيص عامه ونحو ذلك ولولا بيان النبي ﷺ للقرآن لما أدرك المكلفون بشرائع الإسلام كثيراً من أمور الدين كأداء الصلاة والحج والزكاة وسائر الأحكام التي وردت مجملة في التنزيل .

ومن هنا يتضح لنا مراد الناظم -رحمه الله- من هذا البيت ، فهو يقرر أن الشرع هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وعلى هذا الذي ذكره الناظم إجماع الأمة ^(١).

(١) انظر أصول الفقه للإمام محمد أبو زهرة ، ص ١٠١ .

النسـ :

فما روى العدل محفوظاً ومتصلاً عن مثله صح مرفوعاً به السند

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى أنه ليس كل ما روي عن النبي ﷺ مقبولاً عند العلماء، إذ قد يكون الحديث مكتوباً على النبي صلى الله عليه وسلم بفعل الزنادقة والمبتدعة وأهل الأهواء، الذين يضعون الأحاديث ليروجوا بها بدعهم وضلالاتهم، أو قد يكون الحديث معلولاً لسوء حفظ الراوي أو لوهمه، أو لاختلاطه إلى غير هذه الآفات التي تعتري الرواة، فلمعرفة سنة النبي ﷺ وتمييز صحيحها من سقيمها لابد من الوثوق والتثبت من صحة نسبة الحديث للنبي ﷺ بالشروط والضوابط التي قررها العلماء والمحدثون، وأهم هذه الضوابط هي التي ذكرها الناظم في هذا البيت، من عدالة الرواة واتصال السند حتى يصل بالحديث إلى النبي ﷺ من غير علة قاذحة كما هو مقرر في علم أصول الحديث^(١).

النسـ :

والقول والفعل والتقرير حيث أتى عن الرسول وللشريع يعتمد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى أقسام السنة الثلاثة وهي قول النبي ﷺ وفعله وتقريره، فالقول هو ما تكلم به النبي ﷺ من هي أو بيان أو موعظة، كقوله ﷺ، (إنما الأعمال بالنيات)^(٢).

والفعل هو ما فعله النبي ﷺ وحفظه عنه أصحابه كصفة حجه وصلاته ومنامه وقيامه وغيره، والتقرير هو ما رآه النبي ﷺ وسكت عنه ولم يغيره فكل واحد من هذه الأقسام الثلاثة (القول، والفعل، والتقرير) حجة في التشريع إذا صحت نسبته للنبي ﷺ.

(١) انظر أصول الفقه للإمام محمد أبو زهرة ص ٩٩، وتيسر مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان ص ٣٤-٣٥.

(٢) البعاري في بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي ج ١ ص ٣ ح ١. ومسلم في الإمامة باب قوله ﷺ (إنما

الأعمال بالنية) ص ٧٩٢ ح ١٩٠٧.

النص :

إلا إذا جاء برهان يخصه بالمصطفى أو بشخص فيه يتفرد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أنه إذا ثبتت السنة في أي قسم من هذه الأقسام الثلاثة فهي تشريع عام لجميع أفراد الأمة إلا أن يرد نص يخص هذه السنة للنبي ﷺ دون أمته أو لأحد بعينه من الصحابة دون بقية المسلمين، ومثال اختصاصه ﷺ بشيء دون أمته أنه جاز له أن ينكح أكثر من أربع وهو العدد الذي لا يجوز أن يزيد عليه المسلمون، ومثال اختصاص أحد من الصحابة بشيء دون بقية المسلمين ، ما رواه البراء بن عازب رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله ﷺ في يوم نحر ، فقال : (لا يطيعن أحدكم حتى يصلي . قال : فقام خالي فقال : يا رسول الله هذا يوم النحر فيه مضروء ، وإنني مجلته نسقي لأطعم أهل حاربي أو جيرانني . قال فامدحني أخيراً قال يا رسول الله محندي مذاق لبن وهي خير من خاتمي لعم أمأذبيهما ؟ قال نعم وهي خير نسيتك ولا تجزي جطة بعدك^(١) .

النص :

والأصل في الأمر فاعلم للوجوب فلا يصار للنذب إذ لا صارف يزد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أنه إذا جاء أمر من الشارع سبحانه وتعالى فهو للوجوب ، لأن الأمر وضع أصلاً له، ومثال ذلك : قوله تعالى : ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] . فهذه الآية وأشباهاها تقتضي الوجوب ، فإذا جاء في الأمر قرينة واضحة تصرفه عن الوجوب إلى النذب صرفناه إليه كقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾ [البقرة: ٣٣] .

(١) الترمذي في الأضاحي باب ما جاء في الذبح بعد الصلاة ح ١٥٠٨ ، وقال (هذا حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم وأن لا يضحى بالمصر حتى يصلي الإمام).

وإن لم تكن هناك قرينة تصرف الأمر عن الوجوب بقي على الوجه الذي وضع له وليس قول الناظم -رحمه الله- -فلا يصار للنذب- حصر للوجوه التي ينصرف الأمر إليها ، إذ أن الوجوه التي تصرف إليها صيغة الأمر غير الوجوب والنذب كثيرة منها ^(١) :

الإرشاد للأوفى كقوله تعالى : ﴿ وَأَشْهَدُوا إِذَا نَبَأَ بِعَثَمَ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] .

والإباحة كقوله تعالى : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾ [طه: ٤٠] .

والإكرام كقوله تعالى : ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ ﴾ [الحجر: ٤٦] .

والامتنان كقوله تعالى : ﴿ عَمَلُوا مِثْرًا رَزَقَكُمْ اللَّهُ ﴾ [الأنعام: ١٤٢] .

والإهانة كقوله تعالى : ﴿ ذِي إِنْكَ أَنْتَ أَلْعَزِيزُ الْغَرِيبُ ﴾ [الدخان: ٤٩] .

والتسوية كقوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا ﴾ [الطور: ١٦] .

والتعجب كقوله تعالى : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ [مرم: ٣٨] .

والتكوين وكمال القدرة كقوله تعالى : ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٧] .

والاحتقار كقوله تعالى : ﴿ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ [يونس: ٨٠] .

والإخبار كقوله تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٨٢] .

والتهديد كقوله تعالى : ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ [هك: ٤٠] .

والتعجيز كقوله تعالى : ﴿ فَاتَّبِعُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣] .

والتسخير كقوله تعالى : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَلِيسِينَ ﴾ [البقرة: ٦٥] .

النص :

والنهي للحظر إذ لا نص يصرفه إلى الكراهة هذا الحق يعتقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن الحال مع النهي كالحال مع الأمر ، فإذا جاء نهي فهو للحظر والتحريم كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ ﴾ [الإسراء: ٣٢] . فهذه الآية وأمثالها تقتضي التحريم ، فإن جاء في النهي قرينة واضحة تصرفه عن التحريم إلى الكراهة صرفناه كقوله تعالى : ﴿ وَذُرُوا الْيَتِيمَ ﴾ [النساء: ٩] . وإن لم تكن هناك قرينة تصرف النهي عن الحظر بقي على الوجه الذي

(١) انظر الأحكام في أصول الأحكام للأندلسي ج ٢ ص ١٥٩ - ١٦١ .

وضع له، وليس قول الناظم - رحمه الله - (يصرفه إلى الكراهة) حصراً للوجوه التي ينصرف النهي إليها إذ أن الوجوه التي تصرف إليها صيغة النهي - غير الحظر والكراهة متعددة منها (١):
التحقير كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمُنُّوا بِعَيْنَيْكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٢].

وبيان العاقبة كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا ﴾ [البراهيم: ٤٧].

والياس كقوله تعالى : ﴿ لَا تَعْتَدِرُوا آلِيَوْمَ ﴾ [الصمر: ٧].

والإرشاد كقوله تعالى : ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ﴾ [المائدة: ١٠١].

النص :

ومستوي الطرفين ادع المباح فلا يلام في فعله أو تركه أحد

الشرح :

يتحدث الناظم - رحمه الله - عن المباح فيقول : (ومستوى الطرفين ادع المباح) والمباح هو :
(ما خير الشارع المكلف بين فعله وتركه ، ولا مدح ولا ذم على الفعل والترك) ويقال له
الحلال (٢).

وتعرف الإباحة بأمور منها :

١ - النص من الشارع بحل الشيء ، كقوله تعالى : ﴿ آتِيَوْمَ أُحُلٌ لَّكُمْ اللَّطِيفَتِ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابِ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾ [المائدة: ١٠].

٢ - النص من الشارع على نفي الإثم أو الجناح أو الحرج ، فمن الأول قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَضْطُرُّ
عَبْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ١٧٣].

ومن الثاني قوله تعالى : ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتُمْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

ومن الثالث قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى
أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ ﴾ [النور: ٦١].

(١) انظر الأحكام ج ٢ ص ٢٠٨-٢١٦ والوجيز في أصول الفقه للدكتور عبد الكريم زيدان ص ٣٠١-٣٠٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٧ .

- ٣- التعبير بصيغة الأمر مع وجود قرينة صارفة عن الوجوب إلى الإباحة كقوله تعالى ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [٢:١٧١]. أي إذا حللتكم من إحرام الحج فالصيد مباح لكم.
- ٤- استصحاب الإباحة الأصلية للأشياء ، بناء على أن الأصل فيها الإباحة^(١).

النص :

وما به ينتهي حكمه فمانعه وعكسه سبب يدر به مجتهد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى المانع والسبب فيقول أن المانع هو ما رتب الشارع على وجوده عدم وجود الحكم أو عدم السبب أي بطلانه (وهو نوعان) ١- مانع للحكم ٢- مانع للسبب .

وأما السبب فهو عكس المانع هو : (كل أمر جعل الشارع وجوده علامة على وجود الحكم، وعدمه علامة على عدمه) كالزنا لوجوب الحد، والجنون لوجوب الحجر، فإذا انتفى الزنا والجنون انتفى الحد، والحجر^(٢).

النص :

والشرط ما رتب الأجزاء وصحته عليه أو نفى حكم حين يفقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى الشرط ، فيقول إن الشرط هو (الأمر الذي يتوقف عليه وجود الحكم ، ويلزم من عدمه عدم الحكم ، ولا يلزم من وجوده وجود الحكم)^(٣).

والفرق بين الشرط والسبب هو أن الشرط إذا وجد لا يستلزم وجوده وجود الحكم ، فلا يلزم من وجود الوضوء الذي هو شرط الصلاة وجوبها ، ولا يلزم من وجود الشاهدين وجود عقد النكاح ووجودهما شرط لصحته ، ولكن لا تصح الصلاة من غير وضوء ولا يصح النكاح من

(١) الوجيز في أصول الفقه للدكتور عبد الكريم زيدان ص ٤٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٣ وأصول الفقه ٥٧ .

(٣) الوجيز في أصول الفقه ص ٥٥ وأصول الفقه ص ٥١-٥٤ .

غير شاهدين ، وأما السبب فإنه يلزم من وجوده وجود الحكم إلا إذا كان مانع ، فإذا كان وقت الصلاة فقد وجبت الصلاة، وإذا كان رمضان فقد وجب الصوم^(١).

النص :

ونافذ وبه اعتد الصحيح كما نقيضه باطل ليست له عمد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى الصحة والبطلان ، فأفعال المكلفين إذا وقعت مستوفية أركانها وشروطها حكم الشارع بصحتها ، وإذا لم تقع على هذا الوجه حكم الشارع بعدم صحتها أي بطلانها.

ومعنى صحتها : أنها تترتب عليها آثارها الشرعية فإذا كانت من العبادات برئت ذمة المكلف منها كالصلاة المستوفية لأركانها وشروطها. وإذا كانت من المعاملات كعقود البيع والإجارة والنكاح تترتب على كل عقد الآثار المقررة له شرعا .

ومعنى بطلانها : عدم تترتب الآثار الشرعية عليها ، لأن الآثار الشرعية تترتب على ما استوفى الأركان التي طلبها الشارع، فإن كانت هذه الأفعال من العبادات لم تترأ ذمة المكلف منها وإن كانت من العقود والتصرفات لم يترتب عليها ما يترتب على الصحة من آثار شرعية^(٢). وقصد الناظم من هذا البيت أن الصحيح ما كان نافذا ويعتد به شرعا، والباطل عكسه ونقيضه وهو ما لا يكون نافذا ولا يعتد به شرعا.

النص :

ثم الوسيلة تعطى حكم غايتها فرضا وندبا وحظرا عنه يعتد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن الوسائل حكمها حكم الغايات ، فما يتوصل به إلى الفرض فهو فرض وما يتوصل به إلى المندوب فهو مندوب، وما يتوصل به إلى المحظور فهو محظور، فالغاية في الشريعة لا تبرر الوسيلة، بل تدور الوسيلة مع الغاية فرضا وندبا وحظرا ومثال الأول: إقامة العدل وهو فرض ووسيلته تعيين القضاة فهو فرض مثله، ومثال

(١) أصول الفقه ص ٥٥ والوجيز في أصول الفقه ص ٥٩-٦٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٥ وأصول الفقه ص ٥٩-٦٢ .

الثاني : التصديق على الفقراء فهو مندوب ووسيلته السعي لذلك فهو مندوب مثله، ومثال الثالث : أكل أموال الناس بالباطل فهو حرام ووسيلته الغش مثلاً فهو حرام مثله.

النـــــــــــــــــص :

والرخصة الإذن في أصل لمعذرة وضدها عزمة بالأصل تعتقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى كل من الرخصة والعزيمة ، فيقول إن الرخصة هي (الإذن في أصل لمعذرة) وهو ما يتفق مع تعريف الأصوليين لها وهو : (إن الرخصة اسم لما أباحه الشارع عند الضرورة تخفيفاً عن المكلفين، ودفعاً للحرَج عنهم) ومثال ذلك رخصة الإفطار في شهر رمضان للمسافر والمريض.

والعزيمة ضد ذلك وهي : (اسم لما طلبه الشارع أو أباحه على وجه العموم) فالعزيمة اسم لما هو أصل من الأحكام دون تعلق بالمعارض^(١).

النـــــــــــــــــص :

والأصل أن نصوص الشرع محكمة إلا إذا جاء بتقـلـل الأصل مستند

الشرح :

في الحديث يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن الأصل في النصوص أنها محكمة فلا يجوز العدول عن هذا الكلام إلى النسخ إلا إذا ثبت النسخ بنص آخر ثابت من الكتاب أو السنة.

والمحكم هو : (اللفظ الذي ظهرت دلالاته بنفسه على معناه، ظهوراً قوياً، ولا يقبل

التأويل ولا النسخ) .

فهو لا يحتمل التأويل لأن وضوح دلالاته بلغت حداً يتنفي معها أي احتمال للتأويل، وهو لا يقبل النسخ لأنه يدل على حكم أصلي لا يقبل بطبيعة التبديل والتغيير، أو يقبله بطبيعته ولكن اقترن به ما ينفي احتمال نسخة^(٢).

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ج ١ ص ١٧٦-١٩٧ والوجيز ص ٤٠٥٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٤٦ .

النص :

وأي نص أتى مثل يعارضه وأمكن الجمع فهو الحق معتمد

الشرح :

في هذا الحديث يشير الناظم - رحمه الله - إلى أنه إذا كان هناك نصان متعارضان من حيث الظاهر فينبغي الجمع بينهما ما أمكن ذلك حتى لا نرد واحداً منها ذلك أن نصوص الشريعة لا تعارض في ذاتها، ومادامت سليمة في أصلها وفهمها ، وذلك لوحدة الشارع الذي قررها وهو الله سبحانه وتعالى .

ومثال ذلك : الحديث الصحيح : (لا عدوى)^(١) وقد عارضه من حديث الظاهر أحاديث أخرى كقوله ﷺ (لا يورد ممرض على مصح)^(٢) وله أيضاً (فر من المخذوم كما تفر من الأسد)^(٣) والجمع بينهما ممكن إذ أن المراد بنفي العدوى أن شيئاً لا يعدي بطبيعته نقياً لما كانت الجاهلية تعتقده من أن الأمراض تعدي بطبيعتها ، من غير إضافة إلى الله ، فأبطل النبي ﷺ اعتقادهم ذلك وأكل مع المخذوم ليبين لهم أن الله هو الذي يمرض ويشفي ، ونهاهم عن الدنو منه ليبين لهم أن هذا من الأسباب التي أجرى الله العادة بأنها تفضي إلى مسيئتها ، ففي فهمه إثبات للأسباب ، وفي فعله إشارة إلى أنها لا تستقل ، بل الله هو الذي إن شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئاً ، وإن شاء أبقاها فأنثرت .

وقد جمع العلماء بين هذه الأحاديث بأقوال أخرى كثيرة^(٤).

(١) البخاري في الطب باب لا سفر ج ٥ ص ٢١٦١ ح ٥٣٨٧ ، ومسلم في السلام باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا

صفر ، ص ٩١٢-٩١٣ ح ٢٢٢٠ .

(٢) البخاري في الطب باب لا هامة ج ٥ ص ١١٧٧ ح ٥٤٣٧ .

(٣) البخاري في الطب باب الجذام ج ٥ ص ٢١٥٨ - ٢١٥٩ ح ٥٣٨٠ .

(٤) انظر فتح الباري ج ١٠ ص ١٥٨-١٦٣ .

النص :

وحيث لا ودریت الآخر أفض به نسخاً لحكم الذي من قبله يرد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى أنه إذا لم يمكن الجمع بين النصين المتعارضين من حيث الظاهر ، وعلم النص المتأخر منهما ، كان النص المتقدم منهما منسوخاً بالنص المتأخر.

والنسخ هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه، ويسمى هذا الدليل بالناسخ ويسمى الحكم الأول بالمنسوخ.

وقد وقع النسخ في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ومن هذه المواضع نسخ التوجه إلى بيت المقدس في الصلاة إلى التوجه إلى البيت الحرام وذلك بقوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

النص :

أولا فرجح متى تبدو قرائن تر جيح عليها احتوى متن أو السند

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إذا لم يتبين لنا النص المتقدم من النص المتأخر، فعند ذلك لا مناص من ترجيح نص على آخر والترجيح إنما يكون بقرائن في المتن والسند يعرفها أهل العلم ، ومثال ذلك ما رواه الإمام البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم^(١) وخالفه ما رواه مسلم حديث ميمونة رضي الله عنها أن الرسول تزوجها وهو حلال^(٢) فقد رأى العلماء تقدم حديث ميمونة وقالوا بأن المرء أدرى بحاله من غيره.

النص :

والمطلق أحمل على فحوى مقيد وخص ما عم بالتخصيص إذا تجدد

(١) البخاري في الاحصار وحزما الصيد باب تزويج المحرم ج ٢ ص ٦٥٨ ح ١٧٤٠ .

(٢) مسلم في النكاح باب تحريم نكاح المحرم وكراهية تعطيته ص ٥٥٦ ح ١٤١١ .

الشرح :

وفي هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن المطلق يجب حمله على المقيد. والمطلق هو اللفظ الدال على مدلول شائع في جنسه^(١).

والمقيد : هو اللفظ الدال على مدلول شائع في جنسه مع تقييده بوصف من الأوصاف^(٢).

وقد اتفق الفقهاء على أنه إذا اتحد الحكم والموضوع فإن المطلق يحمل على المقيد كما في قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِئَةُ وَالْدَّمَ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهْلُ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ [البقرة: ١٧٣].

فإن الدم هنا ذكر مطلقا فيحمل هذا المطلق على المقيد في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَلْبِدُ فِي مَا أَوْحَى إِلَيَّ مُخْرَجًا عَلَى طَائِعٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مُسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنَازِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلُ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

فإن الموضوع هنا هو الدم والحكم هو التحريم فيحمل المطلق هنا على المقيد هنا ويكون المحرم هو الدم المسفوح أما الكبد والطحال وهما غير مسفوح فإن التحريم لا يشملها^(٣).

(وخص ما عم بالتخصيص إذ تجددوا)

يشير الناظم -رحمه الله- في هذا الشطر إلى أن العام يخص إذ وجد له مخصص .

والعام :

هو اللفظ الواحد الدال على مسميين فصاعدا مطلقا معا^(٤).

والخاص :

هو اللفظ الذي وضع لمعنى واحد على سبيل الإنفراد أي اللفظ الذي يدل على معنى واحد، سواء كان ذلك المعنى جنسا كحيوان ، أم نوعا كإنسان ، وكرجل ، أم كان شخصا كزيد وإبراهيم، فمادام المسمى واحدا فهو الخاص^(٥).

(١) الإحكام في أصول الأحكام الأملدي ج ٣ ص ٥ .

(٢) الوجيز في أصول الفقه ص ٢٨٤ .

(٣) أصول الفقه ص ١٥٢-١٥١ ، الإحكام ج ٣/ ص ١٠-٥ ، والوجيز ص ٢٨٨-٢٩١ .

(٤) الإحكام في أصول الأحكام الأملدي ج ٢ / ص ٢١٨ ، وأصول الفقه ص ١٤٠ .

(٥) الإحكام ج ٢/ ص ٢١٩ ، وأصول الفقه ص ١٤٠-١٤١ .

ومثال تخصيص العام قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ﴾ [البقرة: ٢٢١]

فهو عام في النهي عن نكاح جميع المشركات خصصه قوله تعالى :

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [النساء: ٥]

ولا شك أن الكايات من جملة المشركات لقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ
النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٠].

النص :

والخطر قلم على داعي إباحته كذا على النفي فالإثبات معتضد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى أنه إذا تعارض أمر محظور وأمر مباح فإننا نقدم
المحظور على المباح .

فإذا جاء حديثان متعارضان أحدهما يحظر والثاني يبيح، فإننا نقدم الحظر على الإباحة من باب
الإحتياط، وكذلك الأمر عند تعارض النفي مع الإثبات، فإذا جاء نص ينفي وآخر يثبت قدمنا
المثبت على النافي احتياطاً.

النص :

كذا الصريح على المفهوم فالنص به وهكذا فاعتبر إن أنبت متقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم - رحمه الله - إلى أن الحكم الذي دل عليه صريح النص أولى

بالتقدم من الحكم الذي دل عليه مفهوم النص .

النص :

وأي فرع أتت في الأصل علة أو كان أولى بها فالحكم يطرد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن كل حكم جاء معللاً بعلّة فهذا الحكم يطرد في كل ما وجد فيه تلك العلة ، مثل : الخمر، فهي محرمة وعلتها الإسكار وعلى ذلك فكل ما أسكر حرام لوجود العلة، والقاعدة الأصولية إن العلة تدور مع المعلول جوداً وعدمًا^(١).

النص :

ولا تقدم أقوال الرجال على نص الشريعة كالفالين إذ جعلوا

الشرح :

يختم الناظم -رحمه الله- هنا منظومته ، ويرى أن يجعل آخرها وصية للقارئ، فينصحه بعدم تقدم أقوال الرجال على النصوص الشرعية الثابتة ولا يفعل كما فعل المبتدعة الغالون، وهذا الذي قاله الناظم -رحمه الله- قد وقع فيه كثير من أهل الأهواء والفرق الضالة، فكم من نص صريح تخطوه إلى أقوال أئمتهم الضالين دون نظر أو تأمل، ومن ذلك أن الله تعالى قد مدح أصحاب نبينا محمد ﷺ في محكم التنزيل فقال عنهم : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [التح: ٢٩] وقال عنهم أيضاً : ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فجاء الرافضة وكفروا هؤلاء الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه بمجرد أقوال سمعوها من أسلافهم تدعي أن الصحابة خانوا وصية النبي ﷺ في أمامة علي بن أبي طالب بعد النبي ﷺ مباشرة، وغروها لأبي بكر رضي الله عنهما فكفروا بذلك الصحابة فأَي ضلال أكبر من هذا حين قدموا أقوال أئمتهم المتهافة على نصوص الكتاب الصريحة ٢٢.

وهذا الذي فعله المبتدعة في تقدم أقوالهم على النصوص الصريحة ليس قاصراً على فرقة دون فرقة ولا جماعة دون جماعة، بل هو عام في جميع الفرق المنتسبة إلى الإسلام من رافضة وخوارج وجهمية ومعتزلة ومن سلك مسلكتهم وإن لم يتسم بأسمائهم وغيرهم، في القدم والحديث، ولم

يسلم من هذا الغلو إلا أهل السنة الذين أتبعوا ولم يتدعوا، وهم الذين بقوا على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه في العقيدة والعبادة والسلوك والمنهج ، كما أخبر عنهم النبي ﷺ وسماهم الفرقة الناجية .

النتيجة :

ولا تقلد وكن في الحق متبعاً إن اتباعك فلتعلم هو الرشد
إذ لأئمة بالتقليد ما أذنوا لكن رد المورد العذب الذي وردوا
ولتستن بفهوم القوم إن فهم بصائرهم بما ينحل منعقد

الشرح :

في هذه الآيات يحذر الناظم -رحمه الله- من التقليد، ويدعو إلى الإتيان لأن فيه السلامة لدين المرء.

والتقليد هو : (العمل بقول الغير من غير حجة ملزمة) ^(١)

فالناظم ينهي عن هذا التقليد ويدعو إلى الإتيان ، لأن فيه الخير والرشاد.

ثم يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن أئمة المسلمين لم يأذنوا بالتقليد ونهوا عنه.

ثم يدعو الناظم -رحمه الله- إلى الاستعانة بما قاله الأئمة من آراء في فهم النصوص الشرعية في الأحكام وغيرها ، ورد المورد العذب الذي وردوه واستقوا منه وهو الكتاب والسنة ، مع الاستفادة مما دونه في مصنفاتهم من مسائل ، وذلك لقوة استنباطهم ولا تملكهم أكثر من غيرهم أدوات الاجتهاد من تفسير وحديث وأصول ولغة ومعرفة بأسرار الشريعة وغوامضها ، وفي التنزيل يقول الله تعالى :

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَبْطِلُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣].

وقال أيضاً : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾ [العنكبوت: ١٧٢].

وقال أيضاً : ﴿ فَاسْتَلُوا أَهْلَ الدِّخْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الحل: ٤٣ والأندلس: ٧].

ولا شك أن الأئمة قد ذلّلوا الكثير من الصعاب لفهم الشريعة وتبسيطها للناس، فقد قاموا بحفظ حديث الرسول ﷺ فنفوا عنه الكذب والتحريف، كما حفظوا أقوال الصحابة وما كان منهم

(١) انظر الإحكام في أصول الأحكام ج/٤ ص ٢٧٧-٢٤٣ ، الوجيز في أصول الفقه ص ٤١٠-٤١٣ .

من اتفاق واختلاف ووقفوا على غريب القرآن والحديث، وعرفوا الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيد، فكل هذا الجهد الذي بذله الأئمة لا يمكن أن يتخطاه من أراد التفقه في الدين، بل هو في أمس الحاجة لجهود هؤلاء الأئمة الأعلام والسير على نهجهم وهداهم، كما أوصى الناظم -رحمه الله- بذلك حين قال : (لكن رد المورد العذب الذي وردوا) أي الكتاب والسنة، فهو مدين بالكثير لما بذلوه من جهد في حفظ الشريعة وإبقاء علومها زاهرة نضرة على مر القرون ، فجزاهم الله عن الأمة خير الجزاء .

الناظم :

وأعلم الأمة الصحب الأولى حضروا مواقع الشرع والتنزيل قد شهدوا
أدري الأنام بتفسير الكتاب وأفسر أفعال الرسول وأقوال له ترد

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن أعلم الأمة بعد نبينا محمد ﷺ هم الصحابة رضوان الله عليهم ، وكيف لا يكونون كذلك وهم الذين عايشوا التنزيل ساعة بساعة، فعلموا أين نزل؟ وكيف نزل؟ وما سبب نزوله؟ وما معنى مفرداته؟ وما مقصوده؟ وهل يظن عاقل أن هناك من يفهم كلام الله أكثر من الذين نزل عليهم وخاطبهم أولاً ، وهم أهل الفصاحة واللسان العربي المبين.

إن فضيلة الصحابة رضوان الله عليهم تكمن في أنهم هم الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ، وهم الذين أوكّل لهم بعد موته حفظ الدين ونقله إلى من يأتي بعدهم ، وهذا لا يتأتى إلا لمن هيئه الله لهذه المهمة واختاره اختياراً ، وقد قال عنهم الرسول ﷺ : (خير أمتي القرن الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم . . . الحديث) (١)

فالصحابة هم أهل المعرفة بالتنزيل ، كما أنهم أهل المعرفة بالسنة بأقسامها المختلفة، وقد أمروا بأدائها لغيرهم لفهمهم إياها وأمانتهم في نقلها وروايتها .

وهم أعلم الناس بتفسير القرآن وأفعال الرسول ﷺ وأقواله وتقريراته رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

النص :

إجماعهم حجة قطعاً وخلفهموا لم يعد الحق فليعلمه مجتهد
إردد أقاويلهم نحو النصوص فما يوافق النص فهو الحق معتضد
ما لم نجد فيه نصاً قدم الخلفا إذ هم بنص رسول الله قد رشدوا

الشرح :

في هذه الآيات يشير الناظم -رحمه الله- إلى حجية أقوال الصحابة ، فيقول إن إجماع الصحابة حجة قطعية ، أما إذا اختلف صحابيان فيرد قول كل منهما إلى نصوص القرآن والسنة ، فما كان موافقاً لهما فهو الحق ، فإن لم نجد نصاً في ذلك فعلينا بسنة الخلفاء الراشدين لأن الرسول ﷺ أمرنا بذلك حيث قال : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المصدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ) (١).

النص :

فالتابعون بإحسان فتابعهم من الأئمة للحق المبين هدوا
كالسبعة الأنجم الزهر الذين يرى إجماعهم مالك كالتص يعتمد
وابن المبارك والبصري هو الحسن ال مرضي حقاً وحماداً هموا حمدوا
كذلك سفيان مع سفيان ثم فسق الأ وزاع فأعلم ومن أقرانهم عدد
ثم الأئمة نعمان ومالكهم والشافعي أحمد في ديننا عمد

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم -رحمه الله- الصحابة في الآيات السابقة شرع في هذه الآيات في ذكر التابعين وأتباعهم ، فيذكر منهم الأنجم الزهر يعني بهم فقهاء المدينة السبعة وهم :

(١) أبو داود في كتاب السنة ح ٤٦٠٧ - وابن ماجة في المقدمة ح ٤٢ وصححه الألباني أنظر صحيح سنن بن ماجة ج ١

ص ١٣ ومشكاة المصابيح ج ١ ص ٥٨ ح ١٦٥.

سعيد بن المسيب^(١) وخارجة بن زيد^(٢) والقاسم بن محمد^(٣) وأبو بكر بن عبد الرحمن^(٤) وعروة بن الزبير^(٥) وعبيد الله بن عبد الله^(٦) وسليمان بن يسار^(٧) وهؤلاء السبعة يرى مالك إجماعهم حجة كالتص. ويذكر الناطم -رحمه الله- أيضاً الإمام عبد الله بن المبارك^(٨)، والحسن البصري^(٩)،

(١) هو أبو محمد سعيد المسيب بن حزن القرشي المخزومي ، ولد في خلافة عمر وسمع عثمان وعلياً وزيد بن ثابت وعائشة وكثيراً من الصحابة ، روى عنه خلق كثير ، توفي سنة أربع وتسعين . انظر : سير أعلام النبلاء ج ٤ / ص ٢١٧ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ / ص ٥١ .

(٢) هو أبو زيد خارجة بن زيد الأنصاري ، تابعي حليل وفقه كبير ، لم يكن بالكثير في الحديث ، روى عن أبيه وعمه يزيد وأسامة بن زيد وغيرهم ، توفي سنة مائة من الهجرة . انظر : سير أعلام النبلاء ج ٤ / ص ٤٣٧ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ / ص ٥٨ .

(٣) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ولد في خلافة علي وتربى في حجر عمته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وتفق منها وروى عنها ، قال مالك عنه : كان من فقهاء هذه الأمة ، توفي سنة سبع ومائة بقديد . انظر : سير أعلام النبلاء ج ٥ / ص ٥٣ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ / ص ٩٦ .

(٤) هو أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ، من فقهاء التابعين ويقال له راهب قرين ، وكان ضريباً ولد في خلافة عمر رضي الله عنه ، وروى عن أبيه وعمار بن ياسر ، وعائشة ، وأبو هريرة رضي الله عنهم وغيرهم توفي سنة أربع وتسعين بالمدينة . انظر : سير أعلام النبلاء ج ٤ / ص ٤١٦ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ / ص ٥٩ .

(٥) هو أبو عبد الرحمن عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد القرشي ، عالم المدينة وفقهها ، ولد سنة ثلاث وعشرين ، روى عن أمه أسماء وخاله عائشة ، وما تفقه ، توفي سنة ثلاث وتسعين . انظر : سير أعلام النبلاء ج ٤ / ص ٤٢١ ، وحلية الأولياء ج ٢ / ص ١٦٧ .

(٦) هو أبو عبد الله عبيد الله بن عبد الله بن عتبة الغدلي اللدني ، مفتي للمدينة وعالمها ، ولد في خلافة عمر أو بعدها بقليل روى عن عائشة ، وفاطمة بنت قيس ، وأبي هريرة وغيرهم ، كان ثقة عالماً فقيهاً كثير الحديث والعلم بالشعر ، وقد ذهب بصره ، توفي سنة ثمان وتسعين ، انظر : سير أعلام النبلاء ج ١ / ص ١١٦ ، وحلية الأولياء ج ٢ / ص ١٨٨ .

(٧) هو أبو أيوب سليمان بن يسار ، ولد في خلافة عثمان ، روى عن زيد بن ثابت ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وآخرين توفي سنة سبع ومائة . انظر : سير أعلام النبلاء ج ٤ / ص ٤٤٤ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ / ص ٥٨ .

(٨) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي مولاهم التركي ثم للروزي ، أحد أقيسة الأمة ومجاهديها ، وحفظها وعلمائها ، وجرادها ، ولد سنة ١١٨ هـ ، وروى عن الأكابر ، وصنف المصنفات الجليلة منها كتاب الزهد والجهاد ، توفي سنة إحدى وثمانين ومائة . انظر : تاريخ بغداد ج ١٠ / ص ١٥٢ ، وسير أعلام النبلاء ج ٨ / ص ٣٧٨ .

(٩) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن بن يسار ، مولى زيد بن ثابت الأنصاري ، سبب أمه من ميسان وهي حامل به ، فولدته بالمدينة لستين بقيناً من خلافة عمر ، رأى عثمان وطلحة والكبار ، وروى عن خلق من الصحابة والتابعين ، توفي سنة عشر ومائة . انظر : سير أعلام النبلاء ج ٤ / ص ٥٦٣ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ / ص ٦٦ .

وحماد بن سلمة^(١)، وسفيان بن عينة^(٢)، وسفيان الثوري^(٣)، والأوزاعي^(٤)، ثم ذكر أصحاب المذاهب الأربعة المشهورين وهم أبو حنيفة النعمان^(٥)، ومالك بن أنس^(٦)، وعمر بن إدريس الشافعي^(٧)، وأحمد بن حنبل رحم الله الجميع^(٨).

الشرح :

وغيرهم من أولي الفتوى الذين هم أولئك القوم يحى القلب إن ذكروا
بماتر بضياء الوحي تتقد ويذكر الله إن ذكروا
أئمة النقل والتفسير ليس هم سوى الكتاب ونص المصطفى سند

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم -رحمه الله- الأئمة الأعلام المشهورين شرع هنا في ذكر بقية العلماء إجمالاً من أئمة الحديث والتفسير الذين تحيي القلوب بذكرهم ويذكر الله حين يذكرون وما ذلك إلا لصلاحهم وورعهم وتقواهم فالناظم رحمه الله يثني عليهم وينوه بصلاحهم ويشيد بالدور الذي قاموا به في حفظ الدين ومنهجهم في إتباع الكتاب والسنة.

الشرح :

أخبار ملته أنصار ملته لا يعدلون بما قاله أحد
أعلامها نشرها أحكامها نصروا أعداءها كسروا نقابها نقدوا

(١) هو أبو سلمة حماد بن سلمة بن دينار البصري، روى عن ابن أبي مليكة، وثابت البناني، وأبا عمران الجوني وغيرهم، توفي سنة ١٦٧ هـ،

وهو في الصلاة. انظر: سير أعلام النبلاء ج ٧/ ص ٤٤٤، وحلية الأولياء ج ٦/ ص ٢٤٩، وتذكرة الحفاظ ج ١/ ص ٢٠٢.

(٢) هو أبو محمد سفيان بن عينة بن أبي عمران، الحنظلي الكوفي ثم اللخمي، من أئمة الحفاظ، ولد سنة ١٠٧ هـ، روى عن عمرو بن دينار وفزاري وزيد بن أسلم وغيرهم، توفي سنة ثمان وتسعين ومائة. انظر سير أعلام النبلاء ج ٨/ ص ٤٥٤، وتاريخ بغداد ج ٩/ ١٧٤، وحلية الأولياء ج ٧/ ص ٢٧٠.

(٣) هو أبو عبد الله سفيان بن مسروق بن حبيب الثوري الكوفي شيخ الإسلام وإمام الحفاظ، والفقيه والزهاد، ولد سنة ٩٧ هـ، روى عن سفيان، اتفق العلماء على أنه أمير المؤمنين في الحديث وتوفي سنة ست وعشرين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء ج ٧/ ص ٢٢٩ وحلية الأولياء ج ٦/ ص ٣٥٦ وتاريخ بغداد ج ١/ ص ١٧٨.

(٤) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي، فقيه الشام وحافظها، ولد في حياة الصحابة سنة ٨٨ هـ، روى عن عطاء بن أبي رباح وعمرو بن شعيب، ومكحول، وعقادة وغيرهم، توفي سنة سبع وخمسين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء ج ٧/ ص ١٠٧، وحلية الأولياء ج ٦/ ص ١٣٥، وتذكرة الحفاظ ج ١/ ص ١٧٧٨.

(٥) أبو حنيفة النعمان صاحب المذهب المشهور توفي ١٥٠ هـ. انظر تهذيب التهذيب ج ١٠/ ص ٤٠١.

(٦) سبق الحديث عنه في المقدمة ص ٦٧.

(٧) هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي صاحب المذهب المشهور توفي عام ٢٠٤ هـ المرجع السابق ج ٩/ ص ٢٢٥.

(٨) هو الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة صاحب المذهب المعروف توفي سنة ٢٤١ هـ. انظر سير أعلام النبلاء ج ١١/ ص ١٧٧.

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم -رحمه الله- إلى صفات أئمة الحق وجهودهم في حفظ الدين ونشر العقيدة، فيقول إثم علماء الدين، وأنصار السنة ، وإثم يعظمون سنة الرسول ﷺ ولا يعدلون بها قول أي أحد من الخلق ، وأثم قاموا بنشر هذه السنة، ونصروا أحكامها ، ودافعوا عنها حين تصدوا لأعدائها ووقفوا في وجوههم وردوا أقوالهم المخالفة لهذه السنة، وقاموا أيضاً بنقد الرجال الذين نقدوا هذه السنة حتى بينوا صحيحها من ضعيفها وذلك بنقد الرجال ومعرفة أحوالهم من العدالة والصدق ، والضبط ، والحفظ وغير ذلك .

النص :

هم الرجوم لسراق الحديد كما لكل مسترق شهب السما رصد

الشرح :

لا يزال الناظم -رحمه الله- في هذا البيت يتحدث عن صفات هؤلاء الأئمة الأعلام وجهودهم في حفظ السنة فيقول إثم قد نفوا الكذب والتحريف عن السنة النبوية المطهرة ، وذلك بنقد الأسانيد ومحيص الرواة ، فميزوا للناس ما صح عن النبي ﷺ عن ما أدخله الرضاعون من أحاديث مختلقة مكذوبة عليه ، فهؤلاء الأئمة كانوا للوضاعين بمثابة الشهب الناقبة التي تتبع الشياطين فتحرقها قبل استراق السمع.

النص :

بدور تم سوى أن البدور لها غيوبة أبداً والنقص مطرد
وهم مدى الدهر مازالت مآثرهم في جدة وانجلاء منذ ما وسدوا

الشرح :

لا يزال الناظم -رحمه الله- هنا يذكر صفات هؤلاء الأئمة العلام فيقول إثم كالبدور في ليلة تمامها إلا أنهم فاقوا البدور بديمومتهم ، ففي الوقت الذي نرى فيه البدور تنقص أشكالها وتغيب من وقت لآخر ، نجد أكثر هؤلاء الأئمة في تجدد دائم وظهور مستمر لم تغب ذكراهم منذ موتهم إلى اليوم .

النص :

النك الملاءم الألي ملاءوا الأقطار علما وغير النص ما اعتقدوا
كل له قدم في الدين راسخة وكلهم في بيان الحق مجتهد
فإن أصاب له أجران قد كملا والأجر مع خطئه والعفو متعدد

الشرح :

لا يزال الناظم - رحمه الله - في هذه الآيات يتحدث عن هؤلاء الأعلام فيقول إنهم ملئوا
أقطار الدنيا علما وفقها، وكل منهم راسخ في دينه حريص على إتباع النص فيما يقول، مجتهد في
علمه ، فإن أصاب فله أجران تامان، وإن أخطأ فله أجر واحد وهو موعود بالعفو عن هذا
الخطأ، لقوله ﷺ : (إِذَا حُكِمَ الْعَالِمُ فَاجْتَمَعَتْ لَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا حُكِمَ فَاجْتَمَعَ
فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ) ^(١) وإنما كان للمصيب أجران لأن له أجر في الاجتهاد وإعمال الفكر، وأجر
في إصابته للحق، وأما المخطئ فله أجر واحد وهو أجر الاجتهاد وإعمال الفكر.
والعفو من الله سبحانه وتعالى عن الخطأ كما وعد الله سبحانه وتعالى
قال ﷺ (إن الله تعالى تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان) ^(٢)

النص :

والحق ليس بفرد قط منحصر إلا الرسول هو المعصوم لا أحد
صلى عليه إله العرش فاطره مسلما ما بأقلام جرى المدد
والآل والمحب ثم التابعين لهم والحمد لله لا يحصى له عدد

الشرح :

(١) البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ، ج ٦ / ص ٢٦٧٦ /

ح ٦٩١٩ ، ومسلم في الأقضية باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ من ٧١٣ ح ١٧١٦ .

(٢) شبق تحريجه ص ١٣٦ .

في هذه الآيات الثلاثة وهي الأخيرة في هذه الجوهرة يشير المؤلف إلى أن الحق لا يعرف بالرجال وإن الكمال لله وحده والحق ليس محصوراً في أحد من البشر إلا سيد البشر الرسول ﷺ هو المعصوم بعصمة الله من الخطأ والزلل لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو وحي يوحى وكذلك رسل الله كلهم معصومون بعصمة الله .

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤] .

ثم كما بدأها ختمها بالصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله بعدد ما سطرت الأقلام وجرى المداد وكذلك آل النبي ﷺ والصحابة والتابعين لهم ثم أننا على الله سبحانه بما هو أهله على إكمال هذه المنظومة وتقدم في خطبة المؤلف شرحاً مفصلاً لذلك فليرجع إليه من شاء .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

خاتمة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد :

فإنني أحمد الله تعالى الذي وفقني لإكمال هذا البحث، الذي تناولت فيه : (الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة) للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي دراسة وتحقيقاً وشرحاً . وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى بعض النتائج ومنها .

١ - عظم قدرة الله سبحانه وتعالى حيث جعل الأيوين الأمينين حافظاً من الحفاظ وعالم من علماء الدنيا هو الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي.

٢ - فضل الله سبحانه وتعالى على الشيخ حافظ حيث منحه حافظه قوية ، وذكاءً نادراً مما جعله يتفوق على أقرانه فيصبح معلماً لهم في فترة وجيزة ، بعد أن كان متعلماً معهم ، بل ويؤلف الكتب العلمية العظيمة، التي يستعصي على الكثير من أهل العلم تأليف مثلها، وذلك بفضل الله يؤتيه من يشاء .

٣ - سعة علم الشيخ حافظ - رحمه الله تعالى - وإطلاعه وتبحره في شتى العلوم، ويتضح ذلك من خلال مؤلفاته نظماً ونثراً .

٤ - دور الشيخ حافظ رحمه الله في تأصيل العقيدة السلفية في منطقة الجنوب هو وشيخه عبد الله القرعاوي حيث أن لهما أكبر الأثر - بعد الله تعالى - في إخراج الناس من ظلمات الجهل والشرك إلى نور العلم والتوحيد وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة.

وإلى جانب هذه النتائج فإنه لا يفوتني أن أقدم بعض الوصايا والمقترحات التي أرى أنها نافعة في هذا المجال ومنها :

١ - أن تقوم جامعات المملكة العربية السعودية بتحقيق ودراسة مؤلفات الشيخ العلامة حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله المطبوعة منها والمخطوطة حيث لا يزال قسم منها في أدراج بعض المكتبات مخطوطاً لم يطبع بعد، لأن في الإعتناء بها وطبعها إحياء لتراث عظيم اشتمل على الكثير من الموضوعات العلمية .

٢- أرى أنه لا غنى لطالب العلم في الدراسات العليا وغيرها من مؤلفات الشيخ حافظ بصفة عامة وكتب العقيدة بصفة خاصة ، لما اشتملت عليه من فوائد حمة وعلم غزير ، ومنهج سليم مستمد من كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد/ وما صح من سنة رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، وفهم السلف الصالح رضوان الله عليهم لتلك النصوص ولذلك فإني أرى أن تقرر تلك المؤلفات للتدريس في الجامعات والدراسات العليا وخاصة كتب العقيدة.

٣- أرى أن تقوم الرئاسة العامة لتعليم البنات بفتح قسم خاص للدراسات العليا في منطقة جازان بجميع فروعها وأقسامها العلمية والأدبية تسهياً للطالبات الراغبات في مواصلة الدراسات العليا من عناء السفر والمشقة التي يواجهنها ومن عدم وجود محرم مرافقتهن إلى المناطق الأخرى لاسيما وأن سفر المرأة بمفردها أمر محظور لا تقره الشريعة الإسلامية الغراء وذلك سوف يشجع الطالبات على مواصلة الدراسة العليا دون عناء أو مشقة ، مع العلم بحاجة المنطقة لمثل هذه الدراسة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

فهرس الآيات القرآنية
مرتباً حسب السور

السورة	الآية	الصفحة
سورة الفاتحة	(٢)	١١٥ ، ٤٦
سورة البقرة	(٨)	٢٦٩ ، ١١٩
	(٩)	٢٦٩ ، ١١٩
	(١٠)	١١٩
	(١٦)	٨١
	(١٨)	٨٠
	(٢١)	١٢٦
	(٢٢)	١٢٦
	(٢٣)	٣١٥ ، ١٦٢
	(٢٤)	١٦٢
	(٣٤)	٢٦٩
	(٤٣)	٣١٤
	(٥٣)	١٦٣
	(٦٥)	٣١٥
	(٦٦)	١٤٩
	(٨٩)	٢٦٩
	(٩٧)	١٣٣
	(٩٨)	١٣٣
	(١٠٢)	٢٩١ ، ٢٩٠
	(١١٧)	٣١٥
	(١١٨)	٧٩
	(١٣٦)	١٤٠
	(١٤٣)	٢٥٨
	(١٤٤)	٣٢١
	(١٤٦)	٢٦٩
	(١٦٥)	١٢٢ ، ١٢٠
	(١٧٣)	٣١٦
	(١٧٨)	٢٨٣

الصفحة	الآية	السورة
٢٦٠	(١٨٣)	
٢٤٧	(١٨٥)	
١٠٨	(١٨٦)	
٢٦٢	(١٩٠)	
٢٥٢	(٢١٣)	
٣٢٣	(٢٢١)	
١٦٣	(٢٢٢)	
٢٢٧	(٢٢٣)	
٢٧٩	(٢٣١)	
٣١٦	(٢٣٥)	
٢٥٧، ٨٥	(٢٣٨)	
٢٢٧	(٢٤٩)	
١٦١، ١٤٣، ٨٧	(٢٥٣)	
٩٨، ٩٤، ٥٣	(٢٥٥)	
٢٧٣، ١٦٩	(٢٦٤)	
١٢٨	(٢٧٠)	
١٦٠	(٢٧٢)	
٣١٥	(٢٨٢)	
١٥٩	(٢٨٥)	
٩٤	(٢)	سورة آل عمران
١٤٢	(٧)	
١٢٠	(٣١)	
١٢٠	(٣٢)	
٩٥	(٣٥)	
١٥٠	(٤٥)	
١٥١	(٤٧)	
١٦٤	(٤٩)	
١٥١	(٥٩)	
١٦٢	(٧٦)	
٢٦٠	(٩٧)	
١	(١٠٢)	

الصفحة	الآية	السورة
٢١٠	(١٣١)	
٢٠٩	(١٣٣)	
٢٤١	(١٥٦)	
٨٦	(١٧٣)	
٢١٢ ، ١٤٨	(١٨٥)	
١	(١)	سورة النساء
٢٨٦	(١٧)	
٢٨٦	(١٨)	
١٢٣	(٤٨)	
١٥٠ ، ٩٤	(٥٨)	
٣٠٦	(٥٩)	
٣١٢	(٦٤)	
٣٢٥	(٨٣)	
١٢٣	(١١٦)	
١١٨	(١٢٥)	
١٤١ ، ٨٧	(١٣٦)	
٢٧٢ ، ٢٧١	(١٤٢)	
٢٨١ ، ٢٧٧	(١٤٥)	
١٥٩	(١٥٠)	
١٥٩	(١٥١)	
١٥٩	(١٥٢)	
١٨٦ ، ١٨٣	(١٥٧)	
١٨٦ ، ١٨٣	(١٥٨)	
١٨٩	(١٥٩)	
١٤٢	(١٦٣)	
١٦٣ ، ١٤٣	(١٦٤)	
٢١١	(١٦٨)	
٢١١	(١٦٩)	
١٥٠	(١٧١)	
١٣٢	(١٧٢)	
٣١٧	(٢)	سورة المائدة

الصفحة	الآية	السورة
٣٢٢	(٣)	
٣١٥	(٤)	
٣١٦	(٥)	
٢٤٧، ٢٤٣	(٦)	
٦٣	(١٧)	
١٢٠	(٥٤)	
٥٠	(٦٦)	
١٤٨	(١١٦)	
١٤٨	(١)	سورة الأنعام
١٣٦	(٣)	
٩٧	(١٨)	
١٤٨	(١٩)	
٢٤٦	(٣٥)	
٨٤	(٥٢)	
١٢٦	(٦١)	
٥٣	(٦٤)	
٨٤	(٧٣)	
١٤٩، ١٤٦	(١٠٠)	
٢٢٨، ٢٢٥	(١٠٣)	
٩٦	(١١٥)	
٣٣٢	(١٢٤)	
٢٤٧	(١٢٥)	
٣١٥	(١٤٢)	
٣٢٢	(١٤٥)	
١٧٥	(١٥٨)	
١٢٨	(١٦٢)	
١٢٨	(١٦٣)	
٢٤٠	(٢٣)	سورة الأعراف
٢٤٠	(٤٣)	
٢٤٨، ١٥٠، ١٠١، ٩١	(٥٤)	
١٢٤	(٥٥)	

الصفحة	الآية	السورة
١٢٤	(٥٦)	
٢٨٩	(١١٦)	
١٦٣ ، ١٤١	(١٤٤)	
١٤١	(١٤٥)	
١٤٤	(١٤٨)	
٢٤٤	(١٧٢)	
٢٥٠	(١٧٨)	
١١٤ ، ١٠٩	(١٨٠)	
١٦٩	(١٨٧)	
١٤٨	(١٨٩)	
٣١١	(١٩٩)	
١٢٢ ، ١١٩	(٣٨)	سورة الأنفال
٢٣٦	(٤٢)	
١٣٧	(٥٠)	
١٤٣	(٦)	سورة التوبة
٣٢٣	(٣٠)	
٢٥٩	(٣٤)	
١٠٨	(٤٠)	
٢٤٣	(٥١)	
٢٨٠	(٦٧)	
٣١٥	(٨٢)	
٣٢٤ ، ٢١٠	(١٠٠)	
٢٥٨	(١٠٣)	
٢٦٢	(١١١)	
٣٢٥	(١٢٢)	
٨٧	(١٢٤)	
١٢٥	(٧)	سورة يونس
١٢٥	(٨)	
٤٦	(١٠)	
٢٢٢	(١٨)	
٢٢٦	(٢٦)	

الصفحة	الآية	السورة
٩١	(٣١)	
٨٩	(٣٢)	
٣٠٩	(٨٠)	
١١٥	(١٠٣)	
٢٧٥ ، ١٢٧ ، ١٢٢	(١٠٦)	
١٢٧ ، ١٢٢	(١٠٧)	
٢٠٢	(٥٨)	سورة هود
٢٠٢	(٦٦)	
٢٠٢	(٩٤)	
٢٣٠ ، ٢٠٦ ، ٢٠٥	(٩٨)	
٩٤	(٣٩)	سورة يوسف
٣٠٦	(٤٠)	
٣٠٦	(٦٧)	
٩٨	(٢)	سورة الرعد
١٥٦	(٧)	
١٣٤ ، ٩٢	(١٠)	
٢٤٣ ، ١٣٤	(١١)	
٢٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٤ ، ٩٤	(١٦)	
١٣٦	(٢٣)	
٧٤	(٢٨)	
٢٢٩	(٢٩)	
١٤٦	(٣٣)	
١٦٩	(٢٧)	سورة إبراهيم
٤٦	(٣٤)	
٩٢ ، ٤٦	(٣٩)	
٣١٠	(٤٢)	
٢٠٥	(٤٢)	سورة الحجر
٢٠٥	(٤٣)	
٢٠٥	(٤٤)	
٢٠٥	(٤٥)	
٣٠٩ ، ٢٠٥	(٤٦)	

الصفحة	الآية	السورة
٢١٠	(٤٨)	
٥٠	(٢٥)	سورة النحل
١٣٧	(٣٢ - ٢٨)	
١٥٨	(٣٦)	
٣٢٥	(٤٣)	
٣١٢	(٤٤)	
٥٠	(٥٩)	
٥٩	(٨٢)	
٩٦	(٩٠)	
١٤٥، ١٣٤	(١٠٢)	
٢٦٣، ١٠٨	(١٢٨)	
١٣١	(٢٣)	سورة الإسراء
٣١٥، ٧٥	(٣٢)	
١١٤	(٣٦)	
١٦١	(٥٥)	
٢٩٢	(٨٢)	
٩٢	(١٠٢)	
١٠٩	(١١٠)	
٢٥٠	(١٧)	سورة الكهف
٢٦٣	(٣٠)	
٢٨٠	(٥٠)	
١٩٠	(٩٩ - ٩٢)	
١٨٩	(٩٩)	
٢٠٢	(١٠٥)	
١٤٣، ٤٧	(١٠٩)	
٢٧١، ١٢٤	(١١٠)	
١٥٤	(٥٢)	سورة مريم
٢٠٥، ٢٠٤	(٧١)	
٢٠٥	(٧٢)	
٨٦	(٧٦)	
٢٣٠	(٨٦)	

الصفحة	الآية	السورة
١٠١	(٥)	سورة طه
٦٣	(١٠-١٣)	
١٤٨	(٤١)	
١٠٨	(٤٦)	
٢٨٩	(٦٩)	
١١١	(٧٤)	
١٤٤	(٨٩)	
٧٧	(٩٤)	
٢٢٣	(١٠٩)	
٩٩	(١١٠)	
٩٤	(١١١)	
٣١٦	(١٣١)	
١٤٩، ٧٦	(٢)	سورة الأنبياء
١٣٣	(١٩)	
١٣٣	(٢٠)	
١٦٥، ٩١	(٢٥)	
١٣٢	(٢٦)	
١٣٢	(٢٧)	
٢٢٣	(٢٨)	
١٣٧، ١٣٥	(٤٢)	
١٩٩، ١٩٨	(٤٧)	
١٤٩	(٧٣)	
١٩٠	(٩٦)	
٢٣٠	(٩٩)	
١٢٣	(٣١)	سورة الحج
٢٦٢	(٣٩)	
٢٤٤، ٢٤٣	(٧٠)	
١٠٥	(٨٦)	سورة المؤمنون
٩١	(٨٨)	
٢٨٠	(٤)	سورة النور
٣١٤	(٣٣)	

الصفحة	الآية	السورة
١٥٩	(٥٤)	
٣١٦	(٦١)	
٢١٠	(١١)	سورة الفرقان
٩٤	(٥٨)	
١٠١	(٥٩)	
١٤٩، ١٤٦	(٥)	سورة الشعراء
٢٢٩	(٦١)	
٢٢٩	(٦٢)	
١٣٤	(١٩٣ - ١٩٥)	
٩٥	(٢٢٠ - ٢١٨)	
٢٦٩، ٩٢	(١٤)	سورة النمل
١٤٧	(٢٣)	
١٧٨	(٨٢)	
١٩٧	(٨٧)	
١١٩، ١١٦	(٨٩)	
٥٦	(١٥)	سورة القصص
١٥١	(٣٠)	
٩٢	(٣٨)	
١٦٣	(٤٣)	
٨٤	(٥٣)	
١٦٠	(٥٦)	
١٥٤، ١٥١	(٦٢)	
١٥٤	(٦٥)	
٢٤٦	(٦٨)	
١٥٤	(٧٤)	
٢٤٠	(٧٨)	
٢١٣، ٢١٢، ٩٤، ٢٠٩، ٢٠٨	(٨٨)	
١١٩	(١)	سورة التكاثر
١١٩	(٢)	
١١٩	(٣)	
٢٥٧	(٤٥)	

الصفحة	الآية	السورة
٢٦٨	(٦٨)	
٢٣٧، ٢٣٣	(٤١)	سورة الروم
٧٦	(٧)	سورة لقمان
٢٧٩، ١٢٩	(١٣)	
١١٨	(٢٢)	
٤٧	(٢٧)	
١٠١	(٤)	سورة السجدة
١٣٧، ١٣٥	(١١)	
١٤٥	(١٣)	
٣٠١	(٦)	سورة الأحزاب
١٦١	(٧)	
٣٠١	(٣٣)	
٢٣٦، ١٥٠	(٣٨)	
١٦٦	(٤٠)	
١٦٩	(٦٣)	
١	(٧٠)	
١	(٧١)	
٢٤٢، ٥٣	(٣)	سورة مائدة
١٤٥	(٦)	
٢٢٢	(٢٢)	
١٦٧	(٢٨)	
١٣٣	(١)	سورة فاطر
١٣٠، ١٢٦	(٢)	
٢٤٨	(٣)	
١	(٢٨)	
٨٥	(٢٩)	
٨٨	(٣٢)	
٥٣	(٣٨)	
٢٤٦	(٤٤)	
١٢٥	(١١)	سورة يس
٢٤٣	(١٢)	

الصفحة	الآية	السورة
١٩٧	(٥١)	
١١٨	(٢٢)	سورة الصافات
١١٨	(٢٣)	
١١٨	(٢٤)	
١١٩	(٤٠)	
١١٩	(٤٣)	
٥٦	(٨٣)	
١٣٣	(١٥١)	
١٣٣	(١٦٦)	
١٢٣	(٥)	سورة ص
٩٩	(٦٥)	
١٩٣	(٨٦)	
١٤٥	(١)	سورة الزمر
١٣٠، ١٢٣، ١١٩	(٣)	
٩٩، ٩٦	(٤)	
١١٧، ٨٥، ١	(٩)	
٨٤	(١٤)	
٢٩٥، ٨٦، ٨٤	(٣٣)	
٨٤	(٣٤)	
٢٨٥	(٥٣)	
٢٨٥	(٥٤)	
١٢٣	(٦٥)	
١٢٣	(٦٦)	
١٣٩	(٧١)	
١٣٨	(٧٣)	
٤٦	(٧٤)	
١٣٥	(٧)	سورة غافر
١٩٨	(١٧)	
٢٢٤	(١٨)	
٩٥	(١٩)	
١٧٢	(٤٥)	

الصفحة	الآية	السورة
٢١٠، ١٧٢	(٤٦)	
٢٥٣	(٥٥)	
١٢٤	(٦٠)	
٢٦٨	(٧٠)	
٣١٢، ١٦٠، ١٥٩	(٧٨)	
١٧٥	(٨٥)	
٢٥١	(٢١)	سورة فصلت
٣١٥	(٤٠)	
٢٢٨، ١١٤، ٩٩، ٩٤، ٥٤	(١١)	سورة الشورى
١٦١	(١٣)	
١٤٢، ٨٤	(١٥)	
١٤١	(٥١)	
١٦٠	(٥٢)	
١٤٨	(٣)	سورة الزمر
٩٢	(٩)	
١١٨	(٢٣)	
١١٨	(٢٥)	
١٣٦	(٨٠)	
١١٧، ٨٤	(٨٦)	
١٤٥	(٤)	سورة الدخان
١٩٢	(١٠)	
١٩٢	(١١)	
٣١٥	(٤٩)	
٨٤	(١٣)	سورة الأحقاف
١٤٧	(٢٥)	
١١٧	(١٩)	سورة محمد
١٢٥	(١١)	سورة الفتح
٣٠٣	(١٨)	
٣٢٤	(٢٩)	
٢٨٣، ٢٧٩	(٩)	سورة الحجرات
٢٨٣، ٢٧٩	(١٠)	

الصفحة	الآية	السورة
١١٧	(١٥)	
١٣٦	(١٧)	سورة قى
١٣٦	(١٨)	
١٢٣	(٢٤)	
١٢٣	(٢٥)	
١٢٥	(٣٢)	
١٢٥	(٣٣)	
٢٢٦	(٣٥)	
١٣٥	(٤)	الطور
٣١٥	(١٦)	
١٣٤	(٤)	سورة النجم
١٣٤	(٥)	
١٣٤	(٦)	
١٣٤	(٧)	
١٣٤	(٨)	
١٣٤	(٩)	
١٣٤	(١٣)	
١٣٤	(١٤)	
١٣٤	(١٥)	
٢٢٠	(٢٦)	
٢٣٦	(٤٩)	سورة القمر
٢١٣، ١٧٠	(٢٦)	سورة الرحمن
١٧٠	(٢٧)	
١٤٥	(٢٩)	
١٣٨	(٨٣)	سورة الواقعة
١٣٨	(٩٦)	
١٠٨، ١٠٧، ١٠١	(٤)	سورة الحديد
٢٠٩	(٢١)	
٩٥	(١)	سورة المجادلة
٨٨، ١	(١١)	
٢٤٢	(٢٢)	سورة الحشر

الصفحة	الآية	السورة
٣١٥	(٩)	سورة الجمعة
٢٨١	(١)	سورة المنافقون
٢٦٩	(٣)	
٨١	(٤)	
٢٥٠	(٢)	سورة الطهين
١٥٠	(٥)	سورة الطلاق
١١١	(١٢)	
٢٠٨، ٢٠٤، ١٣٩	(٦)	سورة التحريم
٣١٦	(٧)	
٢٨٦، ٢٠٨	(٨)	
٢١٢	(١١)	
١٠٢	(١٦)	سورة الملك
١٠٢	(١٧)	
٢٣٠	(٤٢)	سورة القلم
٢٣٠	(٤٣)	
١٣٥	(١٧)	سورة الحاقة
١٩٩	(١٩)	
١٩٩	(٢٠)	
١٩٩	(٢١)	
١٩٩	(٢٢)	
١٩٩	(٢٥)	
١٩٩	(٢٩)	
١٥١	(٤٠)	
١٦٧	(١)	سورة الجن
١٦٧	(٢)	
١٤٦	(٢٥)	سورة المدثر
١٤٦	(٢٦)	
١٤٠	(٣١)	
٢٢٤	(٤٨)	
٢٣٥، ٢٢٧، ٢٢٦	(٢٢)	سورة القيامة
٢٣٥، ٢٢٧، ٢٢٦	(٢٣)	

الصفحة	الآية	السورة
٢٣٥	(٢٥)	
١٢٨	(٧)	سورة الإنسان
٢٥٠	(٣٠)	
١٥٤	(١٦-١٥)	سورة النازعات
١٣٢	(١٥)	سورة عبس
١٣٢	(١٦)	
١٥١	(١٩)	سورة التكوير
٢٤٩	(٢٩)	
١٣٦	(١٠)	سورة الانفطار
١٣٦	(١١)	
١٣٦	(١٢)	
٢٢٦	(٢٢)	سورة المطففين
٢٢٦	(٢٣)	
٩٥	(٩)	سورة البروج
٩٩	(١)	سورة الأعلى
٢١٦	(٣)	سورة الفجر
٢٤٢	(٥)	سورة الليل
٢٤٢	(٦)	
٢٤٢	(٧)	
٢٩٥	(١٧)	
٢٩٥	(٢١)	
١	(١)	سورة العلق
٢٤٥	(٤)	سورة القدر
٢٤٥	(٥)	
١١٩	(٥)	سورة البينة
٢٠٠، ١٩٩	(١١-٦)	سورة القارعة
٧٧	(٨)	سورة الحمزة
١٤٩	(٥)	سورة الفيل
٢١٣، ١٢٨	(١)	سورة الكوثر
٢١٣، ١٢٨	(٢)	
٢١٣	(٣)	

السورة	الآية	الصفحة
سورة الكافرون	(٦-١)	٩١
سورة الإخلاص	(٤-١)	٩٩ ، ٩٧
سورة الفلق	(٤)	٢٩١

فهرس الأحاديث
مرتباً حسب الحروف الهجائية

الصفحة	الحديث
٢١٨	آتى باب الجنة.
٨٥	آمركم بالإيمان .
٢٨١	آية المنافق .
١٧٥	أتدري أين تنهب .
٢٧٦	اجعلني لله ندا .
١٣٥	أذن لي أن أحدث .
٢١٩، ١١٩	أسعد الناس بشفاعتي .
١١٨	أشهد أن لا إله إلا الله
٢١٦	أعطيت حسا .
٢٩٩	افتح وبشره .
١٢٠	أفلح إن صدق .
١٨١	ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال .
٢٧٢	ألا أخبركم بما هو أعرف
٢٩٩	ألا أستحي .
٢٧٤	ألا إن الله ينهاكم .
٢٤٢	الله أعلم بما كانوا عاملين .
١٠٩	اللهم إني عبدك .
١٣٥	اللهم رب جبريل
٤٧	اللهم ربنا لك الحمد .
٢٠٩، ٢٠٥	اللهم لك الحمد أنت نور السماوات
١٢٥، ١٢٢	اللهم رحمتك أرجو .
٢٢١، ٢١٨	أما أهل النار .
٣٠٠، ٢٩٦	أما ترضى
٨٤، ٨٢	أمرت أن أقاتل الناس .
٢١٥، ٢١٤	أنا أول شفيع.
٢١٦، ١٦١	أنا سيد ولد آدم .

الصفحة	الحديث
١٤٤	احتج آدم وموسى
١٢٩	أن لا تدع .
١٧٣، ١٣٨	إذا ألقوا المؤمن .
٣٣١	إذا حكم الحاكم .
١٢٦، ١٢٤	إذا سألت فسأل الله .
٢١١	إذا صار أهل الجنة إلى الجنة .
٢٢٥	استأذنت ربي .
٣٠٦	اسمعوا وأطيعوا .
٢١٠	أطلعت في الجنة .
٢٢٥	إن أبي وأباك في النار .
٢٤٥	إن أحدكم يجمع خلقه .
١٩٨	إن أفضل أيامكم .
١٣٦	إن الرجل ليتكلم
٢١٧	إن الشمس تدنو يوم القيامة .
١٣٥، ١٣٨	إن العبد إذا وضع .
٢١٧	إن الناس يصيرون .
١٦٢	إن الله اتخذني خليلاً .
٢٤٤	إن الله أخذ ذرية آدم .
١٦١	إن الله اصطفى .
٢٧٣، ١٣٦	إن الله تجاوز .
١١٩	إن الله حرم على النار .
٤٧	إن الله ليرضى .
١٨٣	إن الله ليس بأعور .
١٢٥	إن الله تعالى خلق الرحمة .
١٩٥	إن الله تعالى يبعث .
١٩٠	إن الله تعالى يوحى .
٢٨٦، ١٧٦	إن الله عز وجل يسطر .
٢٠١	إن الله عز وجل يستخلص .

الحديث	الصفحة
إن الله يحدث لنيبه .	١٤٩
إن الله يصنع كل صانع .	٢٤٩
إن أول الآيات خروجا .	١٧٧
إن حوضي أبعد من أيلة .	٢١٥
إن قدر حوضي .	٢١٤
إن قلوب بني آدم .	٢٤٦
إن لكل نبي حوضا .	٢١٤
إن لله تسعة وتسعين اسما .	١٠٩
إن لي أسماء .	١٦٦
إنما الأعمال بالنيات .	٨٥
إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي .	١٦٦، ١٦٧
إنه لا يرد شيئا .	١٢٨
إنه ليأتي الرجل العظيم .	٢٠٢
إن ياجوج وماجوج .	١٩١
إني أرى ما لا ترون .	١٤٠
الإيمان بضع وسبعون شعبة	٨٥
بادروا بالأعمال ستا .	١٧٤
بدأ الإسلام غريبا .	٨٢
بلى والذي نفسي بيده .	٨٤
بين الفسحين .	١٩٨
بينما أنا نائم رأيتني على قليب .	٢٩٦
بينما أنا نائم رأيت الناس .	٢٩٧، ٨٨
بينما أنا نائم شربت .	٢٩٧
بينما نحن عند رسول الله .	٨٩
تركتم فيكم أمرين .	٦٦
ثلاث إذا خرجن .	١٧٨، ١٧٥
ثلاث من كن فيه .	١٢١
ثم يؤتى بالجسر .	٢٠٤

الحديث	الصفحة
جاء رجل من اليهود .	١٠٠
خالقوا المشركين .	٧٧
خلقت الملائكة .	١٣٣
خير أمتي القرن الذي بعث فيهم .	٣٠٣
الدجال ممسوح العين	١٨٣
دعاة على أبواب جهنم .	٧٨
الراحمون يرحمهم الرحمن	١٠٢
سباب المسلم فسوق .	٢٧٨
ستكون أمراء .	٣٠٧، ٣٠٢
الصور قرن ينفخ فيه .	١٩٦
عليكم بسنتي .	٣٠٠
فر من المجنوم .	٣٢٠
فيأتي على قوم .	١٨١
فيبعث الله عيسى بن مريم .	١٨٦
قال الله تعالى أعددت لعبادي .	٢١٠
قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء .	١١٩، ٨٥
كتب الله مقادير الخلاق .	٢٤٣
قد سألت الله لأجل مضروبة .	١٧١
كل أمر ذي بال .	٤٦
كلمتان خفيفتان .	١٩٩
كم إله تعبد .	١٢٣
كيف أنعم .	١٩٧، ١٣٤
لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب .	١٩٠
لا ترجعوا بعدي كفارا	٢٨٣
لا تسبوا أصحابي .	٣٠٣
لا تفضلوني على موسى .	١٦١، ٩٧
لا تقوم الساعة .	١٧٥
لأعطين الراية .	٣٠٠

الصفحة	الحديث
٣٢٠	لا عدوى .
٣١٤	لا يلجئ أحدكم حتى يصلي .
٢٨٢	لا يزني الزاني حين يزني .
٣٢٠	لا يورد ممرض على مصح .
١٢١	لا يؤمن أحدكم .
١٢٨	لعن الله من ذبح لغير الله .
١٠٢	لقد حكمت فيهم .
٢١٢	لقيت إبراهيم .
٢٢٠	لشاهد عند ربه .
٢٨٦	لله أشد فرحا بتوبة عبده .
١٦٢	لو كنت متخذا خليلا .
١٢٤	ليس شيء أكرم على الله .
٢٧٤	ليس منا من حلف بالأمانة .
٤٧	ما أنعم الله على عبد .
١٣٩	ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله .
١٨١	ما بين خلق آدم .
١٧٤	ما تذكرون .
٨٧	ما رأيت من ناقصات عقل ودين .
١٢٠	ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله .
٢٥٩	ما من صاحب ذهب ولا فضة .
٢٤٢	ما منكم من نفس .
١٨٣	ما من نبي إلا وقد أنذر أمته .
١١٩	مثل ما يعطي الله به .
٢٩٦	مروا أبابكر فليصل بالناس .
٧٥	من تشبه بقوم فهو منهم .
١٠٣	من تصدق بعدل ثمرة .
١٨٥	من حفظ عشر آيات .
٣١١ ، ٨٨	من رأى منكم منكرا .

الحدث	الصفحة
من حلف فقال باللات والعزى .	٢٧٥
من سمع سمع الله به .	٢٧١
من شهد أن لا إله إلا الله .	٢٠٩
من عادى لي وليا .	٨٨
من قال سبحان الله وبحمده .	٢١٢
من كانت عنده مظلمة .	٢٨٧
من لقيت من وراء هذا الحائط .	١١٨
من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله .	١١٧
من مات لا يشرك بالله شيئا .	١٢٤
من نذر أن يطع الله فليطعه .	١٢٨
المؤمن القوي خير	٢٣٦
هذا باب من السماء فتح .	١٥٣
هل تهمون به من أحد .	١٩٣
هم في الظلمة دون الجسر .	٢٠٦
والذي نفسي بيده لا يلج .	٢٠٥
والذي نفسي بيده لا يسمع بي .	١٦٨
والذي نفسي بيده ليوشكن .	١٨٧
وأهل بقي .	٣٠١
وتؤمن بالقدر غيره وشره .	٢٣٦
واعلم أن ما أصابك .	٢٣٦
وإذا سألت الله فسأله الفردوس .	١٠٠
وإنه سيكون من أمي .	١٦٧
وقد تركت فيكم .	١٠٤
ويح عمار تقتله الفئة الباغية .	٣٠٤
ويضرب الصراط .	٢٠٤
وبلك وما أعددت لها .	١٦٩
فيأتي على قوم	١٨١
يأتي على الناس زمان .	٨٢

الصفحة	الحديث
١٢٤	يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد .
١٠٣	يتعاقبون فيكم ملائكة .
٨٤	يخرج من النار .
٢١٩	يخرج قوم من النار
٢٢١	يدخل أهل الجنة الجنة .
٢٢٠	يشفع الشهيد .
٢١١	يقال لأهل الجنة .
١٨٦	يقتل ابن مريم الدجال .
١٨٩	يقول الله تعالى يا آدم .
١٣٩	يؤتى بجهنم يومئذ
٢٠١	يؤتى بالقرآن .

فهرس الآسار
مرتباً حسب الحروف الهجائية

الآسار	الصفحة
خمس قد مضين	١٩٣
زوجكن أهاليكن وزوجني ربي	١٠٢
سحر رسول الله ﷺ يهودي من بني زريق	٢٨٩
كنا في زمن النبي لا نعدل بأبي بكر أحدا	٢٩٦
لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا	٢٩٥
ما كنت أظن أن الله ينزل براءتي وحيا يتلى	١٤٥
ما نمت حتى أصبحت	١٩٣
المعقبات ملك موكل به	١٣٧
من علم فليقل ومن لم يعلم فليقل الله أعلم	١٩٣
هما دحانان قد مضى أحدهما	١٩٤
ولم يسكت لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت	١٥٦

فهرس الأعلام
مرتباً حسب الحروف الهجائية لأسمائهم

الصفحة	
٣٢٨	أبو بكر بن عبد الرحمن
٦٧	أبو دواد بن الأشعث
٣٢٩	أحمد بن حنبل
١١٦	أحمد بن الحسين بن الحسن
٧٠	أحمد بن عمرو (اليزار)
٦٩	أبو نعيم - أحمد بن عبد الله بن أحمد
١٧٦	ابن حجر - أحمد بن علي بن محمد
٦٩	ابن منجويه - أحمد بن علي بن محمد
٧٠	أبو يعلى الموصلي - أحمد بن علي بن المثنى
٦٧	الخطابي - أحمد بن محمد إبراهيم
٦٩	الرقائي - أحمد بن محمد أحمد
١٤٦	الطحاوي - أحمد بن محمد سلامة
١٨٠	أحمد بن محمد شاكر
٦٩	الخلال - أحمد بن محمد هارون
٦٧	أحمد بن شعيب النسائي
١٦	أحمد بن محمد جابر
١٦	أحمد بن يحيى نجمي
١٧	إبراهيم حسن شعبي
١٧٦	إسماعيل بن عمر بن كثير
٦٠	أبو محمد ابن سبعين
١٤٣	بشر بن غياث
١٤٢	الجعد بن درهم
٥٠	الجهم بن صفوان
١٦	حسن بن زيد نجمي
١٦	حسن بن يحيى حلي
٣٢٨	الحسن البصري

الصفحة	
١٦	حسين بن عبد الله الحكمي
٦١	الحسين بن عبد الله بن مينا
٣٢٩	حماد بن سلمة
٣٢٨	حارثة بن زيد
٦٧	خليل بن أحمد السهارنفوري
١٧	زيد بن محمد هادي مدخلي
٣٢٨	سعيد بن المسيب
٣٢٩	سفيان الثوري
٣٢٩	سفيان بن عيينة
٧٠	سليمان بن أحمد الطبراني
٧٠	سليمان بن داود الطيالسي
٣٢٨	سليمان بن يسار
١٩	ظاهر بن أحمد طالبي
٣٢٩	عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي
٥٤	عبد الله بن سباء
١٢-١٣	عبد الله القرعاوي
٣٢٨	عبد الله بن المبارك
٦١	عبد الله بن محمد بن عربي
٧٠	علي بن أبي بكر الغيثي
١٧	علي بن عبد الله الأهدل
١٧	علي بن قاسم الفيفي
١٨	علي بن ناصر فقيهي
٣٢٨	القاسم بن محمد
٦٧	مالك بن أنس
١٤	محمد بن أحمد حكيمي
٣٢٩	محمد بن إدريس الشافعي
٦٧	محمد بن إسماعيل البخاري
٦٠	محمد بن الحسن الطوسي

الصفحة	
١٧	محمد بن صليح المحسن
١٥	محمد بن عبد الرزاق حمزة
٦٨	محمد بن عبد الله بن محمد (أبن العربي)
١٤٦	محمد بن عمر الرازي
٦١	محمد بن محمد الفارابي
١٤٧	محمد بن محمد الماتريدي
٦٧	محمد بن يزيد بن ماجة
٦٨	يحيى بن يحيى اللبكي
٦٧	محمد بن عيسى بن سودة (الترمذي)
٦٧	مسلم بن الحجاج
١٦	ناصر مخلوفة
٣٢٩	النعمان بن ثابت (أبو حنيفة)
١٤٦	هبة الله بن ملكا (أبو البركات)

فهرس المراجع

القرآن الكريم .

- أسد الغابة في معرفة الصحابة

لعز الدين بن الأثير ، دار الفكر .

- أسماء الله وصفاته

عبد الله بن صالح بن عبد العزيز النعنع ، دار الوطن ، الرياض / ط ١ : ١٤١٧هـ .

- أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة

د. عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس - الأردن ، ط ٣ : ١٤١٨هـ .

- أشراف الساعة

ليوسف بن عبد الله الوابل ، دار ابن الجوزي ، ط ١٠ : ١٤١٨هـ

- أصول الدين الإسلامي

محمد بن إبراهيم التويجري ، دار العاصمة - الرياض ، ط ١ : ١٤١٤هـ

- أصول الفقه

للإمام محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي - القاهرة ، ١٩٧٩ م .

- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة .

الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ، خرج أحاديثه وعلق عليه : مصطفى أبو النصر الشليبي،

مكتبة السوادي ، ط ٣ : ١٤١٠ هـ .

- أهوال يوم القيامة

عبد الملك علي الكليب ، مكتبة المعارف - الرياض .

- إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراف الساعة .

حمود بن عبد الله التويجري ، دار العصيمي - الرياض ، ط ١ : ١٣٩٦هـ ، ط ٢ :

١٤١٤هـ

- اجتماع الجيوش الإسلامية في غزو المعطلة والجهمية

للإمام ابن القيم ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه : بشير محمد عون ، مكتبة المؤيد -

الرياض ، ط ١ : ١٤١٤هـ .

- اجتماع الجيوش الإسلامية ، للإمام ابن القيم ، مع بيان موقف ابن القيم من بعض الفرق
إعداد وتحقيق : د: عواد عبد الله المعتق ، مكتبة الرشد - الرياض ، ط ٢ : ١٤١٥ هـ .
- الإيمان أركانه وحقيقته ونواقضه
محمد نعيم ياسين ، دار الندوة الجديدة - بيروت - لبنان
- البداية والنهاية
للإمام جلال الدين السيوطي ، تحقيق : مصطفى عاشور ، مكتبة القرآن القاهرة .
- البدر الطالع للشوكاني
محمد بن علي الشوكاني ، دار المعرفة بيروت - الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ
- بغية المرتاد
لشيخ الإسلام أحمد بن عباس ابن تيمية
تحقيق ودراسة : د. موسى بن سليمان الدويش ، مكتبة العلوم والحكم ، ط ١ : ١٤٠٨ هـ
- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لشيخ الإسلام ابن تيمية
تصحيح وتكميل وتعليق : محمد بن عبد الرحمن قاسم ، مطبعة الحكومة - مكة المكرمة
ط ١ : ١٣٩٢ هـ .
- تاريخ الأمم والملوك
للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر - بيروت ، طبعة ١٣٩٩ هـ
- تاريخ بغداد
للحافظ أبي بكر أحمد بن علي البغدادي ، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .
- تاريخ المذاهب الإسلامية
محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، طبعة ١٩٨٩ هـ
- التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكة
للإمام أبي المنظف الأسفرايني ، مطبعة الأنوار ، ط ١ : ١٣٥٩ هـ .
- التبيان شرح نواقض الإسلام
سليمان بن ناصر العلوان ، دار المسلم - الرياض ، ط ٦ : ١٣١١ هـ .
- التحوير من النار والتعريف بدار أهل البوار
للحافظ أبي الفرج بن الجوزي ، المكتبة العلمية - بيروت .

- ترتيب القاموس المحيط

للفيروز آبادي ، رتبة الأستاذ الطاهر أحمد الزاوي دار الكتب العلمية ، ط ١٣٩٩هـ

- تذكرة الحفاظ

لأبي عبد الله شمس الدين الذهبي، دار احياء التراث العربي بيروت مصورة عن الطبعة الهندية

- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة

للإمام القرطبي ، تحقيق : د. أحمد حجازي السقا، دار الجليل - بيروت - لبنان ، طبعة

١٤٠٦هـ .

- التصوف في ثمانية

محمد بن أحمد العقلي ، دار البلاد - جدة ، ط ٢ .

- تعريف الخلف بمنهج السلف

د/ إبراهيم بن محمد البريكاني ، دار بن الجوزي - الدمام ، ط ١ : ١٤١٨هـ .

- التعليقات على كشف الشبهات

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، تعليق : الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، دار أولي

النهي - بيروت ، ط ٢ : ١٤١٧هـ .

- التمهيد في الرد على الملحدة والمعتلة ، والرافضة والخوارج والمعتزلة

للإمام محمد بن الطيب الباقلاني ، ضبطه وقدم له وعلق عليه : عمود محمد الحضري ،

ومحمد عبد الهادي أبو ريدة ، دار الفكر العربي - بيروت - لبنان .

- تقسيمات الواجب وأحكامه

د/ مختار بابا آدو ، راجعه ونشره : المحامي أحمد محمد عبد الله الشنقيطي ، ط ١ :

١٤١٤هـ

- تفسير القرآن العظيم

للإمام ابن كثير دار المعرفة - بيروت - لبنان ، ط ١ : ١٤٠٧هـ .

- تفسير غريب القرآن

لأبي محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية -

بيروت ، ط ١٣٩٨هـ .

- تفسير المنار
- للشيخ محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ط ٢ .
- تقريب التهذيب
- للإمام أبن حجر العسقلاني تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف - دار المعرفة بيروت لبنان
- تمهيد التهذيب
- للإمام أبن حجر السقلاني دار الفكر للطباعة والنشر ط ١ : ١٤٠٤ هـ .
- تيسير مصطلح الحديث
- محمود الطحن مكتبة المعارف - الرياض ، ط ٩ ١٤١٧ هـ .
- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم الموسومة بالكافية الشلفية في الانتصار
- للفرقة النجدة
- أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان ، ط ٣ : ١٤٠٦ هـ
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن
- للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، مطبعة الحلبي - مصر ، ط ٣ ١٣٨٨ هـ .
- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير
- جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- جامع العلوم والحكم
- للإمام بن رجب البغدادي الدمشقي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط إبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة - بيروت لبنان ، ط ٣ ١٤٢١ هـ .
- الجامع لأحكام القرآن
- لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، دار إحياء التراث العربي
- حادي الأرواح
- للإمام ابن القيم ، قدم له على السيد صبح المدني ، مكتبة المدني - جدة
- حاشية الروض المربع
- لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي ، ط ٤ : ١٤١٠ هـ .

- حاشية الأصول الثلاثة

بقلم : عبد الرحمن بن محمد النحدي، الإدارة العامة للطبع والترجمة - الرياض، طبعة ١٤١١هـ .

- الحطة في ذكر الصحاح الستة

للسيد صديق حسن خان القهوجي ، دراسة وتحقيق : حسن الجلي ، دار الجليل - بيروت ،
و دار عمار - عمان ، ط ١ : ١٤٠٨هـ .

- الحور العين

لنشوان الحميري ، تحقيق : كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي .

- الحيدة والاعتدال في الرد على من قال بخلق القرآن

لأبي الحسن عبد العزيز بن يحيى الكنائي ، حققه وعلق عليه : د. علي بن محمد ناصر
الفيهي ، طبعة ١٤١٢هـ .

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء

للمحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل

للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٣ : ١٤١١هـ .

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور

للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، دار الفكر ، لبنان - بيروت ، ط ٢ : ١٤٠٣هـ .

- درء تعارض العقل والنقل

لشيخ الإسلام أبي العباس بن تيمية ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم .

- دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها

د. ناصر بن عبد الكريم العقل ، مركز الدراسات والإعلام - دار لإشبيليا - الرياض ،

ط ١ : ١٤١٨هـ .

- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة)

د. أحمد محمد أحمد جلي ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض ،

ط ٢ : ١٤٠٨هـ .

- الديباج المذهب لأبن فرحون
في معرفة أعيان علماء المذهب لبرهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون المالكي - دار
الكتب العلمية بيروت
- الدين الخالص
السيد محمد صديق النوجي ، ضبطه وصححه وخرج أحاديثه : محمد سالم هاشم دار
الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط ٥ : ١٤١٤ هـ .
- الرد على الجهمية والزنادقة ، مع مقدمة في علم الكلام والمذاهب الهدامة
للإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق وتعليق : د. عبد الرحمن عميرة ، دار اللواء - الرياض -
ط ١ : ١٣٩٧ هـ وط ٢ : ١٤٠٢ هـ .
- الرد على القائلين بوحدة الوجود
لعلي بن سلطان قاري ، دراسة وتحقيق : علي رضا بن عبد الله ، دار المأمون - دمشق
ط ١ : ١٤١٥ هـ
- الرسالة المستطرفة لبیان مشهور كتب السنة المشرفة
السيد الشريف محمد بن جعفر الكنائي ، دار البشائر الإسلامية ، الطبعة الثانية .
- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله
راجعة وأعد فهرسه : سيف الدين الكاتب ، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان ، ط ٣ :
١٤١٣ هـ .
- زاد المسير في علم التفسير - لابن الجوزي - المكتب الإسلامي بيروت ، طبعة ١٤٠٤ هـ /
١٩٨٤ م
- سلسلة الأحاديث الصحيحة
محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف - الرياض ط ١ : ١٤١٢ هـ
- السمط الحاروي لأسلوب الداعية الشيخ عبد الله القرعاوي
علي بن قاسم الفيغي ، ط ١ : ١٤١١ هـ .
- سنن أبي داود
للإمام أبو داود سليمان بن الأشعث - دار الفكر مراجعة وضبط وتعليق محي الدين عبد
الحميد.

- سنن النسائي
- بشرح المحافظ جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- سير أعلام النبلاء
- للإمام شمس الدين الذهبي ، حققه وضبط نصه وعلق عليه : د. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ط ١ : ١٤١٧ هـ .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب
- عبد الحي بن عماد الحنبلي ، دار الآفاق الجديدة - بيروت - لبنان .
- شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة
- سعيد علي القحطاني ، راجعه الشيخ : عبد الله الجبرين ، مؤسسة الجريسي - الرياض ، ط ٤ : ١٤١٦ هـ
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم
- للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي ، تحقيق : د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي ، دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض ، ط ١ : ١٤٢٠ هـ
- شرح السنة
- للإمام البغوي ، تحقيق / زهير الشاويش ، وشعيب الأرنؤوط ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط ٢ : ١٤٠٣ هـ
- شرح صحيح مسلم
- للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، راجعه فضيلة الشيخ : خليل الميس ، دار القلم - بيروت - لبنان .
- شرح العقيدة الطحاوية
- لابن أبي العز الحنفي ، حققه ، وعلق عليه ، وخرج أحاديثه ، وقدم له : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، وشعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ٢ : ١٤١٣ هـ .
- شرح الفقه الأكبر
- للإمام السمرقندي ، عني بطبعه ومراجعته : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري .
- شرح القصيدة التوتية للإمام ابن القيم

شرحها وحققها : محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط ٢ : ١٤١٥هـ .

- شرح نواقض التوحيد .

أبي اسامة حسن بن علي العواجي ، مكتبة لينة - دمنهور - مصر ، ط ١ : ١٤١٣هـ .
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى

للقاضي عياض ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل

للإمام ابن قيم الجوزية ، مكتبة السوادى - جدة ، ط ١ : ١٤١٢هـ - ط ٢ : ١٤١٥هـ .

- الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها

د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع ، دار أطلس - الرياض ، ط ١ : ١٤١٧هـ .

- الشيخ حافظ بن أحمد الحكسي ، حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب

أحمد بن علوش مدخلي ، مكتبة الرشد - الرياض ، ط ١ : ١٤١٤هـ .

- الشيعة وأهل البيت

إحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة - لاهور - باكستان ، ط ١٠ : ١٤١٥هـ .

- الشيعة والتشيع

إحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة - لاهور - باكستان ، ط ١٠ : ١٤١٥هـ .

- الشيعة والقرآن

إحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة - لاهور - باكستان ، ط ٧ : ١٤١٥هـ .

- صبب العذاب على من سب الأصحاب

لمحمود شكري الألوسي ، دراسة وتحقيق : عبد الله البخاري ، مكتبة أضواء السلف -

الرياض ط ١ : ١٤١٧هـ .

- صحيح أشراط الساعة

مصطفى أبو النصر الشلبي ، مكتبة السوادى - جدة ، ط ٢ : ١٤١٨هـ .

- صحيح البخاري
للإمام عبد الله بن إسماعيل البخاري ، ضبطه ورقمه : د. مصطفى ديب البغا دار ابن كثير
- دمشق - بيروت ط ٥ : ١٤١٤ هـ .
- صحيح الترمذي
بشرح الإمام بن العربي المالكي ، دار الكتاب العربي - بيروت .
- صحيح ابن حبان
ترتيب الأمير علاء الدين بن بليان الفارسي تقدم كمال يوسف الحوت - دار الكتب
العلمية بيروت - لبنان ط ١ : ١٤٠٧ هـ
- صحيح سنن أبي داود
- صحيح سنن الترمذي
- محمد ناصر الدين الألباني - إشراف زهير شاويش - مكتب التربية العربي لدول الخليج -
الرياض الطبعة الأولى : ١٤٠٨ هـ
- محمد ناصر الدين الألباني - إشراف زهير شاويش - مكتب التربية العربي لدول الخليج -
الرياض الطبعة الأولى : ١٤٠٨ هـ
- صحيح سنن النسائي
محمد ناصر الدين الألباني - إشراف زهير شاويش - مكتب التربية العربي لدول الخليج -
الرياض الطبعة الأولى : ١٤٠٩ هـ
- صحيح مسلم
للإمام حافظ أبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي ،
بيت الأفكار .
- الدولية - الرياض ، ١٤١٩ هـ
- الصفات الإلهية بين السلف والخلف
عبد الرحمن الوكيل ، مكتبة لينة - دمنهور - مصر ، ط ٢ : ١٤٠٢ هـ .
- صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام
جلال الدين السيوطي ، تعليق : علي سامي النجار ، دار الكتب العلمية - بيروت -
لبنان .

- ضوابط المعرفة

لعبد الرحمن حبيكة الميداني ، دار القلم - دمشق ، ط ٤ : ١٤١٤ هـ .

- طبقات الحفاظ
جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - تحقيق علي محمد عمر - مكتبة وهبه
القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
- العبودية
لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق وتعليق : علي بن حسن الحلبي .
دار الأمانة - الإسماعيلية - مصر ط ٢ : ١٤١٦هـ .
- عقائد الثلاث والسبعين فرقة
لأبي محمد اليميني ، تحقيق ودراسة : محمد بن عبد الله زربان الغامدي ، مكتبة العلوم
والحكم - المدينة المنورة ، ط ١ : ١٤١٤هـ
- العقيدة السلفية في كلام رب البرية
عبد الله بن يوسف الجديع ، دار العصيمي - الرياض ، ط ٢ : ١٤١٦هـ .
- عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية
د: صالح بن عبد الله بن عبد الرحمن العبود ، مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة المنورة ، ط ٣ :
١٤١٧هـ .
- العقيدة في الله
د: عمر سليمان الأشقر ، مكتبة الفلاح - الكويت ، ط ٥ : ١٩٨٤م .
- عقيدة المؤمن
أبو بكر الجزائري ، دار الشروق - جدة ، ط ٥ : ١٤٠٧هـ .
- العلو للعلي الغفار
للإمام الذهبي ، اعتنى به : أبو محمد أشرف عبد المقصود
- علوم الحديث
لابن الصلاح ، تحقيق وشرح : نور الدين عتر .
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء .
لموفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم السعدي المعروف بابن أبي أصيبعة شرح وتحقيق :
د. نزار رضا ، مكتبة الحياة - بيروت ، طبعة ١٩٦٥م .

- غياث الأمم في التياث الظلم

لإمام الحرمين الجويني ، تحقيق : د. عبد العظيم الديب ، مكتبة إمام الحرمين - قطر ،
ط ١ : ١٤٠٠ هـ .

- فتح الباري

للإمام شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد
عبد الباقي قرأ أصله واشرف على مقابلة نسخه : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، دار الفكر.
- فتح القدير

للإمام الشوكاني، دار المعرفة - بيروت - لبنان .

- فتح المجد شرح كتاب التوحيد

الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء
والدعوة والإرشاد - الرياض ، ط ١ : ١٤٠٣ هـ و ط ٢ : ١٤١١ هـ .

- الفتح الرباني

ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني - ترتيب وتأليف أحمد عبد الرحمن البنا - دار
الشهاب القاهرة .

- فرجة النظر

للشيخ أحمد شعفي المعافا.

- الفرق بين الفرق

للعالم عبد القاهر طاهر بن محمد البغدادي الإسفرائيني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد
الحميد - المطبعة العصرية - بيروت ، طبعة ١٤١١ هـ ، و ١٤١٣ هـ .

- فرق معاصرة تنسب للإسلام وبيان موقف الإسلام منها

إعداد : غالب بن علي عواجي ، مكتبة لينة للنشر والتوزيع ، ط ١ : ١٤١٤ هـ ، و ط ٢ :
١٤١٦ هـ .

- الفرقان بين الحق والباطل

لشيخ الإسلام أحمد بن عباس ابن تيمية ، وثقه وخرج أحاديثه : عبد القادر الأروؤوط ،
مكتبة دار البيان - دمشق - بيروت ، ط ١ : ١٤٠٥ هـ .

- الفصل في الملل والأهواء والنحل -

للإمام ابن حزم الظاهري، تحقيق د. محمد إبراهيم نصير، د. عبد الرحمن عميرة دار
الجيل - بيروت - لبنان، طبعة: ١٤٠٥هـ -

- فضائح الصوفية -

عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية - الكويت - ط ١ : ١٤٠٤هـ .

- فقه السنة -

سيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الشرعية الثامنة .

- فقد جاء أشراطها -

محمود عطية محمد، تقديم الشيخ: حسين العرايشة، رمادي للنشر - الدمام، ط ١ :
١٤١٦هـ، و ط ٢ : ١٤١٧هـ .

- فوات الوفيات والذي عليها -

محمد بن شاكر الكتي، تحقيق الدكتور: إحسان عباس، دار الثقافة - بيروت - لبنان،

١٩٧م

- القضاء والقدر -

محمد بن إبراهيم الحمد، تعليق الشيخ عبد العزيز بن باز

- قاعدة جلية في التوسل والوسيلة -

لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، دراسة وتحقيق: ربيع بن هادي عمر مدخلي، مكتبة لينة
- دمنهور - مصر ط ١ : ١٤١٢هـ .

- القاموس المحيط -

للفيروز آبادي، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .

- القدرية والمرجئة نشأتها وأصولها وموقف السلف منها -

د: ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الوطن - الرياض، ط ١ : ١٤١٨هـ -

- القواعد الطيبات في الأسماء والصفات -

ابن القيم، الشنقيطي، ابن عثيمين اعتنى به وعلق عليه : أبو محمد أشرف عبد المقصود
مكتبة أضواء السلف - الرياض، ط ١ : ١٤١٦هـ .

- القول المفيد

شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، جمعه وخرج أحاديثه : د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل ، د. خالد بن عبد الله المشيقح دار ابن الجوزي - الدمام ، ط ١ : ١٤١٨ هـ .

- الكامل في التاريخ

للإمام ابن الأثير الجزري ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط ١ : ١٤٠٧ هـ

- كتاب الأسماء والصفات

للإمام البيهقي ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

- كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث

للإمام أبي شامة الشافعي ، ضبط نصه ، وقدم له ، وعلق عليه ، وخرج أحاديثه : مشهور حسن سليمان دار الراية - الرياض ، ط ١ : ١٤١٠ هـ .

- كتاب التعريفات

لعلي بن محمد الجرجاني ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط ٣ : ١٤٠٨ هـ .

- كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد

للإمام أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن منده ، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه : د. علي بن ناصر الفقيهي ، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة ، ط ٢ : ١٤١٤ هـ .

- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب

للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة ، راجعه وعلق عليه : محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، طبعة ١٤١٢ هـ .

- كتاب الحوادث والبدع

أبو بكر الطرطوشي ، تحقيق : عبد المجيد تركي ، دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان .

- كتاب الرد على المنطقيين

لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، دار ترجمان السنة - لاهور - باكستان ، ط ٢ : ١٣٩٦ هـ

- كتاب الرؤية

للإمام الدار قطني ، قدم له ، وحققه ، وعلق عليه ، وخرج أحاديثه : إبراهيم محمد العلي ، وأحمد فخري الرفاعي ، مكتبة المنار - الزرقاء - الأردن ، ط ١ : ١٤١١ هـ .

- كتاب السنة
للإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل ، تحقيق ودراسة : د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني ،
رمادى للنشر - الدمام ، ط ٢ : ١٤١٤ هـ ، وط ٣ : ١٤١٦ هـ .
- كتاب السنة
للإمام أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني ، المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان ، ط ٢ :
١٤٠٥ هـ .
- كتاب الكبائر
للإمام الذهبي ، مكتبة الحياة - بيروت - لبنان ، طبعة ١٩٨٧ م .
- كتاب الإيمان
للحافظ محمد بن إسحاق بن منده ، حققه ، وعلق عليه ، وخرج أحاديثه د. علي بن
ناصر الفقيهي ، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان ، ط ٣ : ١٤٠٧ هـ .
- كتاب تمهيد التهذيب
للإمام الحافظ شاب الدين بن حجر العسقلاني ، دار الفكر ، ط ١ : ١٤٠٤ هـ .
- الكشف عن حقيقة الصوفية
محمود عبد الرؤوف القاسم ، دار الصحابة - بيروت - لبنان ، ط ١ : ١٤٠٨ هـ .
- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية
عبد العزيز محمد السلطان ، شركة الراجحي للصرافة والتجارة ، ط ١٠ : ١٤٠١ هـ .
- كشف الغمة ببيان خصائص رسول الله ﷺ والأمة
أبي الحسن مصطفى بن إسماعيل ، قدم له : الشيخ مقبل بن هادي الوادعي ، مكتبة ابن
تيمية ، القاهرة ، ط ١ : ١٤١٤ هـ .
- لسان العرب
للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور ، دار صادر - بيروت - لبنان ،
ط ١ : ١٣٧٤ هـ .
- لسان الميزان
ابن حجر ، دار الفكر - بيروت - لبنان ، طبعة ١٤٠٧ هـ .

- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد
- للإمام ابن قدامة المقيشي ، شرح : محمد بن صالح العثيمين حققه وخرج احاديثه أشرف عبد المقصود ، مكتبة طيرية/الرياض ، ط ٣ : ١٤١٥هـ .
- لوائح الأنوار السنية ولواقع الأفكار السنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية ، في عقيدة أهل الآثار السلفية .
- للإمام محمد بن أحمد السفاريني ، دراسة وتحقيق : عبد الله بن محمد سليمان البصري مكتبة الرش - الرياض ، ط ١ : ١٤١٥هـ .
- لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ، بشرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية للعلامة محمد السافريني الحنبلي ، المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان ، ط ٣ : ١٤١١هـ .
- الماتريدي
- أحمد بن عوض الله الحربي ، دار العاصمة - الرياض ، ط ١ : ١٤١٣هـ .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد
- للحافظ نور الدين الهيثمي بتحريه الحافظين الجليلين العراقي وأبن حجر - مؤسسة المعارف - بيروت لبنان ط ٦ ١٤٠٦هـ
- مجموعة الرسائل والمسائل
- لشيخ الإسلام أحمد بن عباس بن تيمية ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط ١ : ١٤٠٣هـ .
- بمجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية
- جمع وترتيب : عبد الرحمن بن القاسم وابنه محمد ، دار العربية - بيروت - لبنان ، ط ١ : ١٣٩٨هـ .
- المحاضرات السنية
- الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، حقق نصوصه ، وخرج أحاديثه ، وعلق عليه : أشرف بن عبد المقصود .
- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة
- للإمام ابن قيم الجوزية ، اختصره الشيخ : محمد بن الموصلي ، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض .

- مختصر منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية
- اختصره : الشيخ عبد الله الغنيمان ، دار لينة للنشر والتوزيع دمنهور ، ط ٢ : ١٤١٥ هـ.
- مدارك السالكين
- للإمام ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي بيروت - لبنان.
- مرآة الجنان وعبر الزمان
- للإمام عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان، ط ٢ : ١٣٩٠ هـ .
- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة
- جمع وتحقيق ودراسة : د: عبد الله بن سليمان الأحدي، دار طيبة - الرياض، ط ٢ : ١٤١٦ هـ .
- المستدرك على الصحيحين
- للإمام أبو عبد الله الحاكم النيسابوري - دار الكتاب العربي بيروت
- مسند الإمام أحمد بن حنبل
- دار الفكر - بيروت - لبنان
- المسند للإمام أحمد بن حنبل
- بشرح أحمد شاكر ، دار المعارف - مصر ، ط ٣ : ١٣٦٨ هـ - د.
- مشكاة المصابيح
- لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي - تحقيق محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي
- بيروت ط ٣ : ١٤٠٥ هـ
- مصرع التصوف
- للعلامة برهان الدين البقاعي ، تحقيق وتعليق : عبد الرحمن الركيل ، إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الرياض ، ط ١ : ١٤١٥ هـ .
- المعجم الكبير
- للمحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني - حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد الحميد
- السلفي - دار احياء التراث العربي - بيروت لبنان ط ٢ : ١٤٠٤ هـ .

- مقالات الإسلاميين واختلافات المصلين
- لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ، ط ٢ : ١٩٦٩ م .
- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث
- تصنيف الإمام المحدث الحافظ أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
- منار السبيل في شرح الدليل
- إبراهيم بن سالم ضويان ، مكتبة المعار - الرياض ، ط ٢ : ١٤٠٥ هـ .
- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول
- للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه : عمر بن محمود أبو عمر ، دار ابن القيم - الدمام ، ط ١ : ١٤١٨ هـ .
- معجم الأدباء
- لياقوت الحموي ، دار الفكر ، ط ٣ : ١٤٠٠ هـ .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم
- محمد فؤاد عبد الباقي ، دار المعرفة - بيروت - لبنان ، ط ٤ : ١٤١٤ هـ .
- المعجزة وكرامات الأولياء
- لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط ١ : ١٤٠٥ هـ .
- الملل والنحل
- للإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق : أمين علي مهنا ، وعلي حسن قاعوز دار المعرفة - بيروت - لبنان ، ط ٤ : ١٤١٥ هـ .
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي - دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن الطبعة الأولى ١٣٥٧ هـ .
- من معجزات النبي ﷺ
- عبد العزيز محمد السلطان ، ط ١٦ : ١٤١٠ هـ .

- منهاج السلامة في ميزان القيامة
لابن ناصر الدين الدمشقي ، تحقيق وتعليق: مشعل المطيري ، دار ابن حزم - بيروت -
لبنان ، ط ١ : ١٤١٦ هـ .
- منهاج السنة النبوية
لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، تحقيق : د/ محمد رشاد سالم ط ١ : ١٤٠٦ هـ .
- منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة
سعود بن عبد العزيز الدعجان ، مكتبة ابن تيمية - القاهرة ط ١ : ١٤١٦ هـ .
- منهج السلف في الأسماء والصفات
شاكر بن توفيق العاروري ، رمادي للنشر - الدمام ، ط ١ : ١٤١٧ هـ .
- موسوعة الحديث الشريف
جمع بعض طلبة العلم ، إشراف ومراجعة : فضيلة الشيخ / صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
دار السلام - الرياض ، ط ١ : ١٤٢٠ هـ .
- الموطأ
للإمام مالك بن أنس ، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه : محمد فؤاد عبد الباقى
، دار الحديث - القاهرة .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال
للإمام الذهبي ، تحقيق علي بن محمد الجاوي دار المعرفة - بيروت - لبنان ، ط ١ :
١٩٦٣ م .
- النبوات
لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دراسة وتحقيق محمد عبد الرحمن عوض ، دار الريان - مصر ،
ط ١ : ١٤٠٥ هـ .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة
لأبي المحاسن جمال الدين يوسف بن نفخ الطيب
- نفخ الطيب
من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقري التلمساني - دار الفكر - بيروت -
الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وأكرم المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما لقد اشتمل هذا البحث (الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة دراسة وتحقيقاً وشرحاً) على مقدمة وقسمين وخاتمة.

وقد تناولت في المقدمة أسباب اختيار هذا البحث والخطة التي اتبعتها فيه وتناولت في القسم الأول دراسة لحياة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي مؤلف هذه المنظومة. وقد اشتمل هذا القسم على عدة مباحث، تناولت في المبحث الأول التعريف بالشيخ حافظ الحكمي من حيث اسمه ونسبه، ومولده ونشأته وصفاته وشيوخه، وتلاميذه وآثاره العلمية، ثم وفاته ورثاء العلماء له.

وتناولت في المبحث الثاني منهج الناظم في تقرير العقيدة.

وفي المبحث الثالث عرفت بالجوهرة الفريدة وأهم موضوعاتها.

وفي المبحث الرابع تناولت منهج الناظم الذي اتبعه في هذه المنظومة.

وفي المبحث الخامس تناولت مصدر المؤلف التي اعتمد عليها.

وفي المبحث السادس ذكرت موقف الناظم من المبتدعة.

أما القسم الثاني من هذا البحث فقد كان عبارة عن تحقيق وشرح لهذه المنظومة الفريدة التي تناول أغلب عرى الإسلام وتبينها بياناً شافياً، وتفنيد ما قاله أعداء الإسلام من مقالات وبدع مستحدثة.

وقد اشتمل هذا القسم على عدة مباحث تناولت من خلالها وصفاً للنسخة المخطوطة والمطبوعة المعتمدة في التحقيق والشرح وذكرت فيها نظم الجوهرة الفريدة كاملاً، ثم تناولت أبواب هذا النظم بالتحقيق والشرح مستدلة على ذلك بما تيسر من أدلة القرآن الكريم والسنة النبوية، بالإضافة لبعض أقوال السلف الصالح في بعض المواضع التي تحتاج لذلك.

كما تناولت شبه المخالفين لأهل السنة والجماعة، وذكرت ما يطلبها ويرد عليها ثم تناولت بالشرح شيئاً من أمور الشرع وأصول الفقه وذلك حسبما ورد في آيات المنظومة. ثم ذكرت في نهاية البحث بعض التوصيات التي رأيت أنها نافعة في هذا المجال. ثم ختمت البحث بذكر بعض الفهارس التي اشتمل عليها البحث.

والحمد لله رب العالمين